

من المسرح العالمي

من الأعمال المختارة

جبريل مارسل - ٢

- روماليم تعد في رومال
- الدحراب المضيء أو (مصباح النفس)

ترجمة وتقديم : فنوار كامرل
مراجعة : محمد اسماعيل محمد



مسلسلة

من

المسرح العالمي

مسلسلة يشرف عليها

الحمد لله العبد المذنب

مؤيد المساعدين الفنيين

و. ع. ع. ع.

أستاذ الأدب في الجامعة الكويتية

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية

وزارة الإعلام

الكويت - ص.ب. ١٩٣

من المسرح العالي

أول ديسمبر ١٩٧٢

شهر ربيع



من الأعمال المختارة

جبريل مارسل - ٢

• رومالم تعد في روما

• المحراب المضيء أو (صباح النفس)

ترجمة وتقديم: فنوادر كاميل

مراجعة: محمد اسماعيل محمد

تصدر عن: وزارة الإعلام - الكويت

١١٩١٩٩٩٩

مقدمة بقلم المترجم لمسرحية روما لم تعد في روما

كتب جبريل مارسل هذه المسرحية عام ١٩٥٠ ، وعرضت على المسرح في العام التالي . وقد أثار حين صدورها ضجة كبيرة بين نقاد المسرح ، وبين المثقفين بوجه عام ، إذ تعرض لأزمة الضمير التي كان يعانيها المثقفون الفرنسيون في مرحلة من أدق مراحل التاريخ الفرنسي .

وتستمد المسرحية عنوانها من فقرة وردت في مسرحية مغمورة من مسرحيات كورني هي مسرحية « سرتوريوس » Sertorius . و « سرتوريوس » هذا قائد روماني انشق على يوليوس قيصر وأسس جمهورية في إسبانيا ، وحين فعل ذلك أخذ يبرر لنفسه تمرده على سلطان روما ، فقال هذه الأبيات :

« لم أعد أسمي روما أرضا تحوطها الأسوار ،
تملؤها العادات بالآتم ،

فهذه الأسوار التي كانت أبدع ما تكون في الماضي ..

لم تعد سوى السجن ، أو بالأحرى القبر :

ولكن ، لكي تبعث من جديد في قوتها الأولى ،

انفصلت تمام الانفصال عن الرومان المزيفين ،

ولما كنت أملك الآن كل دعائمها الحقيقية ،

فإن روما لم تعد في روما ، إنما تكون كلها حيثما أكون .

وهذه الابيات يستشهد بها بطل المسرحية « بسكال لومير » ليعارضها في الختام .

و « يسكل لومير » استاذ الادب بالكوليج دى فرانس ، تصطرع في نفسه أزمة ضمير حادة . ففي اثناء الحرب العالمية الاخيرة هاجر عدد من المثقفين الفرنسيين من موطنهم دون رغبة في العودة ، تدفعهم الى ذلك مبررات وجيهة احيانا ، غير وجيهة احيانا اخرى . وايا كان الحال ، فقد كانت هذه المشكلة من مشكلات الساعة الحارقة بالنسبة للمفكرين الفرنسيين .

وقد اختار « جبريل مارسل » « يسكال لومير » مفكرا امينا مخلصا لنفسه حتى يقلب الراى في هذه المشكلة على وجوهه جميعا . أما زوجته « رينيه » ، التى ينقصها الاخلاص والعمق ، فلم تكن جديرة بزواجها ، وحين احست بالخطر الذى يتهدد فرنسا - وهو في الحق خطر موهوم مبالغ فيه - اتخذت من تعرض طفلها لهذا الخطر ذريعة تضغط بها على زوجها للهجرة من فرنسا الى البرازيل . والواقع انها لم تكن تفكر الا في ان تجعل نفسها بئامن من ذلك الخطر ، وان تلحق بعشيق لها في البرازيل يدعى « كارلوس » .

ومن ثم فقد ناشدت هذا العشيق - دون علم زوجها - ان يجد لبسكال منصبا في احدى جامعات البرازيل . وفعلا تبدأ المسرحية بوصول رسالة من « كارلوس » تتضمن خبر توفيقه في العثور على هذا المنصب . ونفهم ايضا في الفصل الاول من المسرحية ان « رينيه » تشك في قيام علاقة غرامية بين زوجها واختها غير الشقيقة « استير » . ولهذه الاخت ابن هو « مارك - اندريه » ، ويمثل هذا الابن ماكان يعانيه الشباب الفرنسي في تلك الآونة من ضياع وانحلال وفساد وافتقار الى الهدف ، فلم يكن ثمة ما يدافع عنه ، أو على حد تعبيره - انه لم يكن يريد أن يموت من أجل لاشيء . ومع ذلك ، بل من أجل ذلك - نشعر بكثير من التعاطف مع هذا الشاب الذى يعد ضحية يمكن علاجها أكثر من ان يكون مدنبا لا سبيل الى التكفير عن خطيئته .

وفي المسرحية شخصية اخرى هي شخصية « روبير » شقيق « استير » ، وهو ماركس متمسك بعقيدته، يرى انه من الممكن قيام شيوعية فرنسية تستطيع الحيلولة دون أى غزو اجنبى لفرنسا . وهو يأخذ على « بسكال » من مناقشة حامية بينهما -

« ضميره البورجوازي المنحل » الذي لا يستطيع الاختيار ، واعتناق قضية او رسالة يكرس لها حياته ، ويدفعه الى تقدير العواقب الوخيمة التي تترتب على هربه من فرنسا في مرحلة حرجة من تاريخها ، ويقول روبير في معرض هذه المناقشة :

« ... انك اذا كنت قد ملكت من الجراءة ما جعلك تعامل فرنسا على انها جثة وتلثمى ادماء عجيبا انك تصحب روحها نحو الشواطئ البرازيلية ، فأننى انا واصدقائى قد تمهدنا بالمحافظة على فرنسا حقيقة ، وليست ميتة ، فرنسا الثورية التي ام يسمح لك ضميرك السيء ، ضميرك البورجوازي المرهون - ان تعترف بوجودها

الفصل الثالث ، المنظر الاول

غير ان « يسكال » لا يقتنع بحجج « روبير » ، بل يخضع في نهاية الامر للاحاح زوجته ، ولكن بعد ان يقنع « استير » بان تصحبهما هي وابنها « مارك - أندريه » الى البرازيل .

وفي البرازيل ، يتعرض « يسكال » لضغوط من نوع آخر . ففي تلك البلاد المتمسكة بالكاثوليكية ، الحريصة على التقاليد ، ينبغى على الاستاذ الجامعى ان يحترم « الراى العام » او على الأقل ان يتظاهر بهذا الاحترام ، وهذا التظاهر شيء شديد الوطأة على نفس متحررة ، مخلصه لنفسها كنفس « يسكال لومير » . وهنا تنفجر « أزمة الضمير » من جديد بصورة أعنف ، وخاصة حين يعلم يسكال ان « كارلوس » مضيفه - وعشيق زوجته في نفس الوقت - قد تعهد للجامعة بأن يضمن « تصرفاته » أى باحترامه للتقاليد وأدائه للشعائر الدينية الخ .

وهكذا تتبدد أوهام « يسكال » الذي كان يتوقع حياة حرة في وطنه الجديد - شيئاً فشيئاً ويتدخل . - في حياته - احد رجال الدين هو « الاب ريكاردو » تدخله أشبه بتدخل رجال محاكم التفتيش ، فيكون هو القشة التي قصمت ظهر البعير . يقول له « الاب ريكاردو » :

« ... ان ماتسميه تفتحا للعقل يمكن أن يكون ثغرة نفلد منها كثير من الأخطاء . فهناك في هذه البلاد القائمة على الجانب الآخر من الاطلنطى ، نرى أن مهمتنا هي تحصين العقول ضد هذه الأخطاء التي أدينت حديثا جدا ، وتعاليم الأدب

التي أرشدت اليها بتوصية أشخاص من الصفوة مثل كارلوس مارتينيز - هذه
التعاليم قدِّرت لها في تفكيرنا أن تكون بمثابة معقل ضد تلك الأخطاء البغيضة التي
قادت أوروبا الى حتفها »

(الفصل الرابع - المنظر السابع) .

ويطالبه رجل الدين البرازيلي بصراحة أن يكشف في محاضراته عن الأخطاء
والوان التجديف التي تحفل بها كتابات الأدباء الفرنسيين المتحررين من أمثال
« جيد » و « بروسست » - فيقول :

« ... ينبغي أن نقوم بمراجعة للأحكام على ضوء الأحداث المعاصرة . كما
ينبغي أن نتخلص من ذلك التساهل المجرم الذي أبداه الناس نحو أولئك الذين
حفظوا الإيمان ، وفتحوا الطريق المؤدية الى القوضى . وقد أكدوا لى أنك تنوى
محاضرة طلابك عن « جيد » و « بروسست » ، وعن لأدرى ؟ .. وعلى فرض أنهم
خولوك هذا الحق ، وهذا ما كلفت بإبلاغك به صراحة ، فسوف يكون ذلك بشرط
رسمي : وهو أن تكشف عن الأخطاء ، وعن الفظائع التي تحفل بها كتاباتهم »

(الفصل الرابع المنظر السابع) .

وحين تتكاثر الهموم على « بسكال » ، نراه يعود الى رأى « روبر » الذي
نعلم أنه قتل في فرنسا على يد خصومه السياسيين . فقد أحس « بسكال » بشيء من
التقدير لهذه الاستشهاد من أجل العقيدة ، ومن ثم فإنه يناشد مواطنيه في رسالة
اذاعية يبعث بها من البرازيل أن يبقوا في أماكنهم بعد أن يذكر الأبيات التي قالها
سرتوريوس في مأساة كورنى والتي أوردناها في مستهل هذه المقدمة ، ويقول تعقيبا
على هذه الأبيات :

« يا أصدقائي ، هذه الفكرة باطلة ، وهذا ما أريد أن استصرخكم اياه اليوم .
لقد كنا مخطئين حين رحلنا : بل كان ينبغي البقاء ، والنضال في أماكننا . والوهم
القاتل بأننا نستطيع أن نحمل الوطن معنا لا يمكن أن يولد الا من الفرور ، ومن أحق
أنواع الاعتداد بالنفس . وأنتم يا من ترددون حيال خطر الغد ، استحلفكم بالله
أن تمكثوا ، وإذا كنتم لا تشعرون بالقوة ... اذا كنتم لا تملكون القوة ... »

(الفصل الخامس - المنظر الأخير) .

وكما انتهت مسرحية « الظلما » بإيمان « أميديه شادتران » تنتهي هذه المسرحية أيضا بالتلميح الى اعتداء « بسكال لومبير » الى الايمان . ففي حوار بينه وبين « استير » يقص عليها أنه استمع الى نداء خفى يطلب منه الا يخون نفسه ، وبضيف قائلا :

« ... والافرب من ذلك ، انه في نفس ذلك الصباح الذي اعتقدت فيه أنني استمع الى هذا النداء ، صادفت مقابلة غير متوقعة ، هي مقابلة راهب شاب حرّكت هيبته الجديرة بالاعجاب اعماق نفسي . ومع أنه ليس من عادتي مخاطبة الغرباء ، الا أنني لم استطع أن أمنع نفسي من أن أقول له بضع كلمات .. ولن تتخيلي صفاء الابتسامة التي اضاءت وجهه النحيل ... لقد كانت ابتسامة المسيح .

« الفصل الخامس . المنظر الاخير »

وفي ختام المسرحية ، حين لايجد « بسكال » القدرة على انهاء رسالته الاذاعية الى مواطنيه في فرنسا ، ويترنح ، ويتهاوى على الأرض ، تندفع « استير » نحوه ، وفي هذه اللحظة يظهر الراهب الشاب الذي تشبه ابتسامته ابتسامة المسيح ، ويتقدم نحو بسكال ، فاذا هموا باعتراض طريقه ، قال في رفيق :

« سيدتي ، دميني اذهب اليه . انا أعلم انه ينتظرني »

وهذه المسرحية التي كتبها جبريل مارسيل في أوج نضجه الفني والفلسفي تؤكد على معنى الواجب ، دون أن تنسى أن لهذا الواجب تفسيرات متباينة وفق استعدادات الأفراد العقلية ، بل والعضوية أيضا . ولكن على الانسان الا يتخذ سوى الموقف الذي يعتقد انه قادر على التمسك به الى النهاية . فنحن نلمس كل ما كان يفتقر اليه « بسكال » لمقاومة زوجته . وهذا الافتقار يعرضه المؤلف ببراعة جديرة بالاعجاب في حوار « بسكال » و « مارك آندريه » في مشهد رئيسي من مشاهد الفصل الثالث :

بسكال : كلا لم ينعقد عزمي بعد ، فمازلت مع شكوكي وهواجسي . ولكنني في الوقت نفسه - ، لكي أكون مخلصا تمام الاخلاص - ألاحظ أن شيئا في نفسي ، في سبيله الى اتخاذ قرار نيابة عني .

مارك - آندريه : أهذا صحيح ؟

بسكال : تقول هذا مسرورا ! على حين أنه شنيع .. أشعر بأن الالتحال الذي أصاب بلادى قد أصبح الآن فى نفسى ، وأنه فى سبيله الى بلوغ هايته ، وأنى أشارك فيه . ياطفى المسكين ، أنت تنظر الى بعينين مدهورتين ، بعينين مستجديان .. لن أتخلى عنك يا صغرى مارك آندريه . ينبغى الاعتقاد - أن كان لهذه العبارة معنى وأنا أجهله - بأننى مسئول عن حياتك ، ويأتى لا أستطيع أن آخذ على عاتقى مريضك لليأس والانتحار . ليتك جئت لترانى ذلك المساء الآخر ، أنت يامن أراك نادرا ... أجل ، أعتقد أن هذا نوع من العلاقة . إلا اذا لم أكن أعلق بهذه الفكرة كذريعة لمحاولة أن أبرر اراء ميني مالا يقبل التبرير .. ولكننى ، لست أدري .. قلت كلمة « مظلم » حين تحدثت عن أولئك الفتيان ، الذئاب الذين ينتمون الى عالم آخر لاتصال بيننا وبينه ... وأنا أقول ظلمات ... ظلمات ... ظلمات ... هذا هو العنصر الذى أفوص فيه .

مارك - آندريه : إذن ، فأنت تريد أن تقول ياعمى ، أنه قد كان من الأشجع ؟ ..

بسكال : (فى حزن عميق) لم أعد أعرف اطلاقا فى أى جانب توجد الشجاعة . ولعل هذا هو أسوأ ما اجتازه الآن ...

يبنى ، أقسم لك ، أن افتقارى الى الايمان لم أحسه قط بمثل هذه القسوة ، فلو أتنى كنت مرتبطا ، مرتبطا بالمسيح ، فلفل شيئا من النور يوهب لى ، وأنا لا أبصر شيئا ..

(الفصل الثالث - المنظر الثالث)

والمرحبة تتناول موضوعات شتى ، بيد أن محورها الأساسى الذى يدور عليه كل شيء فيها وبؤرتها المركزية التى تضىء كل شيء فيها هي ضمير « بسكال لومبير » . ومن الواضح أن الازمة الحقيقية التى يعانىها هذا الضمير هي مجزه عن التحرر من ضرب من الهوس الفلسفى الذى ينأى به عن الفطرة الصحية السليمة .

روما لم تعد في روما

مدرسية من خمسة فصول

تأليف : جبريل مارسل

ترجمة وتقديم : فنواد كاسل

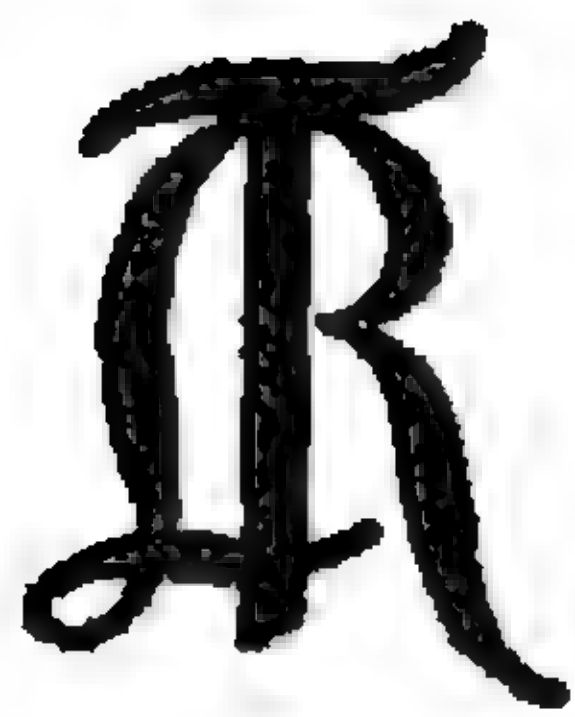
مراجعة : محمد اسماعيل محمد

العنوان الاصلى للمسرحية

GABRIEL MARCEL

ROME N'EST PLUS
DANS ROME

Pièce en cinq actes



LA TABLE RONDE

8 RUE GARANCIÈRE 6.

PARIS

أهـ داء

إلى جلك هـ يـ زـ نـ وـ حـ فـ كـ الـ وـ حـ يـ جـ مـ نـ

شخصيات المسرحية

Pascal Laumiere

بسكال لومير

Marc André

مارك - أندريه

Robert Velars

روبير فيلار

Ulrich Steinbock

اولريش شتاينبوك

Carlos

كارلوس

Padre Ricardo

الاب ريكاردو

Chevremont

شقرمون

Renée Laumiere

رينيه لومير

Esther Peyrolle

استير بيرو

Ines

اينيس

عرضت « روما لم تعد في روما » لأول مرة في ١٩ أبريل ١٩٥١ على
مسرح هيميرتو ، اخراج Jean Vernier جان فرنييه ، وديكور
مونكورليه + Moncorlier

الفصل الأول

في منزل آل لومير ، خلال شتاء ١٩٥١ . داخل المنزل يتم عن
مثقف ميسور الحال ، فثمة كتب كثيرة ، وبعض النسخ الملونة
من لوحات حديثة .

المنظر الاول

زينيه ، إستير ، أولريش

أولريش : (مخاطبا إستير في شيء من الحدة) ولكن ،
ياله من خطأ ، ياسيدتي ! ياله من خطأ ! —
أستطيع أن أوكد لك أن الحياة في برلين كانت
في تلك الآونة ، ممتعة تماما . . أعني قبل
وصول الحزير — كما هو مفهوم ، بكل
أدواته الهلترية .

إستير : أما أنا ، فأعتقد أنه حتى في تلك الفترة التي
تحدث عنها ، كانت الأحداث السياسية
مثيرة للانزعاج فعلا . .

أولريش : كلا ، ياسيدتي ، كان السفهاء وحدهم هم الذين يهتمون بالسياسة .

إسستير : ألم يكن ذلك من سوء الحظ ؟

أولريش : وكيف يكون من سوء الحظ ؟ وفي فرنسا يهتم الناس جميعا بالسياسة .

وها أنت ترين النتيجة ! المسارح ياسيدتي ، والموسيقى ، بوجه خاص . وعلب الليل التي تحدثوا عنها عندكم ، في غير إنصاف . أما نحن ، فقد كنا نقطن حياً كل مافيه أشياء منتقاة .

رينيه : لعله حي « وانسي » ؟

أولريش : (مبتهجا) أتعرفين وانسي يا سيدتي ؟ كلا .

لم يكن هو بالضبط ، بل أبعد منه كثيرا . وكانت هناك أيضا بحيرة صغيرة ، تتألق وراء أشجار الصنوبر ، وعليها يستقل الناس — الزوارق في الموسم الجميل . . . وفي أيام الآحاد ، كان أصدقاءنا يأتون لزيارتنا ، وهناك — تدور مناقشات خرافية ، حول كل الموضوعات الجمالية على الأخص . . هذا شيء لن يعود —

يا سيدتى — لاهنا ولا في أى مكان آخر . كوني
من ذلك على يقين . .

إستير : كل هذه الثقافة التى تزهو بها ، لم تمنع وقوع
الكارثة ، ألم تكن سطحية إذن ؟

أولريش : انى ارتاب ارتيابا شديدا بكل ماهو عميق ،
يا سيدتى . وربما كان العمق خاصية المانية ،
خاصية تعسة إلى أبعد حد .

رينيه : لست أدري لماذا تسمح أختى لنفسها بأن —
تناقضك على هذا النحو .

(إلى إستير) إنك لم تعيشى قط في برلين ،
أو حتى في ألمانيا .

أولريش : من سوء حظك يا سيدتى ، بكل تأكيد .

إستير : هذا شيء ما أيسر عزائى عنه .

رينيه : ماذا جرى لك يا إستير ! . .

أولريش : (ناهضا) لأريد أن أطيل — ياسيدتى — هذه
الزيارة التى ربما لم تكن مستحبة . ولنعد
إلى الموضوع الذى حملنى إليكم اليوم . . .

رينيه : أجل ، سأسأل زوجى عند عودته ، إن كان

يعرف أحدا في الرباط ، أو في الدار البيضاء.

أولريش

: من المفهوم ، أنها ليست سوى خطوة . . فأذ
لأضع في حسابي أن أقيم إلى الأبد في مراکش
وهناك — وهذا شيء يبتنا — طبقة —
البروليتاريا ستكون مرتعا خصبا للمهيجين —
الشيوعيين ، ولهذا لأحب أن أكون في مكار
الاوربيين في تلك البلاد حين يحدث الانفجار

: أجل ، من المفهوم أنك لا تشغل بالك . . .

إستير

: أوه ! كلا ، ياسيدتي ، فلست مطية ، وهذا
أمر أعلنه لك ، صراحة .

أولريش

: كنا مقتنعين بذلك .

إستير

: وما دخل « المطية » في هذا الموضوع ؟ مز
البديهي أن يتخذ المرء احتياطاته في الوقت —
المناسب ، إذا أتاحت له الامكانية . أنت علم
صواب تام ، يا سيدتي .

رينيه

: أعترف أن المسألة بالنسبة للمستأصاين . . .

إستير

: نحن جميعا مستأصلون ، وأنتم أيضا مستأصلون ،
انتم يا من تؤلفون الطبقة البورجوازية في باريس

ألريش

إستير : إطلاقاً ، يا سيدى ، نحن هنا بين أهلنا ، ووسط إخوتنا .

أولريش : ومن هم إخوتك !

إستير : الفرنسيون ، بكل بساطة .

أولريش : وأين هي ، فرنسا ؟ لا أحد يدري على وجه الدقة .
ثم ، لو سمحت لى بأن أبدى هذه الملاحظة ،
وهي أنني لا أراك من ذلك الطراز . أنت شقيقة
السيدة لومير ؟ لا يكاد المرء يقطع بذلك .

إستير : كانت أمى أنا يهودية بولندية .

أولريش : إليك مصداق قولى .

إستير : واغتال قومك زوجى ، وأنا آمرك بالخروج .

رينيه : ولكنك ، لست فى بيتك ، يا إستير ! أتفق معك
فى أن السيد قد تجاوز حدود اللياقة ، ولكن ينبغى
القول بأنك من جانبك

أولريش : ليس من عادتى أن افرض نفسى . كل ما أطلبه
منك هو أن أذكرك . .

إستير : سيعلم زو أختى من تكون ، وأتعهد بأن أوضح
له .

أولريش : أما هو ، فليس يهوديا ، على ما أعلم . . . وداء
يا سيدتي . (يخرج)

المنظر الثاني

رينيه ، إستر

إستر : ياله من شخص وضع ! أفتحين بابك لأمثال
هؤلاء الناس ؟

رينيه : أنا ، لا أعرفه ، لقد ترجم لمجاة المانية مقبلا
لبسكال عن « سانت - إكزيري » .

إستر : هذه الشخصية الدنسة تكتب عن سانت اكس

رينيه : ما علينا ، ما علينا . . أنت تبالغين ، إنك أند
التي فقدت هدوء أعصابك .

إستر : لنحدث عن شيء آخر ، أسمحين ؟ متى يعو
بسكال ؟ لدى بضع كلمات أود أن أقولها له .

رينيه : لست أدري . لا بد أنه في « نادى بن » . أهـ
أمر عاجل ؟

إستر : أجل . إنه يتعلق بمارك - آندريه .

رينيه : الواقع أن مارك - آندريه طلب الحضور لمحاد
بسكال عقب العشاء .

- إستير : واريد رؤية بسكال بالضرورة قبل ذلك .
- رينيه : كل هذا يكتنفه الغموض . (صمت)
- إستير : سيطلعك بسكال على كل شيء ، ان رأى ذلك ، ولكننى أعترف بأن هذا سيكون مثار دهشتى .
- رينيه : انت غريبة الأطوار يا إستير ، أتعرفين . . ؟
- إستير : غريبة الأطوار ؟ في أى شيء ؟
- رينيه : لابد أنك أخذت ذلك عن والدتك . . . فلم يكن أبى قط على هذا النحو . تظهر عليه علامات الشيخوخة بكثرة في هذه الأيام الأخيرة ، ألا ترين ذلك ؟
- إستير : لا أستطيع ان أفكر فيه على خلاف ما كنت أفكر في الماضى . لقد فقدناه فعلا .
- رينيه : لا أرى ذلك . فلكى تفقده ، لا بد أن نكون قد ملكناه .
- إستير : يا لها من كلمة بشعة !
- رينيه : إنه لم يكن قط جزءا من حياتى . أما بالنسبة لأمى ، فنعم ، الأمر يختلف . . وتعرفين أنها ما زالت تستطيع أن تكون مسلية على التلفون !

إستير

: إنها تقضى حياتها عليه .

رينيه

: ضعى نفسك مكانها ، إن التهايبها الرثوى المزمز
سمرها في المنزل ، والقراءة ترهق عينيها
ولا نستطيع أن نطلب منها في الوقت نفسه أن تضع
نظارة .

إستير

: لماذا ؟ في الحقيقة لاحظت أنى سأنسى إعطاءك
هذا الخطاب ، ناولتني إياه البوابة حين مررت
على غرفتها . . خطاب بالبريد الجوي .

رينيه

: (في لهفة محمومة) هاته . . يا إلهي ، إنه من
كارلوس !

(تفص الخطاب ، تقرأه ، ثم تنفجر باكياً .)

إستير

: ولكن ، ماذا أصابك يارينيه ؟ خبر سيء ؟

رينيه

: على العكس ، شيء مقطوع الرجاء . . إنه . .
آه ! ولكن الله تولانا برحمته .

إستير

: والخلاصة ، ماذا جرى لكم ؟

رينيه

: (وهي تناو لها الخطاب) تستطيعين قراءته . .
الخلاص ، يا إلهي ، الخلاص . . .

إستير

: (تقرأ) — سان فيليب . . جامعة جديدة . .
ما هذا ؟

رينيه : ولكنى لأعرف عنها شيئا ، ماذا يمكن أن يصنع ذلك بي ؟ كرسى الادب الفرنسى . . على بعد ١٥٠٠ كيلو متر من ريو . . — أتفهمين معنى ذلك ؟

إستير : أنت التى كتبت إلى أصدقائك ؟

رينيه : بكل تأكيد . . أتذكرين ، منذ ثلاثة أشهر تلقى بسكال خطابا غفلا من التوقيع .

« الشيوعيون قادمون . وأنت فى قائمة أولئك الذين ينبغى ترحيلهم . اتخذ احتياطاتك » .

إستير : غير أن بسكال لم يأخذ ذلك مأخذ الجسد . ولا أنا أيضا . . مجرد مزاح . . سخيـف ، هذا ما أوافقك عليه . .

رينيه : مزاح ! ماذا تعرفين عن هذا الأمر ؟ وتقولين إن بسكال لم يأخذه مأخذ الجسد . . أما أنا فأستطيع أن أوكد لك انه أمضى عدة ليال — مسهدا . . واستهلك أنبوبتين من « السونيريل » فى أسبوع واحد . . هكذا ! . . كل ما فى الأمر أنه أخذ يتظاهر أثناء الحديث بأن المسألة مجرد هزل . وجاز عليك تظاهره .

- إستير : هل علم أنك تكاتين أصدقاءك هناك ؟
- رينيه : كلا .. وإلا ، لكان قادرا على المعارضة .
- من قبيل (الاعتزاز بالنفس) .. وحتى لا يبدو في مظهر الخوف .
- إستير : هل أنت مقتنعة بأنه سيفوت هذا العرض ؟
- رينيه : من الواضح أنه لن يفعل ذلك ، لن يفوته . ولكنه سيجد وسيلة يرغم بها يده على التوقيع . أولا ، فيما يتعلق بي أنا ، المسألة غاية في البساطة ، فأنا لم أعد أطيق هذا الجو الذي نعيش فيه منذ شهور .. قراءة الصحف ، الأحاديث ..
- إستير : لست مرغمة على قراءة الصحف
- رينيه : لأستطيع المخاطرة بأن أبدو بلهاء أمام أصدقائي
- إستير : لأهمية لرأى الناس .
- رينيه : ولكن ، أى إستير المسكينة ، إنك تعيشين — حبيسة ذكرياتك وكتبك ، ولاترين أحدا .. سوى مارك — أندريه .
- إستير : (في صوت متهدج) ، فلندع مارك — أندريه جانبا ، من فضلك ؟

- رينيه : لماذا ؟ ها هو السر الذى يبدأ من جديد !
- إستير : أزعج اننى أعرف بسكال جيداً بقدر ما تعرفينه بل أفضل مما تعرفينه من بعض الوجوه . ولست واثقة على الاطلاق أنه سيرضى بان يرغب على قبول ذلك الاقتراح .
- رينيه : ليس من ذلك بد .
- إستير : كيف ؟
- رينيه : ليس من ذلك بد . ولن يكون له الخيار .
- إستير : لك طريقتك الخاصة في النظر الى التراماتك .
- رينيه : أية الترامات ؟ صمم بسكال دون أن يطلب منه أحد وضد تعهده الصريح لى على كتابة سلسلة من المقالات عن التطهير في مجلة أسبوعية للقانون مما جعله العدو رقم واحد في نظر الشيوعيين .
- إستير : العدو رقم واحد ! أنت تغالين .
- رينيه : كانت حماقة . لان هذا التصرف لم ينقذ رأساً واحداً ، ولم يؤخر ما حدث يوماً واحداً . . كان ذلك لكى يرضى نفسه فحسب . أجل ، هذا ترف منحه لنفسه . جميل ! واليوم ، عليه أن يدفع الثمن .

إستير

: تتحدثين كما يتحدث خصومه .

رينيه

: لا يوجد سوانا ، والأطفال قبل كل شيء .
ألا تفهمين ؟

إستير

: أوه ! بلى . . تمام الفهم .

رينيه

: أما أنت ، فقد احتفظت بعقلية زوجك المسكين
أثناء الاحتلال . وحين يفكر المرء في أن إيمانويل
كان يستطيع أن يبقى هادئا معكم في الجزائر ، بل .
كان ينبغي أن يضطلع بمهمة ، لا يعلم علمها
إلا الله .

إستير

: كفى ، يارينيه .

رينيه

: هذا ضرب من المرض ! مرض عقلي . ينبغي أن
أحدث عنه إلى الأستاذ تيرسلييه . Tiercelier
إنه نابغة . وعلى التحليل النفسى أن يقول كلمته
أيضا عن هذه الاختلالات . . حسن ألا يكفيك
أن كان لك زوج مات في المنفى . . مات من أجل
لا شيء ، أقول من أجل لا شيء . لأننا نرى الآن
جيذا أن كل هذا لم تكن له أدنى فائدة ، بل مهد
الطريق للشيوعيين . . والحقيقة ، اننى أريد أن
أقول لك . . إنك لا تتحملين — على سبيل الحسد

والحقد — أن أُفُلت من هذا المصير ، على حين
أنك لم تغلّى منه . . هذا شيء لا اسم له

المنظر الثالث

نفس الأشخاص ، بسكال

بسكال

: ماذا يجرى هنا ؟

إستير

: موضوع المناقشة الأبدى يُطرح من جديد على
بساط البحث . ورينيه تعود إلى هجومها المعتاد
على المقاومة .

بسكال

: ليست هذه هي اللحظة المناسبة حقا . وأنت
يا عزيزتي رينيه — لم يكن لديك قط أى إحساس
بالانتهازية .

رينيه

: وبمناسبة الانتهازية ، أنصحك أن تتكلم !

إستير

: ماذا جرى في « نادى بن » ؟

بسكال

: كانوا يستقبلون روائيا من إستونيا لا يتحدث
الفرنسية ، ولم يكن أحد قد قرأ له سطورا واحدا ،
فكان مشهدا مثيرا !

إستير

: حقيقة .

- بسكال : كان الرجل يبدو جذابا إلى أبعد حد . وأعطاني
ترجمة ألمانية لكتاب من كتبه الرئيسية :
- رينيه : خيل إليه أن لديك وقتا تضيعه !
- بسكال : ومن أنباك أنه سيكون وقتا ضائعا ؟ قرأت مقالات
نقدية ممتازة في المجلات السويسرية - الألمانية .
- رينيه : على أنها مراجع !
- بسكال : (بغلظة) بأية صفة تحكمين عليها ؟
- رينيه : أوتر الانصراف . سأحضر الأطفال الذين
ذهبوا لتناول شيء من الطعام عند ماري -
بلانش (بصوت خافت إلى إستير) لاتشيري
بكلمة - على وجه الخصوص - إلى الخطاب .
إلى اللقاء .

(تخرج)

المنظر الرابع

بسكال ، إستير

- بسكال : إن رينيه تشغل بالي في هذه الأيام الأخيرة .
كانت دائما بعيدة عن الاستقرار ، وهذا ما
تعليمه جيدا ، ولكنها منذ بضعة أيام ، عند

ملا يثيرها انفعال شديد ، تجتاز لحظات من
الكآبة ، تخيفني . ربما كان من واجبي ألا
أبقيها في باريس . ساءلت نفسي ، ألا ينبغي
أن أجعلها تستقر في الجنوب مع الأولاد . أجل
بكل تأكيد ، هناك دراساتهم .. ولكن ،
كلما رأيت الوقت الذي يضيعونه على هؤلاء
الأطفال المساكين . أتظن أن روجيه يعمل
كل الأمسيات حتى الساعة الحادية عشرة ؟
وهو قد بلغ الثانية عشرة منذ قليل . إنه متقدم
على سنه هذا مفهوم ، ولكنه في النهاية ، أول
فصله . إن تعليمنا الثانوي بشع .

إستير : أعرف ذلك جيدا . ولهذا السبب ألحقت مارك
آندريه في الأعوام الأخيرة بمعهد « روش »
ولم يتعلم هناك شيئا عظيما ، ولكن ، على
الرغم من هيئته الهزيلة نوعا ما ، إلا أن صحته
جيدة .

بسكال : طلب الحضور ليتحدث معي هذا المساء .

إستير : أعلم ذلك . . . وهذا هو السبب الذي احرص
من أجله على رؤيتك ، يابسكال . خرج هذا

الولد منذ بضعة أسابيع عن طوره بمعنى الكلمة .

بسكال

: ماذا تعنين ؟

: أنت تعرفه ، إنه انسان لطيف ، عاطفي .

إستير

وكان معي دائما غاية في الرقة . وحين تناهى
الينا خبر وفاة والده ، لن تستطيع أن تتصور
الرعاية التي أغدقها عليّ ، كان يقوم كل ليلة
مرتين أو ثلاث مرات ليتأكد من أنني نائمة ،
وحين التحق بمعهد « روش » ، كان يغالب
نفسه لكي يمتنع عن الكتابة إلى يوميا .

بسكال

: والآن ؟

: عندما يقضى السهرة في المنزل مصادفة يمكث

إستير

أحيانا ساعة كاملة دون أن يوجه إلى كلاما .
وإذا احدث أن نظر إلى ، كانت نظرتة مليئة
بالحقد ، بل بالعداء .. بسكال هذا فظيع .

بسكال

: ماذا يأخذ عليك ؟

: انني هناك .. انني موجودة . وقد يخطر لي

إستير

أن أتمنى الموت لأخلصه مني .

بسكال

: لست أفهم .

إستير

: وأنا لست واثقة من الفهم بابسكال ، ولكن يبدو أننى أمثل في نظره ماضيا يريد أن يقطع به كل صلة ، لكى يلقى بنفسه كلية في ذلك — الضرب من المغامرة الهائلة المخيفة التى ابتلعت كل أصدقائه الواحد وراء الآخر . — « برتراند كان » ، « جاك فيل » ، « أوليفييه موريزو » . إنهم جميعا شيوعيون يقوم أوليفيه بتوزيع « الأومانيته » يوم الأحد على بوابة صاحبة فانف . (١)

بسكال

: أعتقدين أن مارك أندريه يحسدهم ؟

إستير

: ليست المسألة بهذه البساطة . فكل هذا يفزعه ، ولكنه يؤمن به ، وهو على ثقة من أن هذا — سيحدث قريبا ، وأنا سنبتلع ، وسيلتهمنا ذلك الضرب من العاصفة . وهو لا يحتمل فكرة أنه سيكون ضحية ، ويرفضها ، ولكن ، في الوقت نفسه ، ربما لأننى موجودة ، بكل ما أمثله في عينيه ، فانه لا يحس بإمكانية الانتقال إلى المعسكر الآخر . هو لا يعترف بحقه في ذلك

(١) صاحبة في الجنوب الغربى من باريس .

أو لعله لا يملك القوة . . . وإنى على يقين بأنه
يضمنى نفسه حين يتصور حائقا ما أفكر فيه ،
وما أتمناه ، وما أشعر به . وهذا النوع من
التعهد الذى وصفته منذ لحظة — أى بسكال
— يخلو من كل معنى . . ولو أننى اختفيت
مصادفة . . .

بسكال

: تقولين مصادفة ؟

إستير

: أوه ، أجل ، مصادفة ! . . لن يكون ذلك
خلاصا بالنسبة له . . بل سيعذبه تأنيب الضمير
ولست لدى القدرة على أن أقيده وأنا ميتة ،
كما أقيده وأنا حية .

بسكال

: إذن ؟

إستير

: إنه يختق ، وأنا أيضا أختق .

بسكال

: (بصوت خفيض) أليست المسألة ببساطة أنه
خائف مثل رينيه ؟ آه لو تعلمين كم هى
أيضا !

إستير

: رينيه . . . ولكن الامر مختلف .

بسكال

: أما أنا ، فاعتقد — يا إستير — انه في الحالتين

واحد بالضبط . إنه أشبه بدرجة الحرارة ،
أو بضغط شديد جدا : حيثُتد تنفجر الأوعية .

إستير : وعلى هذا ، لاتستطيع الارادة أن تفعل شيئا ؟

بسكال : أشك - في الواقع - أن يكون لها على النقوس -
الضعيفة أدنى تحكّم . . ولكن ، لماذا يحرص
مارك - أندريه على التحدث إلى ؟

إستير : لست أدري بالضبط ، انه يكن لك الحب
والاحترام .

بسكال : الاحترام ! يا لها من كلمة سنة ١٩٥١ !

إستير : أنت الرجل الوحيد في الأسرة . ومع روبير . . .

بسكال : (متألما) أجل ، روبير . . .

إستير : أساء إليه روبير كثيرا .

بسكال : اخوك مخلوق خِطر ، يا إستير . أدركت ذلك
منذ أمد بعيد . وبمئة غير مفهومة من القدر وجد
نفسه موضوعا في ظروف يُمكنها أن تنمى
قدرته الشريرة خير تنمية .

إستير : تنطق كلمات رهيبة ، يا بسكال .

- بسكال : أتدركين ماذا تعنى عودته من المنفى . . . بالنسبة
لروبير وبالنسبة لمكانته ؟
- إستير : أجل ، أعرف .
- بسكال : إنه غريب كل الغرابة ... ذلك المسكين إيمانويل ...
- إستير : انه هو الذى فكرت فيه .
- بسكال : لو أن زوجك قد عاد ، فنحن نعرف جيدا ،
أنا وأنت ، أنه لن يحمل معه سوى السلام ، نوعا
من العزاء الغريب . . .
- إستير : (في صوت خفيض) - أجل .
- بسكال : أعدت قراءة شهادة زملائه في نوينجسام عشر
مرات . عاش هناك مثلما يحيا القديس ، ومات
كما يموت القديس .
- إستير : لماذا لا يرجع في الغالب الآ الآخرون . . أولئك
الذين لم يتعلموا سوى الحقد ، ولم يجمعوا سوى
الحقد ! أمن الممكن تفسير هذا ؟
- بسكال : ليس من الممكن تفسيره ، يا إستير ، ولكن ربما
كان من الممكن فهمه . فيما وراء الكلمات :
- إستير : أهذا صحيح ؟ . . كلا ، أنا لم أفهم جيدا . . :

لعلك تضع نفسك على مستوى صو في ؟

بسكال : هذه كلمة كبيرة حقا . وأستطيع أن أوكد لك
أننى لم أدخل قط في أية تجربة مباشرة مع الله. بل
لست واثقا أننى مؤمن به . . ولكننى على يقين من
أن هناك ميتات مشمولة بالرحمة . . ميتات من
قبيل اللطف الإلهى .

إستير : أليس لكل انسان الحق في موته ؟

بسكال : إستير يا مسكينة ليس لأحد الحق في أى شىء.
(صمت)

إستير : (في حزن عميق) ربما قد لا نتحدث بعد زمن
قصير نفس اللغة . . بسكال ، آه لو تعلم كم
يتولانى الشعور بالوحدة !

بسكال : اعلمى ، ان كان في هذا ما يعزبك - اننى وحيد
أشد الوحدة ، أنا أيضا .

إستير : هذا لا يعزبنى ، بل على العكس ، إنه هم جديد
يضاف إلى همومى (صمت)

بسكال : لنعد إلى مارك - آندريه ، أعتقدين أن لأخيك
تأثيرا عليه ؟

إستير : إنه يبحث في نفسه القلق ، هذا مؤكد . ومشارك
آندريه لا يحبه ، ولكنه يخشى من سخريته ، ومن
ابتساماته المزدرية ، ومن توكيداتهِ التي لا تقبل
المراجعة . بسكال ، لو استطعت على الأقل
— لست أدري — أن تحصنه ضد . .

بسكال : إنني لم أكن منفيًا ، ولست شيوعيًا ، وليست
السخرية من مواهي . . الديك أية فكرة عما
يمكن أن يطلبه مني ؟

إستير : التوجيه ، بكل بساطة . . وما أطلبه منك قبل كل
شيء هو أن تترفق به . . إنه طفل تعس كل
التعاسة ، ولا سيما منذ أن امتنع عن مكاشفتي
بأسراره . . . وسأدهشك يا صديقي . . انني
نادمة لأنه لم يتخذ له عشيقه . .

بسكال : وهل يمكن أن تكوني واثقة من ذلك ؟

إستير : إنني مقتنعة بذلك . فقد عذبتني طويلا فكرة أن
أقاسمه مع غيري ، ولكنني أقسم لك بأن هذه
الفكرة الأنانية قد فارقني . . وأنا على ثقة من أن
العفة بالنسبة لشخص مثله — تُعدّ شرا . . .
ولكن ، ماذا أستطيع أن أفعل ؟

بسكال : أى إستير المسكينة ، لن تطاي منى أن أعطيه
بعض العناوين ؟ .. معذرة فلن أفعل ذلك ،
ولكن لو تعرفين كيف أشعر بعجزى عن توجيه كائن
من كان ! أترانى أستطيع توجيه نفسى فحسب ؟
إستير : إن حياتك منظمة يابسكال ، وإذا كانت على
هذه الحال ، فذلك لأنك لم تكف عن أن
تريدها كذلك .

بسكال : قد تأتى لحظة ، نبدأ فيها نقاسى من هذا النظام ،
لأننا لم نعد نبدعه .. فمن الممكن أن تتخذ -
العبودية أشكالا كثيرة ! . فمنها ما هو محترم
شديد الزخرف والزينة .. والحقيقة يا عزيزتى
إستير ، هى إننى حزين إلى درجة الموت ..
وأنا لأحب نفسى ، بل أنفر منها ...
إستير : (صائحة) ولكن إذا أنت أحببت نفسك يا بسكال
أكنت أنا قد ... ؟

بسكال : ماذا تريدین قوله ؟
إستير : لاشيء لم تعلمه أنت دائما .. (بنبرة مختلفة ،
تصطنع التعقل .) دعك من هذا لا تتظاهروا
بالدهشة ! لقد أضمرت لك دائما كثيرا من
العاطفة ، فلا تتظاهر بأنك تكتشف ذلك لأول

مرة . وأنت ، من جانبك ، تحبني .
ولقد برهنت لي على ذلك بما فيه الكفاية ! وهذا
كله طبيعي جدا . فنحن أناس أسوياء تماما ،
ليست بينهم غير علاقات سوية .

بسكال : (مرتبكا ارتبكا عميقا) . بكل تأكيد .

إستير : ثم ان الاسم الذي يخلعه الناس على مشاعرهم ،
لأهميه له ، ذلك لأنهم كثيرا ما يخطئون في
البطاقة التي يضعونها .

بسكال : أجل .

إستير : إن ما يشغلني ، هو ما سوف تقوله لمارك —
آندريه .

بسكال : ينبغي أن أسمعه أولا .

إستير : ربما أحس بكثير من الرهبة .

بسكال : أنت تمزحين ! فهو نفسه الذي طلب هذا —
الحوار .

إستير : أتوسل إليك ، ألا تدع تلك الدوامة من الشكوك
وضروب القلق التي يصارعها تستولي عليك .
فهو في حاجة إلى من يحدثه في ثقة ، في حزم .
هذا ما ينتظره منك .

- بسكال : أجل ، ولكن ، من جانبي ، يا إستير . . .
- إستير : أنى أسمع صوت رينيه عائدة مع الأطفال .
ولن تكون شديدة السرور إن وجدتني مازلت هنا ، فنحن نعرفها .
- بسكال : طلبت منى أن أكون عطوفا بابنك ، ولكن ، هل عطفت أنت يا إستير ، على رينيه ؟
- إستير : (في صلابة) - كلا ، بكل تأكيد ، لن أعطف عليها أدنى عطف . إن رينيه من اسعد من عرفت من النساء ومن اكثرهن حظوة في الحياة . فهي تملك كل ما يمكن أن تملكه المرأة : زوجا لاعيب فيه ، طفلين جميلين ، وهى جميلة ، وتملك دائما كثيرا من المال ، وهذا في نظرها شيء لا يستهان به .
- بسكال : إن حساباتك ليست مضبوطة تماما يا إستير .
- إستير : وما وجه الخطأ فيها ؟
- بسكال : راجعيها بعناية ، فربما اكتشفت أين يكمن خطأك .

المنظر الخامس

نفس الأشخاص ، رينيه

رينيه : لم أتوقع أن أراك مازلت هنا . أوه ! ليس هذا ملاما . أمكثي للعشاء ، إن كان هذا — يروقك .

إستير : شكرا ، يارينيه . مارك — آندريه ينتظرني في المنزل .

رينيه : اتصلى به تليفونيا ليحضر إلى هنا هو أيضا ، مادمنا ننتظره للسهرة .

إستير : كلا . . أشكرك . لا أحب قط هذه اللقاءات المرتجلة . إلى اللقاء . . أرجو عفوكم يا بسكال عن كل ما اضعته من وقتك .

بسكال : لا داعي لا عتذاراك ، فقد كانت هذه المحادثة ضرورية . . إلى لقاء قريب ، يا إستير .
(تخرج إستير)

المنظر السادس

رينيه ، بسكال

- رينيه : ماذا يمكن أن تكون كل هذه الأسرار ؟ أوه !
اطمئن ، فلن أسألك عن شيء .
- بسكال : لا وجود لأدنى سر ، كانت أختك تتحدث إلى
عن ابنها .
- رينيه : ولماذا في غير حضوري ؟
- بسكال : تستطيعين الظن بأنه من الأسر أن يكون الحديث
حميما بين اثنين لا بين ثلاثة .
- رينيه : الفت نظرك الى أننا قضينا وقتا طويلا على انفراد
قبل وصولك .
- بسكال : لا أعلم ان كان بينكما قط شيء من تلك الصلة
الحميمة .
- رينيه : نتيجة لخطئها .
- بسكال : المسألة ليست هنا . ولا أدري حقا لماذا أنت شديدة
العصبية ، هذه المساء .

رينيه : هذا أقل ما ينبغي . . ولكن ، كلا ، لست عصبية . . وإن كانت تعبيراتكما ، أنتما الاثنين حين دخلت . . كلا ، هذا شيء آخر .

بسكال : (في جفاء) ماذا ؟

رينيه : كان هناك . . . كلا ، من الأفضل أن أنتظر لحظة أكثر مناسبة .

بسكال : من أجل ؟

رينيه : لن نلعب ألعاباً صغيرة . سأخبرك بذلك فيما بعد .

بسكال : أذكرك بأنني سأخرج هذا المساء حوالى الساعة العاشرة والنصف ، وستكونين نائمة بلا شك حين عودتي . فليكن ذلك إذن صباح غد .

رينيه : كلا . . . سأذهب إلى القديس الكبير مع الطفلين . فالقسيس يلح على أن أصحبهما . عند عودتنا ، اذن .

بسكال : سأقضى النهار في متحف الفن مع كورتى .

رينيه : وستتناول الغداء عند والدى (تنهيدة من بسكال) أنت لطيف . . .

بسكال : أنا لم أقل شيئاً . وفي هذه الظروف ، إذا تصادف وكان ما تريدین قوله شيء عاجل

رينيه : بالمناسبة حضر ذلك الشتاينبوك ليخبرك بأنسه
سيرحل إلى مراکش . ويسأل إن كنت تعرف
هناك أحدا تستطيع أن توصيه عليه .

بسكال : كلا ، لا أعرف أحدا . وفضلا عن ذلك ، فإن
ذلك الشخص قد ترك في نفسي انطباعا سيئا .
لا بد أنه كان نازيا ، والأدهى من ذلك أنه ليست
لديه مجرد الأمانة التي تدفعه إلى الاعتراف . مما
يشير اشمترازی .

رينيه : يستوى عندي الأمر ، إن لم تفعل من أجله شيئا .
أنا مجرد ناقلة . . هذا كل ما في الأمر .

بسكال : ترى أي فساد يمكن أن يصنعه في مراکش ؟

رينيه : سيذهب إلى هناك انتظارا للرحيل إلى أمريكا .

بسكال : آه ! طيب ! هو أيضا ! الذعر يزيد حثيثا . فمند
لحظة ، أنبأوني في « نادي بن » بأن اثنين من
زملائي يخزمان حقائبهما : سيذهب أحدهما إلى
جنوب افريقيا ، والآخر إلى شيلي . وهذا كله
مثير جدا .

رينيه : من أي وجه ؟

بسكال : على أن اكتب خطابا أو خطا بين قبل العشاء .
فإلى اللقاء حالا .

رينيه : مشير من أى وجهه ؟

بسكال : ببساطة لأن الحروب في حد ذاته شعور وضيع .

رينيه : لست أفهم .

بسكال : إنه لشيء محزن . وهذا يثبت أنك نشأت نشأة سيئة جدا ، وهذا ما ظننته ، كما أنى من —
جانبي لم أكن قادرا على ...

رينيه : أكمل جملتك .

بسكال : لأجد الكلمة المضبوطة .

رينيه : إتمام تعليمي ؟

بسكال : إذا شئت .

رينيه : ما كان ذلك ليثنيني عن طبيعتي . . وأنت — .
لا تتصف بأية صفة تجعلك تدعى هذا الحق . .
وأنا أعنى . . أية صفة .

بسكال : هذا جائز جدا . غير أن المسألة ليست على
الاطلاق مسألة حق . والأرجح أن تكون .

ما علينا ، لم تتبقَّ إلى غير بضع دقائق قبل
العشاء . ولا أحب أن أضيعها في ثرثرة لا
جدوى منها .

رينيه : معي أنا تضيع وقتك ؟

بسكال :

أحيانا .

رينيه : هذا خسارة حقيقية ، لأننا في مستقبل قريب
جدا لامفر من أن نكون معا على انفراد في أغلب
الأحيان .

بسكال : (في شرود) ولماذا ؟ (صمت) لماذا يارينيه؟

رينيه : (في صوت مرتجف) عندما نكون هناك .

بسكال : أين سنكون ؟ لست أفهم شيئا على الإطلاق .

(تناوله رينيه الخطاب) ما هذا الخطاب ؟ -

(يتأمله) خطاب من كارلوس مارتينير !

(يقرأ) إلام يشير ؟ هل كتبت إليه ؟

رينيه : أجل .

بسكال : لكي تطلبي منه أن يجدي لي منصبا هناك ؟ دون

علمي ! بأي حق ؟ وهذا الشخص الذي

لا أكاد أعرفه ، سيتخيل أنك تكتين اليه

بايعاز مني ، وسيعتقد أنني من الجبن بحيث
لا أستطيع أن أفعل ذلك بنفسى !

رينيه : ما أكثر ما تستخرج من أشياء !

بسكال : كنت سأمنعك ، وأنت تعلمين ذلك ولأنك
تعلمين كتبت في الخفاء . تصرفت كطفلة
غريبة .

ولحسن الحظ ، حين أبرق هذه الليلة نفسها الى
ذلك الرجل برفضى ، فسيرى جيدا أن هذا
التصرف غير الملائم تم من وراء ظهري .

رينيه : تقول إنك سترفض ؟

بسكال : كلا ، ولكن ، بكل جدية ، أيراودك أدنى
شك في هذا الموضوع ؟

رينيه : حذار يا بسكال ، المسالة خطيرة .

بسكال : لأظن أنك تلجأين إلى إرهابي بأية صورة كانت

رينيه : أنا ، لا اعتبار لى ، هذا مفهوم . ولكن هناك
الأولاد ، فهل تأخذ على نفسك مسئولية —
تعريضهما للموت والتعذيب ، وللنفي ؟

بسكال : ولأى شيء أيضا ؟ التدرج ليس ناجحا غاية النجاح .

رينيه : أتجد في هذا مادة للمزاح ؟

بسكال : إن طفليّ فرنسيان صغيران ، وسيتبعان مصير أبويهما ، وهما أيضا فرنسيان .

رينيه : هذه الفاظ لا تؤثر على . وعلى حد تعبير ذلك

الألماني الذي قال منذ لحظة : أين هي فرنسا ؟

بسكال : إن بقاءها يتوقف علينا نحن . وأنت من أولئك

الذين يغتالونها ، أنت يا من تتخذين من رجل

الماني استاذا للتفكير .

رينيه : هل أصبحت وطنيا في الوقت الحالي ؟

بسكال : إنك لا تعرفين حتى معنى الكلمات .

رينيه : إن مفتش المالية الشاب الذي تعشينا معه ذلك

المساء قالها بحق : منذ حرب إسبانيا ، لم تعد

ثمة أوطان .

بسكال : ولكن ، لسوء الحظ ، إنه شيوعي سرى ،

مفتشك ذاك ، هذا ان لم يكن عضوا في إحدى

الحلايا .

رينيه

: سيان عندي . انه فتي غاية في الذكاء ، وأذكر
بين قوسين ، أنه سلك سلوكا رائعا جدا أثناء
الحرب ، على حين أن بعض الفرنسيين الأصلاء
ممن أعرفهم كانوا يضطجعون في بواخر عابرة
للقارات على مسند صغير مأخوذ من الهضبة
الوسطى .

بسكال

: تأخذين عليّ الآن أنني رضخت لالحاحاتك حين
رفضت الالتحاق بالجيش السري؟ لا ، وتضيفين
إلى ذلك ، أنني سيء الطوية . كان من الممكن أن
تذهب توسلاتك سدى ، لو لم أقدر أن واجبي
كان شيئا آخر .

رينيه

: واجب أقل مشقة .

بسكال

: وأنتي لم أكن أتمتع بأية صفة من الصفات المطلوبة
للحرب السرية .

رينيه

: لم تكن فرنسا تبدو قط ذات وزن كبير في نظرك
في ذلك الوقت . أوه ! أجل ، لعلها فرنسا
الخالدة ، ولكن فرنسا باختصار . . كنت تؤثر
أن تبيض خمسمائه صفحة عن جوبير . لم يكن في
ذلك ما يعرضك للخطر . ولن تمنعني من أن أقول

انك تتصف بوطنية في حالة كسوف . أما أنا ،
فالأمر عندي أبسط من ذلك ، اذ أعلن بكل
صراحة أن هذه الكلمة لا معنى لها .

بِسْكَال

: اسكتي ؟

رينيه

: لا معنى لها على الإطلاق ؟

بِسْكَال

: وعلى هذا ينبغي على المرء ألا يفكر إلا في انقضاء
جلده .

رينيه

: حياة أطفاله ، بكل تأكيد .

بِسْكَال

: وإذن ، لو لم يكن لديك روجيه وايزابيل ، لما
فكرت في الهجرة عن وطنك ؟

رينيه

: لست أدري . . . هذه الـ "لَوْ" لا تهمني .

بِسْكَال

: أما أنا ، فازعم أن طفليك مجرد ذريعة ، وأنت
خائفة خوفا شديدا ، خوفا من العذاب ، ومن
الجوع ، ومن الجراح والتعذيب . . .

رينيه

: بالطبع ، أشعر بالخوف . وأنت أيضا . ليتك
أبصرت نفسك حين فضضت الخطاب غير
الممهور .

بِسْكَال

: وهكذا تتهمني في وقت واحد بأنني خائفة

وبأننى أتصرف كرجل لا يخاف شيئا .

رينيه : بالضبط . وهذا التناقض هو الذى يثيرنى ،
ويقززنى والحقيقة هى أنك تكذب على نفسك ،
وأنت تسعى إلى اقناع نفسك بأنك لست خائفاً ،
على حين أنك تشعر أحيانا بالقلق .

بسكال : أنت لا تفهمين شيئا . فمن المؤكد أن ثمة لحظات
من القلق الجثمانى تعترينى حين تخطر لى فكرة
ما قد يفرض على من سوء المعاملة ، وأنا لا أفكر
فى إنكار ذلك لحظة واحدة ، سواء أمامك ،
أو أمام نفسى . كل ما فى الأمر أننى عقدت عزمى
على ألا أحسب لذلك حسابا ، وأن أتصرف كما
لو كان هذا الخوف غريبا عني .

رينيه : ولماذا اخترت هذا الموقف ، من فضلك ؟

بسكال : إنها مسألة شرف .

رينيه : بل قل إنها مسألة جمالية . إنك ترعى روحك
الجميلة كما ترعى المرأة الجميلة حسننها . وفى
سبيل هذا الاهتمام الشخصى ، التافه ، تنوى
تضحية زوجتك وطفليك ! هذا شيء غاية فى
البشاعة . وأنت الآن تعنى بما سيكتب عنك بعد

موتك . أما أنا ، فأريد أن أعيش .

بسسكال

: في الوقت المناسب ، ها نحن أولاد .

رينيه

: أولا ، لمن أضحتي ؟ ومن المستفيد من وجودنا

هنا ؟ أما كتبك ، إذا كانت لها قيمة - وهذا

ما أجهله - فيمكنك أن تكتبها في أي مكان ، بل

ربما كان أي مكان خيرا من هنا . وما فائدة

أمثالك حين تنسحق باريس تحت القنابل ، أو حين

تُسَلَّم لجانين الضاحية الحمراء ؟

بسسكال

: ما هكذا يكون التفكير السليم . ولن أضرب بنفسى

مثلا على الجبن ، ولن اسهم في أن أعرض على

كائن من كان صورة لفرنسا ناكرة لنفسها في

الذعر والعار . . والآن ، هيا إلى العشاء .

رينيه

: العشاء ! يتصور أنني سأتناول العشاء !

بسسكال

: أما أنا ، فساتظاهر ، على كل حال ، من أجل

الأولاد فحسب ، تعالى •

الفصل الثاني

نفس المساء ، عقب العشاء

المنظر الاول

بسكال ، مارك - آندريه

(الذي دخل من توه ، ولم يخلع معطفه بعد)

بسكال : مساء الخير ، يابني .. عليك أولا ، أن -
تتخلص من هذا المعطف . (مارك - آندريه
يخلع معطفه ، ويضعه على مسند أحد المقاعد .)
سعيد برويتك . لماذا لاتدعو نفسك بدون تكيف
للغداء أحيانا ؟

مارك آندريه : أكاد أقضي النهار كله تقريبا في الحى اللاتيني .
وأنتم تسكنون بعيدا .. ثم اننى لأحب أن
أشعر بالتطفل .

بسكال : ولكن أنت مجنون ... لشدة ما عانى من
افتقارى إلى كل اتصال بالفتيان من سنك . وهذه
فرصة لاستئناف هذا الاتصال .. فمرحبا بها .

مارك - آندريه : أعتقد أنك ترانا جميعا مخبيين للآمال ، وأنا أولهم :

بسكال : مخبين للآمال ؟ وأسفاه . ألسنا نحن ، أغنى الأشخاص من جيلي - ألسنا نحن الذين خيبتنا أملككم ، نحن الذين تركنا هذا العالم ينحدر صوب الرعب والجنون ؟ أعلم جيدا ، أننا لانتحكم " تحكما مباشرا في الأحداث ، ولكن هل كانت رؤيتنا واضحة بما فيه الكفاية ؟ وهل عرف أولئك الذين يملكون منا وسائل التعبير إطلاق التحذيرات الضرورية في الوقت المناسب ؟

مارك - آندريه : ما كان أحد سيفهمهم .

بسكال : وكيف نستطيع أن نعرف ذلك ؟ من المريح حقا أن يُطمئن الإنسان نفسه على هذا النحو . ولا ينبغي أن نكون قديرين بالنسبة للمستقبل . ولكن ، علينا في الوقت نفسه أن نعترف بأن الأخطاء كان يمكن تجنبها ، كان أماننا الاختيار ، ولكننا اخترنا الطريق الخطأ ، ولو أننا قضينا على الهتلرية في مهدها . . . ألا تعتقد ذلك

مارك - آندريه : أنا لأعرف شيئا عن هذه الأمور ، ولا أهتم

كثيرا بالتاريخ . يكفيني الحاضر . . إنه يكفيني
لو أن المرء يستطيع ان يجد فيه متنفساً .

بسكال : اذن فأنت تبحث عن مهرب ؟

مارك - آندريه : لو كنت شاعرا أو موسيقيا ، فاعتقد أنني كنت
أستطيع قبول كل شيء ولكني حرمت
هذه المواهب كما حرمت المواهب الأخرى -
جميعها .

وهذا شيء ألمسه حين أقارن نفسي بزملائي . .
لست أملك أية موهبة . حتى حواسي التي لم
تستيقظ . .

بسكال : (مخرجا) يا بني . . .

مارك - آندريه : هذا شيء غريب ، فأنا لأشعر بأى حرج حين
أفضي إليك بذلك ، بل على العكس ، أشعر
بأن هذا يزيح عبئا عن صدري . لابد أن هذا
راجع إلى مقال لك قرأته حديثا عن آميل ،
وصعوباته الحميمة . . . وقد حاولت . . مع
بعض البنات . . وأيضا مع صبي ، وخاصة
مع صبي . هل أصدملك ؟

بسكال : كلا ، يا صغيري .

مارك - آندريه : إنه يبحث الأشمتراز في نفسى ، بل إنه ترك
عندى ما يتركه ضرب من الشغل الفطيع . . .
ولا أعتقد أن المرء يمكن أن يسمى هذا ندما .
ثم لماذا كان ذلك شرا ؟ أعتقد أنه شر يا عمى
أن يتحاب الأولاد ؟

بسكال : لأستطيع أن أجيبك ، فقد تلقيت تراثا مسيحيا
ربما أكون قد اسرفت في إنفاقه . وهذا الميراث
ينطوى على عدد من النواهي لم أتجشم أدنى عناء
في مراعاتها فلو كنت في مثل سنك وجاء صبي
ليعرض على أن . . . لطرده بعدة ركلات من قدمي .

مارك - آندريه : طبعاً . . . ولكن حين يبلغ روجيه السادسة
عشرة أو السابعة عشرة ، ماذا تقول له عندئذ ؟
أستكون من أولئك الآباء الذين يحجمون عن
مناقشة موضوعات معينة بصراحة مع أبنائهم ؟

بسكال : إن روجيه وإيزابيل يذهبان الى القديس ، كما
أنهما أديا تناولهما الأول ، بل لقد أدياه في
حماس . وآمل أن يعمر الايمان قلوبهما فالحق
أنه في سنهما . .

مارك - آندريه : أنت ترجو أن يعمر الايمان قلوبهما . فهل أنت

على يقين تام من أنه مازالت لهذه العبارات أية
دلالة ؟

بسكال : مازالت ؟ ماذا تريد أن تقول ؟

مارك - آندريه : أنت تعرف ، أن أمي تمت أن أكون بروتستانتيا
أوه . على مذهب بروتستانتى متحرر بقرار
الامكان . وانضمت إلى مدرسة الأحد ، واستمعت
طيلة عامين إلى مواعظ الراعى بروسبون . وانتهى
بى الأمر إلى أن استأذنت منه في توجيه بعض
الاسئلة إليه . وفي خلال تلك المحادثة اكتشفت
أن ذلك الراعى لا يؤمن ببعث المسيح . ولأنى
لأتذكر الكلمات التى استخدمها . قال لى هذا في
غاية من البساطة . فكان ذلك ضربة لازب . إذ
ينبغى أن نفهم البعث بمعنى رمزى . . رمزى بحث

بسكال : يا بنى المسكين .

مارك - آندريه : ومنذ تلك اللحظة ، أخذت أنفر من البروتستانت ،

بسكال : إنهم لا يفكرون جميعا على هذا النحو . . بل
أبعد من ذلك كثيرا والكاثوليك . . .

مارك - آندريه : هؤلاء ، لأنهم يمنعونهم عن ذلك .

بسكال : لا أعتقد أن المسألة بهذه البساطة ، ثم إنى أظن

أخيرا أنك لم تطلب التحدث معى لكى تكلمنى
عن الدين ، أو لتطلب منى رأيى فى الحب الاغريق .

مارك - آندريه : كلا ، بكل تأكيد . ولكن المسائل جميعا
مترابطة ، على ما يبدو لى .

بسكال : وكيف هذا ؟

مارك - آندريه : أتتصور الجو الذى أعيش فيه يا عمى ؟

بسكال : أولا ، أن لك أما لا تحيا إلا من أجلك .

مارك - آندريه : ستتحدث عن أمى حالا . ولكن ما مستقبلى ؟

بسكال : المستقبل مجهول بالنسبة لنا جميعا ، وأتفق معك
فى انه مشحون بالخطر .

مارك - آندريه : (منتعشا) عشت ، وانا لا أعلم جيدا كيف

كانت حياتك ، ولكنك على كل حال ،
كتبت ، وأحببت ، وآمنت بأشياء . . . وإن
كنت لا أعلم بما آمنت . وفى مثل هذه الظروف
لا تتخذ كلمة المستقبل نفس المعنى الذى تتخذه
بالنسبة لنا نحن الآخرين . فلا بد أنك تشعر على
الاقل بأنك حققت رسالة معينة .

بسكال : هذه كلمة كبيرة ، وأنت ترغبني على أن أقوم
بفحص ضميري .

مارك - آندريه : (في رفق بالغ) عمي بسكال ، من أنت ؟
(صمت)

بسكال : (في صوت متغير) انت تفهم يا مارك - آندريه
عشتُ في فترة لم تكن مرغمين فيها على وضع
مثل هذه الأسئلة ، كنا محصورين في إطار ،
ومحمولين أيضا .

مارك - آندريه : ولكن ، اليوم ؟

بسكال : تداعت الصروح . ، هذا حق ، ولم تبق إلا الكنيسة
مارك - آندريه : ولكن بالنسبة لمن ليس لديه . . . فلنقل إذا شئت
سعادة الاعتقاد ، بالنسبة لي ، او بالنسبة لك أنت ،
أليس كذلك ؟ ما الكنيسة ؟ أناس في أسبانيا
وايطاليا وكندا يعقدون اتفاقات مع الرجعية ،
ويقدمون ذريعة للماركسيين .

بسكال : ليس ماتقوله باطلا تمام البطلان ، ولكنك تردد
ما حفظته في هذه اللحظة . . ومالا أفهمه جيدا
هو : لماذا لم تكن شيوعيا . ؟

مارك — آندريه : كلا ، فى رأى أن ذلك ليس حلاً .

بسكال : هذا أفضل .

مارك — آندريه : تقول هذا أفضل . ولكن ربما كان أسوأ .

بسكال : (فى مودة) أفضل بالنسبة لى ، ما دما نستطيع الاستمرار فى التفاهم .

مارك — آندريه : أهذا على تلك الدرجة من الأهمية ؟ أهذا هو ما يساعدنى على أن أحيأ ؟ لقد تحدثت لتوك عن أمى ، وعن حبها لى . بكل تأكيد . ولكنه حب ثقيل فى تحمله ، إن كنت تعلم . آه . لو كان لى إخوة وأخوات . أما الشعور بأنك كل شىء بالنسبة لمخلوق ما ، فهذا شىء لا يحتمل ، بل هذا يحول دون الوجود . وليس من شك أنها على استعداد لبذل كل التضحيات فى سبيلى ، ولا أريد أن أقول إنها تجعل هذه التضحيات تُثقل على . كلا ، إنها لا تعتمد ذلك ، بكل تأكيد بيد أن نكران الذات نفسه ، شىء مُعَذِّب . ولو أن أبى عاد من المنفى — يا عمى بسكال — أو لو أن هناك أحداً غيرى فى حياة أمى . . . (يسدد إليه النظر . . .) أحداً تحبه .

بسكال : (منزعجا انزعاجا عميقا) ولكن ، أين يذهب بك الخيال ؟ وفضلا عن ذلك ، أنا لا أفهم . أتريد أن تقول . . . ؟ أبسيبها لا تستطيع أن تنضم إلى الشيوعية ، بسبب ما قد يبعثه ذلك من حزن في نفسها ؟

مارك - آندريه : ولكن كلا ، ليست هذه هي المسألة . وربما تخيلت هي ذلك ، ولكن ليس هذا صحيحا . وعلى الرغم من كل النفور الذي تثيره الشيوعية في نفسها ، فربما احست بشيء من الارتياح ، أن أحدا غيرها يتولى أمرى ، أو تبنانى إن شئت .

بسكال : لا أعتقد ذلك .

مارك - آندريه : ولكن ثمة سؤال مباشر يوجه إلى . وبهذا أصل أخيرا إلى الغرض الحقيقى من زيارتى . . لقد عازمت على مغادرة فرنسا .

بسكال : آه !

مارك - آندريه : إن رفيقا يرتبط أبوه بعمل ضخم في افريقيا الاستوائية عرض على أن يصحبني معه . ولكنى ، لا أفكر قطعاً في أن والدتي تستطيع مرافقتي . أولاً ، لأنها لن تحتل الطقس ، ثم انها على كل حال . .

بسكال

: (في شيء من الجفاء) ولكن ، إذا كنت أفهم
جيدا ، واضعاً في اعتباري كل شيء ، فإن
مشكلتك الشخصية لا تبدو لي شديده التعقيد ،
فأنت مثل آلاف الشبان الفرنسيين في هذه الآونة ،
إن كان لي أن اعتقد فيما يقال . وأنت تخشى مما
قد يحدث هنا ، وهذه فرصة رائعة تلوح لك لكي
تجعل نفسك بئامن من كل شيء ... ولكن
يا للعجب . أنت لا تجهل الحزن الذي سيسببه
رحيلك لأهلك ، وها أنت تأتي لتستجديني ضماناً
لا أعرف نوعه . سأحدث إليك بكل صراحة ،
يا صغيرى . إن أهلك إنسانة هشة ، وأنا مقتنع أنها
لن تعيش طويلاً بعد انفصال يحتمل ان يكون نهائياً .

مارك - آندريه : إنك تتحدث إلىّ بغتة في قسوة بالغة ، يا عماء .
والطريقة التي قلت بها « لكي تجعل نفسك
بئامن . . . » أمن الاجرام ألا يريد المرء أن يموت
. . أن يموت من أجل لا شيء ؟

بسكال

: وكيف ، من أجل لا شيء ! لعلك تنسى من قبيل
المصادفة ؟

مارك - آندريه : كلا ، أتوسل إليك ، ألا تحدثني عن المدينة الغربية . أين هي ، تلك المدينة ؟ ماذا صنعت بنفسها ؟ وأية فرصة تملكها للبقاء ؟ وأنا الذي لم أعرف منها سوى السقوط والانحلال ، لماذا ينبغي أن أكون من شهدائها ؟ أولا شهيد . . . معناها أن أكون شاهدا . ولكنني لا أستطيع أن أشهد في صفها . ربما استطعت انت ، هذا ما أعترف به . واني لأقولها لك مرة أخرى ، إنني أجهل من تكون . ومعرفتي بهذا الآن أقل من أي وقت مضى .

بسكال : (بصوت متهدج) ماذا جئت تطلب مني ؟

مارك - آندريه : سأحاول ، في لحظة . . وإن كان ذلك عسيرا على ، بل لا أدري إن كان لي الحق فيه . ولكن ، دعني أقل لك أولا ، إن هذا الأمر لا يتعلق بي ، بكل تأكيد ، وربما كنت لا أفهم شيئا . ولكنني لأدرك لماذا تحكم بمثل هذه القسوة على من يرحلون . . وهل تستطيع أن تتأكد في الأيام الرهيبة - من أنك أنت نفسك لن تندم على عنادك ؟ . أنا لا أتحدث عن خالي رينيه ، وعن الأطفال . . ولكن أنت . . أنت !

بسكال : (بصوت متغير) هذه مخاطرة . ولا أدري ما سأفكر فيه حينذاك . أعترف لك بأنني لا أستطيع أن أتخيل تلك اللحظة .

مارك - آندريه : إن والد زميلي دنيس موري - وهو مؤمن صادق ، بل ربما كان المؤمن الوحيد الذي - التقيت به - يعمل مهندسا ، وقد رفض منصبا عرضوه عليه في المكسيك . وقال لابنه : - « أنت تفهم ، أنني لأعلم اطلاقا ما يصنعه هذا الحدث بي ، ربما جعل مني رخوا أشل . أنا لأبأ بالغ في الثقة بقواي ، ولكني أومن بالله ، وأحسب أنه لن يتخلى عني ، وأنه سيجنبني السقوط التام وأنه إما أن يستردني ، أو أن يمنحني القوة لاحتمال التعذيب . » هذه كلمات وجدت في نفسي صدى ، وإن يكن مثل هذا الايمان يكاد يكون غير مفهوم عندي . ولكن أنت يا عماه . اتستطيع بكل ماتملك من وعي أن تضعه في - حسابك ؟

بسكال : (في تواضع ، بعد فترة من الصمت) كلا . بكل أمانة ، لا أستطيع أن أفعل ذلك .

مارك - آندريه : ولكن ، ماذا إذن ؟ . .

بسكال : (دون أن يجيب) أثناء محادثة مضنية جدا دارت بيني وبين خالتك منذ لحظة قلت لها : هناك شرفي كمواطن فرنسي .

مارك - آندريه : (مندهشا) شرفي كمواطن فرنسي ؟

بسكال : (في قلق) اتخلو هذه الكلمات بالنسبة لك من كل معنى ؟

مارك - آندريه : ياعمى بسكال ، فلتعترف بأنه باسم الشرف إدعى الناس خلال أربعة أعوام تبرير أنواع متعارضة من السلوك . وينبغي الاعتقاد بأن هذه الفكرة ليست شديدة الوضوح .

بسكال : ولكن اليوم . . .

مارك - آندريه : أنا لأرى لماذا يقف الشرف في صف الانتحار ، ثم إن الشيء المؤكد هو أن الأبناء لم يُستشاروا أ لهم ، هم أيضا شرف ، على سبيل التفويض ؟

بسكال : ومن الذي أخبرك بانني لأأنوى وضعهما بمأمن؟

مارك - آندريه : وحدهما ؟

بسكال : (في عصبية) : وأمهما معهما ، هذا شيء

مفهوم . . ولكنى لم أفهم الى الآن ما تنتظره

منى . ماذا هناك ؟ لماذا انزعجت هكذا بغتة ؟

مارك - آندريه : لست أدري ان كان من حقى أن أقول لك . . .

بسكال : الحق ؟ اليس من المستحسن بالنسبة للحفريات

من أمثالى أن ينشغلوا به ؟

مارك - آندريه : أنت لاتفهم . إني اهيتُ نفسى لافشاء سر .

فليكن . . عندما قلت لك منذ لحظة إن أمى لم

تحب سوى . . لم اذكر ال . . . على كل

حال ، لعلها تعتقد ذلك . أما أنا ، فعلى يقين

من أن هذه ليست الحقيقة .

بسكال : حذار !

مارك - آندريه : كلا . . فات الأوان ، ولم أعد أستطيع -

التراجع ، وفضلا عن ذلك ، فاني أقرأ في

عينيك . انك تعرف فعلا ما أتأهب لقوله لك .

وأنت تظن انها لم تبج إلى بأى سر . ولكن في

كل مرة ينتقدونك على مرأى ومسمع منها ،

تنبرى للدفاع عنك في حماس وحرارة . وحين

تكون قد التقت بك في معرض أو حفلة

موسقية ، فأنها تردد ماقلته كلمة كلمة . .

فاذا رحلت أنا ، لم يبق غيرك لكى يربطها

بالحياة .. عماه ، فلتقسم لي بأنك لن تتخلي
عنها .

بسسكال : (دون أن يجيبه) وعلى هذا النحو ، اتخذت
موقفك ؟

مارك - آندريه : وهل قلت كلمة واحدة من شأنها أن تغير
فكرى ؟ ولو أنك استطعت أن تخبرني باخلاص
مطلق : ان ارادة الله تقضى بأن تبقى ، وأنتك
حين ترحل عن وطنك ، فانك تعصى الله .

بسسكال : أكان هذا يقنعك ؟

مارك - آندريه : ربما لو حدث من خلال هذه الكلمات شيء
يجعلنى أحب هذا الاله الذى يتطلب الكثير ،
ولو أنه أصبح لي لمح البصر إلهنا نحن الاثنين .

بسسكال : (بصوت خافت) لم يكن ذلك في قدرتى .

مارك - آندريه : كم تبدو عليك التعاسة فجأة ، ياعماه .

بسسكال : أما فيما يتعلق بوالدتك ، فلقد كان كل منا
يكن دائما مودة للآخر . كيف يمكنك أن -
تفترض لحظة واحدة أننا سنتخلي عنها، خالتك
وأنا ؟

مارك - آندريه : لا تقل « نحن » ، فان خالتي رينيه لا تدخل في حساب أُمي ، وأُمي لا تدخل في حساب خالتي رينيه . فلست أعمى . . ومادامت خالتي سترحل مع الأطفال

بسكال : ولماذا لا ترحل والدتك ، هي أيضا ؟

مارك - آندريه : أعرف - وأنت لا تجهل ذلك مثلي - أنها لن تتحرك إلا اذا سحبها أحد بالقوة . وهذا «الأحد» لا يمكن أن يكون إلا لك .

بسكال : يا بني ، لا تستطيع أن تجعلني مسئولاً أيضا عن حياة والدتك .

مارك - آندريه : ولم لا ؟

بسكال : ليس لك أن تلقى على كتفي واجبا يُكَبِّلُك ، أنت ابنُها .

مارك - آندريه : هذا باطل .

بسكال : إنها البيئة الواضحة .

مارك - آندريه : قلت لك ، إنه باطل . لست مسئولاً عنها . نحن لا ننتمي إلى نفس العالم . إنها تحيا مع أبي ومع أولئك الذين فقدتهم وتحيا معك ، إنها تنتمي إلى

الماضى . أما أنا فأريد بكل قواى أن أحيا حياتى .
اريد ان احيا حياتى

المنظر الثاني

نفس الأشخاص ، رينيه

رينيه : صباح الخير يا مارك — آندريه . (إلى بسكال)
الساعة بعد العاشرة والنصف ، وقد اعتقدت أنك
تنوى الخروج .

بسكال : ليس الموعد على درجة كبيرة من الاهمية (تشعر
بارتباكة .) آه ! سأتصل بالتليفون لأقول لهم
ألا يعتمدوا على . (إلى مارك — آندريه) لا تذهب
فثمة كلمة أريد أن أقولها لك .

(يخرج . فترة صمت)

مارك — آندريه : (بلهجة مصطنعة) هل روجيه وايزابيل على
ما يرام ؟

رينيه : إن صحتهما معتلة ، ولا سيما روجيه . الواقع أن
الاطفال المفرطو الحساسية للجسم والمعنوى .
اصطحبتهم ابنة عمى فويار في الايام الأخيرة إلى
فيلم سخيف . وفي الجريدة السينمائية شاهدوا

مناظر بشعة من الحرب الكورية . . . فعاد روجيه
— وهو مرهف الحس إلى أبعد حد — مريضاً
تماماً . فما كان مني إلا أن كتبت خطاباً للاحتجاج
فمن العار أن تُعرض هذه الفظائع على الشاشة .

مارك — آندريه : ربما لم يكن من السوء أن يعلم الناس . . .

رينيه : من ، الناس ؟ خمدت الحساسية ، ولم يعد هناك
من يتأثر ، سوى الاطفال وحدهم .

مارك — آندريه : ثم ! . . .

رينيه : إني أتحدث عن أطفال حقيقيين ، عن طفلينا .
لم أعد أستطيع انتظار اللحظة التي انتزعهما فيها
هما الاثنان من هذا العالم الملعون . ألم يخبرك عمك
بشيء مما يحدث لنا ؟

مارك — آندريه : كلا .

رينيه : عرضوا عليه كرسيًا في إحدى جامعات البرازيل .

مارك — آندريه : (في دهشة شديدة) أوتعتقدين أنه سيقبل ؟

رينيه : انه يتظاهر بأنه عازم على الرفض . ولكني أؤكد
لك أنه سيغير رأيه . ماذا بك ؟

مارك - آندريه : (بصوت خافت) أفكّر في المحادثة التي دارت بيني وبينه منذ لحظة .

بسكال : (عائداً) لقد ألغيت الموعد . ينبغي أن أنشر مراسلاتي .

مارك - آندريه : يكتبون إليك كثيراً ؟

بسكال : إنهم يجعلونني أسهم في الاحاطة بكل ما يدور في العالم . . هل قرأت ما كتبه دو هاميل أخيراً ؟

مارك - آندريه : كلا .

بسكال : اقرأه . . فان ما كتبه صحيح ، وسيبقى من بعده .

مارك - آندريه : أعتقد أن ثمة شيئاً سيبقى فيما بعد ؟ . . أجل ، ربما في أعماق مكتبة في ستياجو عاصمة شيلي ، أو في كيبتاون . . ولكن ، هل سيكون ثمة قراء ؟ أوجب استطلاع يبقى للعقل ؟

(رينه تنفجر منتحبة)

بسكال : اسكت ، يا صغيرتي ، اسكت . اتركنا الآن

أريد أن أذكرك فحسب لتقول لوالدتك كي تتصل بي بالتلفون غداً مع السلامة

(يعانقه)

المنظر الثالث

بسكال ، رينيه

بسكال : اهذهنى ، يا صديقتى المسكينة ، ينبغى ألا تعلقى
أية أهمية على ما يقوله ذلك الطفل .

رينيه : (فى نحيبها) أنت تعلم جيدا أنه على حق .

بسكال : كلا . إنه مجرد صدى لتنبؤات لامعنى لها .
أيستطيع المرء أن يعرف ؟ .. هل يلجأ العالم
إلى القنبلة الذرية ؟ أميل بقوة الى الاعتقاد بأنه
لن يفعل .

وهذه المسألة مثل حرب الميكرويات ..

رينيه : ومن أدراك ؟

بسكال : أوه ! لست ناقما عليه . بل على العكس ، انى
أشعر نحوه بعطف عميق .

رينيه : (فى شدة) ليس لديه ما يشكو منه أكثر من
سواه .

بسكال : ربما كان لديه يارينيه — أكثر من غيره . لقد
فقد أباه .

رينيه : ليس وحده فى ذلك .

بسكال : إني ألوم نفسي على تقصيري في واجباتي حين
لم أسهر عليه السهر الكافي .

رينيه : أنت تعلم تمام العلم أن إستير كانت تتهمك
بالتدخل في شئونها لو اردت الاعتداء على
حقوقها . .

بسكال : لا أظن ذلك حقا . ثم ، من الذي يتحدث عن
حقوق ؟ كلا ، الواقع أن ما شعرت به خلال
تلك المحادثة الطويلة هو أنني لأملك وسيلة
أساعد بها هذا الطفل ، وأشد من عزمه . -
والأسرار التي أفضي بها إلى . . ياللبشاعة . .
انه ينتمى إلى أفقر جيل ظهر على سطح الأرض
لانه لم يعد يؤمن بشيء .

رينيه : وأنت ؟ أتراك تؤمن بشيء ؟ أتصبحنا ولوحتي
إلى القداس ؟

بسكال : (في كمد) . المسألة لا تتعلق بي في هذه اللحظة ،
يا رينيه .

رينيه : اعترفت بنفسك انك غير قادر على توجيهه
ثم إن أمه . . يعلم الله أية أخلاق تلك . جميل
والآن ، ها أنت ترى النتيجة .

- بسكال : إن الأخلاق لا تُنقل من شخص إلى آخر .
- رينيه : كفانا حديثا عن هذا الصبي الذى لا نستطيع أن نفعل من أجله شيئا : لأنا ولا أنت . هل -
أمعنت الفكر ؟ وفضلا عن ذلك ، أتساءل -
كيف ستجد الوقت
- بسكال : محادثتى مع مارك - أندريه ، لم تصرفنى عن المسألة التى تشغلك ، بل على العكس . إنى أعتقد انه ليس من حقى معارضة رحيلك عن فرنسا .
- رينيه : وكيف ؟
- بسكال : أنت والطفلين .
- رينيه : أنت مجنون تماما اتصور أنك تستطيع فصل مصيرك عن مصيرنا ؟
- بسكال : ولم لأستطيع ، على الأقل ، مؤقتا ؟
- رينيه : هذا المؤقت نفاق خالص . وأنت تعرف مثلى أننا لو لم نرحل الآن ، فلن نستطيع الرحيل إطلاقا .
- بسكال : أنا لأعرف شيئا ، ولا أنت ايضا .

رينيه : وفي اليوم الذي ستجد فيه أن الوقت قد حان ،
سيكون الأوان قد فات . ثم ، هل أنا ، وهل
الطفلان ، هل نحن الذين وجهت لنا الدعوة ؟
انهم لن يقبلونا الا لأنك تعولنا ، فلا مكان لنا
في سان فيليب — وحدنا بدونك .

بسكال : إن كارلوس ولينيس صديقاك .

رينيه : لن أذهب إلى هناك متطفلة .

بسكال : هذا الذي تستسلمين إليه الآن ، نوع من
الابتزاز .

رينيه : إنني أقتصر على عرض الوقائع . لن نرحل —
بدونك لأن هذا مستحيل ، وكذلك لأنني لا أقبله

بسكال : لماذا ؟

رينيه : أأحتمل أن يقول الناس عني : لقد تخلت عن
زوجها ؟ .. أعتقد حقا أنني أأحتمل ذلك ؟

بسكال : آه حسن . اذن فأنا مُثَبَّت في مكاني .. الخوف
مما يقوله الناس ، وتريدين أن انحنى أمام
شعور بائس كهذا ؟ انظري يارنيه ، لو أنك
جئت تقولين لي : لن أعيش إذا علمت أنك
في خطر على حين أنني بمأمن ..

رينيه : بكل تأكيد .
بسكال : تقولين : بكل تأكيد . دائما مثل هذه الكلمات
لاتنطقينها ، وربما كان هناك ما يدعوني إلى
الاعتراف بجميلك ، لأن ذلك يمكن أن يكون
أكذوبة . . .

رينيه : بسكال !
بسكال : أنا لا أقول أبدا إنه لن يسوءك أن تعلمي أنني تحت
القنابل ، أو أنني في صراع مع مالا أدريه من
« التشيكا » - أنا أعلم أن ذلك سيسوءك جدا .
فأنت لست مسخا ، بل أنت طبيعية بفضاعة ،
يا مسكينتي رينيه .

رينيه : ماذا يعني هذا : طبيعية بفضاعة ؟
بسكال : هذا معناه أنك لم تهئي لمعاناة مشاعر مطلقة . .
كلا ، كلا ، لا تقولي عكس ذلك .
أوه . بكل تأكيد هناك طفلان ، ولكنك
تحبينهما كما يحرص المرء على جلده . . كلا ،
كلا ، كلا يارينيه ، المطلق لا يدخل ضمن أوتارك .

رينيه : ماذا يعني هذا المطلق ؟
بسكال : الوفاء ، ولا شيء سواه .

رينيه : أتتهمنى بأننى قد خنتك ؟

بسكال : ليس ثمة ما هو أبعد عن فكرى وليس لدى أدنى دافع إلى افتراض أنك نختنى كما تقولين ، وأضيف - عابرا - أنك حتى لو سقطت - يوما بتأثير مفاجأة من مفاجئات الحواس ، فربما لم يكن الأمر خطيرا في عيني . . .

رينيه : عجيبة ! . .

بسكال : نحن لسنا في المسرح نشاهد مسرحية لهنرى - برنشتاين أو لبورتوريش . كلا .
الوفاء - يارينه - ليس امتناعا . لقد رأيتك يلمع - منذ ساعات ، في نظرة لم تكن من نظراتك .

رينيه : أية نظرة ؟ وأى وفاء ؟ انى أطالبك بأن تفصح عن نفسك .

بسكال : لست طوع أمرك . وليس لك أن تطالبي بشيء .
واذا كنت لاتفهمينى ، فأنا على العكس ،
أقرأ نفسك كأنها كتاب مفتوح .

رينيه : هذا شيء غير مؤكد . . .

بسكال : إن ماله قيمة في نظرك هو أمثلك ، وأمنُ —
طفليك . كل هذا طبيعي ، للمرة الثانية ..
ولنصف أمني أنا ، إذا كان ذلك يسرك ،
لأن ثمة أسبابا تتعلق بالراحة وبـالاحترام —
الانساني ، ربما لم تجعلي من اليسير عليك
في الواقع ، أن تفصلي مصيري عن مصيرك .

رينيه : ثم ؟

بسكال : ثم ، إني لم أعد أرى ، لقد أطبق على "الظلام" .

(صمت)

رينيه : (في ارتياح) أعتقد أنك لم تكن تتحدث على
هذا النحو منذ ساعتين ..

بسكال : (في عنف) أراك تعتقدين فعلا أنك واثقة من
الانتصار . ولكنك مخطئة ، يارينه . فالشرف
موجود ، رغم كل ماتقولونه عنه ، أنت ومن
على شاكلتك . وستبقى فرنسا ، مادمت أشعر
أنني مازلت فرنسيا .

رينيه : ومن طلب منك إنكارها ؟ ألسن يبقائك —

ثمخاطر على العكس ، بأن تصبح مرتدا ؟ إلى
لأذكر ماقلته لى ذات يوم أثناء وجود الجستابو.
ألا تعرف إلام أشير ؟

بسكال

: كلا .

رينيه : ما أسوأ ذاكرتك يا صديقي . عندما قضى رجل
المضلات الانجليزى عندنا ليلة في ٤٣ شارع -
لاروش . سان - هيريم ، وأراد أن ينقل
إليك تعليمات سرية لأعلمها ، ما زلت أسمع
صرختك : كلا ! صحت في وجهه ، كلا ،
لأريد أن أعرف شيئا ، لأريد أن أحمل سرا
يمكن أن ينترعه التعذيب منى

بسكال

: كنت على حق .

رينيه : بلا شك ، ولكن ، استخلص النتيجة . أنت
لست شخصا قويا يا بسكال ، ولست واثقا
من نفسك . وسأخبرك بشيء آخر لاحظته مرارا
أنت تحب الترحيب ، حتى بالخصم ، بل على
الأخص ، بالخصم . ولأنك تخاف من نفسك
مما يسميه أصدقاءنا بروح الضيافة ، لم تشأ -
الرجوع إلى باريس وهي تحت الاحتلال مع أنك

لم تكن تخشى شيئاً سوى نفسك . . وهذه —
حقيقة هي المقاومة الوحيدة التي تستطيع أن —
تزو بها ولكن ، أيمكن أن نسمى هذا شجاعة
أيمكن أن يكون الخوف من الخوف شجاعة ؟

بسكال : (في قوة) أصفى إلى . ليس من اليسر
غاية اليسر أن نجرد أفعالنا جميعاً من صفاتها —
فنتنسبها إلى الأناية أو إلى الجبن . . ولكني لأعلم
ما هو أدنى من ذلك السرور الذي يجده المرء في
تجريد إنسان من صفاته ، ولا شيء أشد عمى
للبصيرة . ولو كنت أخاف من الخوف كما
تقولين ، لكنت قد رحلت .

رينيه : سترحل . . وسرحل .

بسكال : لو كنت خائفاً ، لما أقدمت على تلك المخاطرة
التي تلوحين لي بها بذلك البريق الشرير في عينك ،
مخاطرة أن أكون متواطئاً ، وأن الوث شرفي .

رينيه : لم يعد ثمة شرف .

بسكال : لم يعد هناك إذن إلا اختيار العار الذي نفضله .

رينيه : لم يعد ثمة شرف .

بسكال : لماذا تتحدثين منذ خمس دقائق دقائق بهذه —
السلطة ، وهذا العناد ؟

رينيه : ابحث .

بسكال : ماذا ؟

رينيه : هذه السلطة تأتي منك ، وصوتي ، هو صوتك
إنه صوتك الصادر من الأعماق .

وهذه الكلمات التي تجرحك ، أنت الذي —
توحى بها إلى . . إنها الكلمات التي لا تجد عندك
الشجاعة بعد للاصغاء إليها من قرارة نفسك
(صمت . ثم بصوت متغير .) والواقع ،
ما هذه النفس الوفية ، وتلك النظرة غير العادية

بسكال : (بعد هنيهة) زميل من الليسيه التقيت به مرة
أخرى هذه الأيام الأخيرة . . إسرائيلي .

رينيه : أتعرفه إستير ؟

بسكال : جازز . أجل ، من الممكن أن تكون إستير قد
التقت به .

الفصل الثالث

بعد انقضاء يومين

المنظر الاول

بسكال ، روبير

روبير : لماذا تصر على الانكار ؟ لقد قصت رينييه كل شيء على أمها ، وهذه سارعت بدورها إلى -
ترديدها على مسامعي .

بسكال : أتردد كثيرا على حموي ؟

روبير : إني أذهب لرؤية الوالد من حين إلى آخر . أشغل نفسي أحيانا بقروضه ، وأنت تعلم ذلك تمام العلم .

بسكال : أنت ! إني أرى ذلك رائعا .

روبير : أرجوك . .

بسكال : يبدو على والدك وزوج أهلك أنهما يقاومان هما الاثنان - ربح الذعر هذه .

روبير

: إنها منفعلة انفعالا شديدا ، وهذا كله يسليها
بجنون . أما هو فأشد هَمًّا ، ولكنه يقرأ —
« لموند » ، ويرجو أن نبقى على الحياد . وهذه
الفكرة لاتروق للوسيين التي تؤثر الحلول
الواضحة . وهي تتظاهر بأنها لاتقرأ الصحف
ولكنها ليست مع ذلك أقل معرفة بكل ما يحدث
بل بما سوف يحدث . ولست أدري إن كانت
تردد على العرافات . . وقد كنت أعتقد أنهم
لايتكروا بالرحيل ، ولما كانت لوسيين لاتدس
أنفها في الخارج . . .

بسكال

: وكيف كانت استجابتهما لنوايا رينيه ؟

روبير

: أما هي فبالوان من النقيق ، وأما هو فبضروب
من التنهيدات .

بسكال

: اتنوى رينيه أن تصحبهما إلى البرازيل ؟

روبير

: لقد ألمحت إلى ذلك تلميحا غامضا أثار ألوانا
جديدة من النقيق ، من الطرفين هذه المرة ..
في سنتنا ! نحن اللذين لانتحمل السفينة ، ولا
الطائرة ! أنت مجنونة ! وكانت تتوقع هذا
كله . ويبدو أن لديهما كميات صغيرة من

المُنومات حين يتلعانها بجرعة مرتفعة ، —
تخلصهما من كل الهموم في اللحظة المناسبة .
وبدت رينيه مغتبكة بهذا الحل . ولكن أنت ؟
يبدو أنها قالت إنها حولت تفكيرك إلى جانب
مشروعاتها للهرب . أهذا صحيح ؟

بسكال : كيف تريد أن تقوم رينيه بتحويل شخص ما
إلى أية فكرة كانت ؟

روبير : إنك تتلاعب بالألفاظ وأنا أرى دون حاجة
تدعوك إلى أن تقول لي ، ان رينيه قد انتصرت
على هواجسك ، فانا اعرفك بما فيه الكفاية
لأعلم أنك تخفي انتصارها . ولكنني أفترض
أن هذا قد نزع هاجسا . . .

بسكال : أنت تضع الأسئلة وتجب عليها بنفسك .

روبير : إنك لا تتجاوز حدودك أبدا .

بسكال : أرجو أن توفرّ على مشقة الاجابة عليك . وإنما

أحب أن أعرف فيم ينقصك هذا ، أو ببساطة
فيم يعينك . . فانت لا تحب رينيه ، ولا تحبني .

روبير : إن بي نقطة ضعف نحو طفليك ، أو على الأقل
نحو الولد . . والبنت ايضا ضعيفة .

بسكال : أمهما على حق حين تريد إبعادهما . فباريس

لاتصلح لهما . ولن يمكثا فيها على أى حال .

روبير : هل فكرت جيدا فيم لو أنك توليت تنشئتهما في

أمريكا الجنوبية فمن المحتمل ألا يستطيعا العودة

هنا إلى الأبد . هل تأخذ على عاتقك هذه —

المسئولية ؟

بسكال : إن أحدا منا لا يستطيع أن يعرف ما يمكن أن —

يصير اليه هذا البلد . وحتى لو احتفظت بوجود

مادى ، فأننا نجهل إن كان سيستعمرها القر غير

أو التركمان ..

روبير : هذا عجيب .

بسكال : ما العجيب ؟

روبير : كنت أحسب أنك لا تردد على لسانك سوى

الشرف الفرنسى .

بسكال : ترويت كثيرا منذ يومين . ولم أعد واثقا من

معرفتي أين تقف فرنسا .. فمنذ الحرب —

الآخيرة نعلم أنه ليس من اليسير دائما تحديد —

موقفها .. من الممكن قبل كل شىء .. أجل ،

فمن الممكن أن تُدعى إلى البقاء في أولئك الذين
سيملكون الشجاعة لانتزاع انفسهم من أرض
أصبحت نهبا بلحشع البرابرة . إننى أمضى بعيدا
يارووير ، وهذه الفكرة التى تسلطت علىّ منذ
أول أمس ، دون أن أعتقها تماما ، تتخذ في
حضورك صفة البيئة . فليس الرجال من
أمثالك هم الذين سيؤكدون . .

روبير : (بصوت أشبه بصوت الناي) . . الدوام —
الفرنسى .

بسكال : لماذا تصطنع نبرات المهرج هذه ؟ إنك لا تفكر
إلا في تسليم فرنسا بعد أن لم تعمل إلا لهزيمتها .

روبير : شكرا ، على كل حال !

بسكال : أوه ! أعلم جيدا ! انك تصرفت تصرف —
الوطنى خلال تلك السنوات المريعة — أو هذا
على الأقل ما اعتقدته ، ولم يكن ذلك يخلو من
شك ، ومن قلق لم أستطع أن أتخلص منه قط .
ذلك لأنك سررت في نهاية الأمر للهزيمة . أجل
لأنك اعتقدت أنها تسمح لك ولا صدقائك بادانة
طبقة بغیضة ، وكأن ضروب التخريب السى

نظمتموها في المصانع لم تُمهّد .. لكارثتنا ..
فأنت شريك في خدعة كبرى ، ولهذا السبب ،
لا شيء مما تفكر فيه يمكن أن يؤثر في اليوم . ومع
التسليم بأنني قررت أخيرا أن أصبح زوجتي
وأولادي إلى البرازيل ، فلست في موقف يسمح
لك بتوجيه أي اتهام إلى مسلكي . أنا أعرف
الآن ، أنك لم تتصرف كوطني ، لحظة
واحدة .

كلا ، يا روبر ، بل تصرفت كمشايع مجرد
مشايخ لا أكثر ..

روبير

: (متمالكا نفسه) من ذا الذي يتحدث عن
اتهام ، أو عن حكم أخلاقي ؟ هذه أوهام ،
وأنت تعلم ذلك مثلي . ولكنني أريد أن تلاحظ
فحسب أنك إذا كنت قد ملكت من المرأة ما
جعلك تعامل فرنسا على أنها جثة وتدعى إدعاء
عجيبا بأنك تصحب روحها نحو الشواطئ —
البرازيلية ، فأنني أنا وأصدقائي قد تعهدنا —
بالمحافظة على فرنسا حقيقة ، وليست ميتة ،
فرنسا الثورية التي لم يسمح لك ضميرك السيء ،
ضمير البروجوازي المرهون — أن تعترف

بوجودها . وأنا أقرر بأنك قد تحدثت في كتبك
أحيانا كثيرة ، عن الوفاء من جانبك أو من
جانبنا ؟ يبدو لي أن الاجابة واضحة بما فيه
الكفاية .

بسكال

: أيا كانت الاتهامات التي يمكن أن توجهها إلى
فرنسا الثورية ، فإنها كانت — على الأقل —
مستقلة ، لم تكن تتلقى قانونها إلا من نفسها ،
ومن رجال جنسها الذين اتخذتهم مرشدين لها
ولم تكن في خدمة ، ورهن إشارة دولة أسيوية
أجنبية عن كل تقاليدها... وأنا أقول عن كل تقاليدنا
، أيا كانت . . ولست أرى أن كلمة الحرية قد
بعثت قط أي صدى عبر الأورال أو حتى هناك
وحين يطلق القوقاز خيولهم ترعى في غابة
بولونيا ، فسوف تستيقظ ذكرى ١٨١٥ البشعة
في الضمائر الغافية .

روبير

: (في حدة) كفى . إن الاحتلال الذي تورق
صورته ليالي أمثالك ، أقول لك — أنا —
انه لن يحدث . سنتدخل في الوقت المناسب —

للحيلولة دون وقوعه . لقد تلقينا تأكيدات
رسمية . ولست في حل من أن أقول لك المزيد

بسكال

: كلا ، ولكن ، أعتقد فيما تقول ؟ أعتقد
أن الوعود تحتفظ بأى معنى في العالم المسكوني؟

روبير

: هذا يتوقف على الظروف . فعلى نفس الجانب
من الحفرة يبقى الايمان المثبت بالقسم ، وسواء
من هذا الجانب أو ذاك ، يكون احتراقه من
قبيل الخداع .

بسكال

: ومع ذلك ينبغي أن نتظاهر أحيانا .

روبير

: أحيانا ، في الواقع . مسألة تكتيك .

بسكال

: أتعترف بذلك ؟

روبير

: بل إنى أعلنه على الملأ .

بسكال

: ولكن ألا تلاحظ أن التفكير على هذا النحو —
معناه الوصول بتدمير الانسان إلى غايته ؟

روبير

: الانسان ، أنا لا أعرفه . وحين تقال هذه الكلمة
أخرج مسدسى .

بسكال

: تكاد أن تكون هذه العبارة ياروبير مقطوعة من
المحفوظات . وما يروغنى ليس فقط أنك —

مخلص ، ولكن ، أن ما من شيء يهتز فيك حين
تتفوه بهذه العبارات المدنسة . ألا تشك في أن
التخلي عن الكلى ، هو بالنسبة لك ، وبالنسبة
لى ، وبالنسبة لنا جميعا ، عزل لنا واعتزال ،
إن معناه أن نضحى بأنفسنا مقدما إلى إله
من تلك الآلهة الحديدية التي ليست عبادتها سوى
دعاية . أمن الممكن أن تكون مخدوعا الى حد
الاشتراك في هذه المهانة ؟

روبير

: لن أكلف نفسى عناء الرد عليك . والسقوط —
على حد قولك — تسليم ، كتسليمك ، فأنت لم
تعد تؤمن بشيء ، ولم تعد تأمل في شيء ، ولكنك
تستمتع بترف السخط بثمر بنحس . وأقول بثمر
بنحس ، لأن تلك الفورات الانتقامية لا تعرضك
لأى عقاب ، أو على الأقل — هذا ما تعتقده ،
فهي تساوى عندك تهليلات ضميرك المسكين ،
ضمير البورجوازي المنحل . وها أنذا أقول لك ،
وأكرر هذا القول عليك ، إننا نوّمن بكل قوانا
بأن الشيوعية الفرنسية ممكنة ، بل بأنها حتمية ،
لأن ما يجب أن يكون ، لا يمكن إلا أن يكون .

وربما كان لا بد للوصول إليها من اجتياز مرحلة صعبة ، علينا أن نكبح فيها بعض القفزات ، وهذا القول ينطبق على " ، كما ينطبق على غيري . إنها مخاطرة : ونحن نقبلها بعيون مفتوحة ، وحتى إذا كان لابد من أن تسحق أشخاصنا ، فليكن . لأنك مهما قلت ، فإن أشخاصنا لقيمة لها . نحن دروب تؤدي إلى ما هو أعلى منا . أما أنت فلست سوى طريق مسدود ، بل دعني أقلها لك بالوعة . . . لاجدوى من الاحتجاج ، لأن اقتناعي قد استقر ، كما استقر اختيارك . . لأنك قد وفقت وأحسنْتَ الاختيار .

بسكال : هذا باطل .

روبير : ان التآرجحات التي تنتزع منها ذريعة للادعاء بأنك حر ، لا قيمة لها أكثر من قيمة التذبذبات الأخيرة لمؤشر الميزان . ولست مندهشا من ذلك ، فأنا اعرف ما ينبغي أن أتمسك به منذ أن رأيتك تفضل الامتناع عن اتخاذ أى التزام كان — لأن الالتزام كان خطرا ، طال الأجل ، أو قصر . وكنت على ثقة دائما أنه حين تحين اللحظة الحاسمة

ستجد وسيلة للفرار . وكنت أعتقد طبعاً أنك
ستعرف كيف تضمن هروبك في ظروف أكثر
من ذلك تألقاً ...

بسكال : عفوا . ماذا قلت ؟

روبير : أنت تفهمنى جيداً .

بسكال : أنا لا أدري إلى أى شيء تشير .

روبير : ألم تشك مطلقاً في أن ذلك الـ « كارلوس مارتينير »
كان يواظب على مغازلة زوجتك منذ عامين في
بياريتز ؟

بسكال : هذا أول خبر . أتجهل أنني كنت في اسكاندينافيا
في تلك اللحظة . . ومع ذلك تلجأ إلى التلميح ؟ . .

روبير : إطلاقاً . أقول ، إن ما هو واضح للعيان ، أن
طلب مثل هذه الخدمة ، في هذه الظروف شيء
عجيب حقاً ، ومن الممكن أن يُفسح ذلك مجالا
لافتراض تبیت النية لاستردادها في الوقت المناسب

بسكال : أنت وغد . وهذه الحكاية لا قيمة لها في نظري .
كل ما أستبقية هو الشعور الذي دفعك إلى مخاطبتي
وتوجيه هذا الانذار . فهذا ، يكشف عن أشياء .

المنظر الثاني

نفس الأشخاص ، مارك - آندريه

(الذى يبدو متهاككا ، ويتوقف عندما يـرى
روبير)

بسكال : ماذا جرى ؟ ماذا حدث لك ؟ انك تبدو شاحبا
كالملاءة البيضاء .

مارك - آندريه : هناك . . أوه ! أستطيع - على كل حال - أن
اقول ذلك أمامه . أوسعوني ضربا عند شخص
كان يتظاهر بأنه صديق . أتدرى لماذا ؟ لاني
رفضت ببساطة - توقيع نداء إلى الطلبة يدعوهم
إلى الاضراب احتجاجا على إرسال قوات
جديدة إلى الهند الصينية .

بسكال : أهنتك ، ولكنى لا أكاد أفهم . . .

مارك - آندريه : أنا لا اعبأ بالهند الصينية ، وأعتقد أن الاستعمار
مشئوم ، وربما إجرامى ، وأرى أنه كان ينبغى
علينا الرحيل في ٤٥ . ولكنى تلقيت منذ بضعة
أيام رسالة من صديق هناك في الجيش . زودنى
بتفاصيل رهيبة عن الظروف التى يحارب فيها

جنودنا :إنهم يعيشون على انتظار التعزيزات ،
وربما كان مقتل صديقي ورفاقه متوقفا على ...
كلا ، هذا مالن أفعله ... أنت لا تفهم ،
يا خالي روبير ؟

روبير : أنا لأحفل بمثقال ذرة بصديقك وأمثاله . فلو أنه
رفض الرحيل ، أو ألقى بسلاحه ، أو قتل رئيسه ،
لما انتهى بهم الأمر إلى انتظار أن يأتي آخرون
لمشاطرتهم عارهم وموتهم .
بسكال : كفى . يكفيننا هذا ! اذهب ، فلم أعد أريد
رويتك .

روبير : فورة مؤثرة من وطني يتأهب للرحيل إلى أمريكا
الجنوبية ... وعليك - في الواقع - أن تأخذ
احتياطاتك . فنحن عدد كبير هناك . وستُعْطَى
أوصافك .

بسكال : بواسطتك ؟
روبير : أو بواسطة غيري . . وفيما يتعلق بالأمن ، كان
ينبغي إيجاد مكان أفضل . . ربما كانت جرينلاند
أو جزيرة أخسري عزيزة على « جوجان » ..
وهناك تشرع في الرسم . . وداعا ...

(يخرج)

المنظر الثالث

بسكال ، مارك — آندريه

بسكال : هل نظرت إلى وجهه أثناء حديثه ؟ إنه لم يكن وجه كائن بشري . كلا ، إنه هو وزملاؤه ، ممسوسون . . أعلن دوستوفسكي هذا كله . . . ولكن ، كيف تم هذا المس ؟ سأحرص خلال السنوات التي ربما بقيت لي في الحياة على أن أفهمه ولكن ، ربما كان هذا البحث بلا طائل ، وربما كان هذا كله يجري خارج قدرة العقل على الإدراك . . كأنه وباء . ولكن ، لماذا يظهر ؟ ما الذي يُعطى فجأة بعض الجرائم التي كانت موجودة فعلا تلك القدرة الغامضة على الانطلاق بقوة ؟ أو لعلها لم تكن موجودة ؟ هذه أخطر مشكلة يمكن أن تكون ، ولكن ، ربما لم نكن مجهزين لحلها . يا بني . . مدّ ذراعيك . . كنت شجاعا ، وأنا أحبك حبا جما .

مارك — آندريه : لست ادري إن كان هذا يمكن أن يُسمى شجاعة هو بالأحرى ضرب من الطاعة ، شيء في أعماق نفسي منغى من توقع ذلك النداء ، شيء صدر

عن مكان آخر ، ربما من أعماق مانسميه بالموت . . أنا لا أعتقد أنني أومن بالله ، ولكنني أفكر باستمرار في الأموات . ربما لأنهم يجذبونني إليهم طيلة الوقت ، أقاوم بهذا الإصرار ، وأريد البقاء في لفة شديدة . أنا مزدوج الشخصية — يا عمي بسكال — مزدوج الشخصية ، ومع ذلك فأنا نفسي دائما . ثم هناك شعور أحسست به — في قوة — منذ لحظة عند موريزو ا قبح هـولاء المتعصبين . . . أوه ! أنا لا أقصد قبح الخلقة ، فقد كان فيهم اثنان أو ثلاثة يتصفون — على العكس ، بجمال ، كجمال الجنى ، وكان بعضهم الآخر بشعا ، ومعظمهم لا يكاد المرء يتذكر ملاحظتهم . كالحال في كل مكان . . ولكنه قبح غير مرئي ، كما أنه ليس أيضا قبح نعمة نشار . إنه قبح نتنفسه ، أو بالأحرى ، كلا ، إننا لانستطيع أن نتنفسه . . . ثمة ألفاظ لم يعد من الممكن استخدامها لأن الرومانتيكيين أفسدوها . ومع ذلك ينبغي إخراجها من القبور : كلمة مظلم . . . مظلم . . . منذ لحظة كنت أوثر أن أقتل على أن أوقع . . . ولكن الآن ، بعد أن لم يعد أولئك

الفتيان أمامي ، فانهم يعيشون في نفسي رعبا شنيعا . ولم أعد أستطيع الانتظار حتى انتهى من هذا الكابوس . . . معذرة ، يا عماء ، فان كل ذلك يبدو خاليا من الاتساق . هذا الخليط . . . ولكني ، لم أعد أستطيع الاحتمال . . . ولو لم أجد وسيلة للرحيل ، فسأقتل نفسي .

بسكال : ولكنني كنت أعتقد أنك متأكد من قدرتك على الرحيل إلى إفريقيا الاستوائية . . .

مارك - آندريه : بالأمس بدا لي « لوقا » مراوغا . وأعتقد أنه لم يكن جادا في حديثه ولم يعد واثقا على الإطلاق من أن والده سيكون متفقا معه على اصطحابي . وقد حدث شيء فريد في بابيه . فاذا كنت عند « موريزو » منذ لحظة ، فربما كان ذلك لأن صوتا مخادعا في قرارة نفسي ، كان يوحى إلى بالاً أحطم الجسور . وحين وجدت نفسي في مواجهةهم ، انعكست الآية فكان شيئا أقوى مني يرغمني على تحديهم . . آه ، إنني متعب يا عماء ، لو كان لك أن تعلم ! ثمة أنا أخرى في نفسي تحب أن تموت أن تموت حقا . . . في الحال . دون اختناق

بطيء ... أو تسمم .. كلا ، اطلاقا ..
كل شيء مفضل على ذلك .
وأنت ؟ أجروا بالكاد على سؤالك .. هل
اتخذت قرارا ؟

بسكال : كلا ، لم ينعقد عزمي بعد ، فمازلت مع
شكوكي وهواجسي . ولكنني في الوقت نفسه
لكي اكون مخلصا تمام الانخلاص ، لاحظ ان
شيئا في نفسي في سبيله إلى اتخاذ قرار ، نيابة
عني .

مارك - آندريه : أهذا صحيح ؟

بسكال : تقول هذا مسرورا ! على حين أنه شنيع ...
أشعر بأن الانحلال الذي أصاب بلادى قد
أصبح الآن في نفسي ، وأنه في سبيله إلى بلوغ
غايته ، وأنتى أشارك فيه . ياطفلي المسكين ، أنت
تنظر إلى بعينين مذعورتين ، بعينين تستجديان ..
لن أتخلي عنك يا صغيرى مارك - آندريه . ينبغي
الاعتقاد - إن كان لهذه العبارة معنى - وأنا
أجهله - بأنني مسئول عن حياتك ، وبأنني
لا أستطيع أن آخذ على عاتقي تعريضك لليأس

والانتحار . وكونك جئت لترانى ذلك المساء
الآخر ، أنت يامن أراك نادرا . . أجل ، أعتقد
أن هذا نوع من البرهان إلا إذا لم أكن أتعلق
بهذه الفكرة كذريعة لمحاولة أن أبرر إزاء عيني
مالا يقبل التبرير ولكنى ، لست أدري .
.. قلت كلمة « مظلّم » حين تحدثت عن
أولئك « الفتيان - الذئاب » الذين ينتمون إلى عالم
آخر لا اتصال بيننا وبينه ، وأنا أقول ظلمات ، ..
ظلمات . . هذا هو العنصر الذى أغوص فيه .

مارك - آندريه : إذن ، فأنت تريد أن تقول ياعمى ، ربما
يكون من الأشجع ؟ . . .

بسكال : (في حزن عميق) لم أعد أعرف اطلاقا في أى
جانب توجد الشجاعة . . .

ولعل هذا هو أسوأ ما أجتازه الآن . وحين
استمعت إلى رويير منذ لحظة - بل لأستطيع
أن أقول حين استمعت ، فقد عانيت
أحسست أنه من الخسة ، بل من العبث تماما
أن أجردّ احتقاره من حديثه بقولى . : حسن !
سأبقى . فهذا الاحتقار ينبغى ألا تكون له قيمة
عندى أكثر من صرير باب أو دوارة هواء .

ومع ذلك لو أننى قررت البقاء الآن ، لاقتنعت
في قرارة نفسى بأن بقائى هذا راجع إلى أننى
أحسب حسابا لذلك الاحتقار. وهذا الموقف ،
أخذت أقلبته على جميع وجوهه . منذ يومين .
وهناك لحظات ، وصلت فيها إلى النظر إليه
من الخارج . وتساءلت إن كنت على استعداد.
للهرب والمعركة دائرة . ولكن كلا ، ليست
هذه إلا صورة لمعركة . . لقد انتهت اللعبة .
أوه ! إنى أعرف جيدا ! إنى أناقض نفسى ،
كم من مرة أعلنت مخلصا : القدرية جريمة ،
ومازلت أعتقد أنها جريمة في الواقع . ولكن
هل العمى الإرادى جدير بالاحترام ؟ وقلت
لنفسى ، مهما يكن من أمر ، لو أن الصراع
ظل ممكنا ، فربما لم يكن كذلك إلا بشرط -
انتراع النفس مما لم يعد - وأسفاه - سوى
ديكور نُحبه على سبيل الاعتقاد المزيف
ربما . . . وأقول ربما مادمت لم أعد أعرف
أين الشجاعة . أو حتى أين التضحية .
أنت تفهم ، يامارك - آندريه ، أنا لا أعرف
ماسيبى منى بعد ذلك الأبعاد هناك ، لن أعرفه

إلا فيما بعد ، وربما كان ذلك لادانة نفسى .
يابنى " أقسم لك ، إن افتقارى إلى الايمان لم
أحسه قط بمثل هذه القسوة ، فلو أننى كنت مرتبطا
، مرتبطا بالمسيح ، ففعل شيئا من النور يوهب لى
وأنا لا أبصر شيئا . . ستأتى والدتك . . وهى
وحدها فى هذا العالم التى يمكن أن تؤثر على
ما أجروا فى مشقة على تسميته قرارا . وأنت
أيضا تبدو معتلا ، يابنى المسكين . . اذهب ،
فاستلق بضع دقائق فى حجرة روجيه ، فلن
يعود من الليسه الا فى الساعة السادسة .
اذهب . . .

(يخرج مارك - آندريه)

المنظر الرابع

بسكال ، ثم إستير

بسكال : (ذاهبا إلى الباب القائم فى المؤخرة) صباح الخير ،
يا إستير . لقد تأخرت فى رويتك مرة أخرى ،
وكان فى إمكانى أن أزورك .

إستير : كنت فى الحى ، فكان من اليسير على أن أمر .
هل خرجت رينيه ؟

بسكال : إلى ما بعد الظهر . إنها تدور على المحلات ، وعلى
وكالات السفر . . . أولاً ، مارك - آندريه .
هل كلمك عن محادثتنا ؟

إستير : بضع كلمات فحسب . ولكنك أثرت عليه .
وإنى لا شكرك من صميم قلبي .

بسكال : وا أسفاه ! بل الأحرى أنه هو الذى مستنى في
الصميم . . أجل ، أمارط عنى اللثام . . . فمنذ
تلك المحادثة ، لم أعد كما كنت . هذا شيء لاسبيل
إلى التعبير عنه . وفضلاً عن ذلك ، كأنما تجمد
الناس الذين كنت أراهم لكى يتحولوا ضدى . .
حمواى أولاً . . . بعض الكلمات التى نطقت بها
ذلك اليوم ، حين استمعتها تخرج منهم ، وجدتها
مضحكة ، منقولة ليعزفها أرغن الهمجية . . .
انظرى ، إن واحدة من المزايا غير المرغوب فيها
والتي يملكها شخص مثلى هي معرفة النفس
والاستهزاء بها من خلال أنصاره . . ولكن ليس
هذا هو كل شيء . وكم رأيت من أشخاص غير
قابليين للتحول ، ولا يقسمون إلا بما يعرفونه .
وهم يتغلبون على تسوابق تاريخية وهمية ،

ويتحمسون للصيغ المتطرفة ، وهم لا يتحصنون
على « الأدور (١) » أو على جبال البرانس ، بل
على النيجر (٢) الأعلى ، إن لم يكن على
الأوبانجي (٣) . أنهم عاجزون عن التفكير في
الحدث ، بل يضعون في مكانه شبحا مستمدا من
التاريخ الحربى .

إستير : ومع ذلك ، يا بسكال . . .

بسكال : أجل ، اتفق معك ، ربما كان من الضرورى أن
تبقى هذه الأوهام حتى النهاية . وربما كان هذا
هو الشكل الوحيد الذى يمكن أن تتخذه إرادته
المقاومة عند أوساط الرجال . ثم إننى لست نبيا .
وهناك احتمال واحد من ألف أن يرى هؤلاء
الناس بوضوح ، كل ما فى الأمر هو أننى
لا أستطيع أن أرغم فكرى بحيث أصبح شريكا
لهم . واعلمى يا إستير ، أن الأمر ليس هو أننى
لم أقرر شيئا على الإطلاق . . فما زالت القِطسع

(١) الأدور : نهر يجرى فى الجنوب الغربى من فرنسا ، وينبع بالقرب من «تورماليه»

(٢) النيجر : نهر فى غرب افريقيا

(٣) الأوبانجي : نهر آخر فى افريقيا الاستوائية

هناك فوق رقعة الشطرنج ، ولم ألعب دورى
بعد . . لم أقرر شيئاً ، ولكننى أبحرت فعلاً .
هذه تجربة غريبة ، لم أجربها قط . إنها تحيرنى ،
وتحزنى . وأنا أشبه حقاً بمسافر صعد إلى ظهر
السفينة عدة ساعات قبل الرحيل . فربما استولى
عليه النعاس ، أو استغرق في قراءة ، فلم يسمع
إشارة الرحيل ، وفجأة ، شاهد الشاطئ يتحرك
وعلم أنه قد رحل .

إستير : ما هذه السفينة ؟ أهى مصيرك ؟

بسكال : ربما ، غير أن تشييهى ليس دقيقاً تمام الدقة ،
ذلك أنه يستطيع أن يهبط في المرفأ القادم ، إن لم
يلحق به شخص آخر . . .

إستير : ورينيه . . .

بسكال : رينيه والطفلان موجودون فعلاً في القمـرة
(الكابينة) ، فالأمر لا يتعلق بهم إذن .

إستير : ولكن ماذا ؟

بسكال : (في حنان) لن أغادر فرنسا بدونك . . لاتسارعى
إلى الاعتراض . انظرك بأن مارك — أندريه
سيكون في هذه الرحلة .

: ماذا تقول ؟

إستير :

: إنه لا يستطيع البقاء هنا ، وهذا ما تعرفينه كما أعرفه — أما فيما يتعلق بمشروعه للذهاب إلى أفريقيا السوداء ، فيبدو أنه لن يتحقق . فلا أملك إلا أن آخذه معناه .

بسكال :

: أتريد أن تقول لي إن هذا بسببه ؟ . .

إستير :

: لن يكون ذلك صدقا . ومع ذلك فقد اكتشفت بيني وبينه تضامنا غامضا . . لست أدري ماهو ولكنني أعرف أن من واجبي الاعتراف به . . وقبل أن أوجه إليك سوألا خطيرا جدا يجب كل الاسئلة الأخرى ، أريد أن أسألك : — أتعلمين أن كارلوس كان يغازل زوجتي ؟

بسكال :

: تتذكر أنني في ذلك العالم لم أمكث سوى بضعة أيام في بيارتير ، ولكنني أعتقد أنني لاحظت . .

إستير :

: الآن . . . هذا الأمر خطير يا إستير . وأنت التي تعرفين رينيه دائما ، ألدريك من الأسباب ما يجعلك تفترضين أنها تستطيع . . .

بسكال :

: يستحيل على أن أجيبك . وأنت تعلم جيدا أن

إستير :

رينيه لم تجعلى قط موضع ثقته ، ولم أقع
مصادفة على شيء ، فليس لدى من دليل .

بسكال : ألاحظ على الأقل أن أى احتجاج مباشر لم
يصعد إلى شفتيك .

إستير : هذا شيء صبيانى . أنت تعلم جيدا مثلما أعلم ،
أنه مامن شخص يستطيع أن يجيب نيابة عن
شخص آخر .

بسكال : ومع ذلك ، يبدو أننى أستطيع أن أجيب
عناك .

إستير : آه ! ربما كنت على خطأ ، لأننى أعلم أننى .
مذنبة ، وربما قلت لك يوما فيم كنت مذنبه
ولكننا نشرد عن الموضوع . اعود وأطلب
منك أن توجه إلى ذلك السؤال الخطير جدا

بسكال : المسائل جميعا مترابطة . أسألك أن تخبرينى من
أعماق قلبك ، هل تعتقدين أننى سأكون مذنباً
برحيلي . ؟

إستير : (بصوت مرتعش) مذنب ! بسكال ، نحن
جميعا مذنبون ، مهما فعلنا .

بسكال : ولكن هذا الشعور بالذنب ، ألا اضعف حيّته
برحيلي ؟ ألا يعدّ البقاء تكفيرا ؟

إستير : أنت واثق من قدرتك على إعطاء معنى لهذه
الكلمة ؟ ألم تنتقل إليك بالوراثة مع كثير غيرها
مثل تلك السندات الأجنبية التي نثر عليها في
درج من الأدراج ، غير أن قيمتها قد هبطت
إلى الصفر ؟

بسكال : قيمتها ؟

إستير : قيمتها بالنسبة لنا ، يابسكال . إنها الشيء الوحيد
الذي يدخل في الحساب ، إذا كنا غير مؤمنين .

بسكال : أهذا شيء أكيد ؟ كثيرون سيوجهون إلى اللوم
أعرف ذلك ، وتعرفينه أنت أيضا . هل أستطيع
التظاهر بأن هذا الاستنكار خلق بالاهمال ؟

إستير : ربما كانت الشجاعة تتألف من الحكم عليه —
في الواقع — على هذا النحو .

بسكال : ولكن ، هذه الـ « ربما » مخيفة ! أما من
وسيلة لمحوها ، ولأن نكون على يقين ؟

إستير : لأظن . فهنا ، مثلما في أي شيء آخر ، لا بد
من المخاطرة .

بسكال : لو استطعت على الأقل أن أكون واثقا من أنك أنت نفسك ..

إستير : ماذا ؟

بسكال : لن تدينيني .

إستير : (في عمق) كيف أدينك مادمت أحبك ؟ -

أجل ، لقد كنت جبانة ذلك اليوم حين حاولت تأجيل الاعتراف الذي انتزعتني عاتفة مباغتة إلى أحبك . أحبك منذ أن عرفتُك . وأنا مدنية حين أقول لك ذلك . ولعل أكون أكثر ذنبا لو لم أقل لك ذلك . لست أدري ، فليس عليّ أن أختار الشعور بالذنب الذي أرتاح إليه . نحن في اللحظة الحاسمة من وجودنا ، وأنت تعرف ذلك مثلي . والتحفظ والحياء قد - أصبحتا وراء ظهرينا . أنا أعلم أنني استسلم لدوار ، وها أنذا أستسلم له في وضوح تام . إنهم ، إن استطعت .

بسكال : ولكن ، يبدو لي أنك تغيرت . كنت تحكمن بقسوة على من يرحلون ، وكنت تتحدثين عن القرار ...

إستير : و كنت على صواب ، دون شك .

بسكال : ثم ماذا حدث بعد ؟

إستير : أعتقد أن هذا الرحيل هو في وقت واحد خط

وعقاب على هذا الخطأ . ومع ذلك ، لن يكلفني البقاء إلا أقل القليل - كما ترى . ذلك أنني أستطيع - بفضل طبيب صديق - أن أضع نهاية لحياتي حالما أريد ، ولن أتردد أدنى تردد في أن أفعل ذلك ، لأنني لا أتصور إلا ناظرا لمدرسة ، كما لا أتصوره مُعَدِّباً . ولكن لأنه من اليسير على البقاء ، ولأنني أستطيع أن أكون في وفاق مع ضميري ، لهذا السبب - المحدد ، لن أتخذ ذلك القرار بالرحيل . أو لعلي أحاول استبقاءك ، وأنا أعلم أن ذلك ليس من حقي

بسكال : لماذا ، يا إستير ؟

إستير : لا يستطيع المرء أن يبقى إلا لأداء رسالة . بيد

أن هذا النداء أنت لا تسمعه ، أولئك لم تعد تسمعه - أو قد أدعك ولكن لماذا ؟ لكى أستمتع بشعور التفوق ؟ يالها من سخريه . كلا .

لست على هذا النحو . كل ما في الأمر أنه ينبغي
مواجهة الأشياء . . أولاً ، هل أنت على
استعداد لفرض وجودي على رينيه وعلى —
أصدقائك ؟

بسكال

: انهم ليسوا أصدقائي . وإذا صدقنا ما يكتبون
فهناك مساكن رحة . . أما فيما يتعلق برينيه ،
فهذا هو الشرط الذي سأضعه لرحيلي . بيد
أنك قلت جملة أريد ان أفهمها : إن هذا
الرحيل هو في وقت واحد خطأ وعقاب على
ذلك الخطأ . أتراني سمعتُ جيداً ؟

إستير

: أجل — يابسكال ، وأنا واثقة — لسوء الحظ
من أن الأمر على هذا النحو . فليس في مقدورنا
أن نغادر هذه البلاد بقلب خال ، وأن نندفع
بملوئنا الأمل نحو سراب لا ندرى كنهه : بفكرة
حياة جديدة في عالم جديد . ولو كان مثل
هذا الرحيل ممكناً — وأني لنا أن نعرف ؟ —
فلعله لن يكون إلا بعد الموت . ومن هذه
الناحية ، نحن الذين لم نتطهر ، ليس لنا أن
نتوقع العدالة . نحن ملوثون يابسكال ، وهذا

الرحيل نفسه ليس إلا دنسا . هذه الحقيقة ،
أطالبك كما أطالب نفسي — أن تنفذ إلى أعماقها
هذه بداية الموت .

بسكال : الدنس . . . الموت . . .

(يخلدان إلى الصمت)

المنظر الخامس

نفس الأشخاص ، مارك — آندريه ، ثم رينيه

إستير : كيف ! كنت هنا ، يا بني ؟

مارك — آندريه : ألم يخبرك عمي بسكال ؟

بسكال : خشيت أن أسبب لأهلك انفعالا لاجدوى منه ،

فلتقص عليها أنبت (ينظر اليهما) هذا غريب ،

فأنا اعتبر كما لو كنا أسرة واحدة ، نحن

الثلاثة . . . ومع ذلك سوف تعود رينيه بعد

قليل ، وهناك الواجبات الأخرى . . .

مارك — آندريه : لقد فكرت طويلا منذ لحظة ، وفجأة راودني

خوف . . . تشكك . . . وأحب أن أخلص

منه . . أولئك الذين يذهبون ، هم الممتازون

أما الآخرون ، اولئك الذين لا يملكون وسيلة
للذهاب . . .

بسكال

: أجل ، بكل تأكيد هذا فظيع .

إستير

: هذا التشكك الذى تود أن نحررك منه ، عليك
أن تحمله على كتفك . لقد قلت لبسكال منذ -
لحظة ، إن أحدا منا لن يرحل إلى هناك بقلب
خال . . .

رينيه

: (تدخل كلفحة الريح) إنى مغتيبة بجولاتى .
لقد اكتشفت حانوتا على الضفة اليسرى حيث
تباع بعض السلع بسعر زهيد . . حقائب جلدية
مهربة من أسبانيا . . . طيب ! ماذا أصابكم ؟

بسكال

: (فى مرارة عميقة) قلب خال ، و سراب
حياة جديدة .

الفصل الرابع

منزل رينى صغير في البرازيل . حجرة واسعة مضيئة في هذا المنزل الذى يملكه آل مارتينيز . . وفي مؤخرة المشهد يبدو صحسن الدار .

المنظر الاول

شفرمون ، رينيه ، ثم كارلوس

كلا ، ياسيدتى العزيزة . لأستطيع أن أقول بكل صراحة - انى قد افقدت باريس حقيقة يوما واحدا طيلة تلك الأعوام . وأنا لأحدثك عن صديقين أو ثلاثة من الاعزاء على - هم ثلاثة على وجه التحديد مازال اثنان منهم في السجن ، والثالث كان

(يأتى بحركة)

: ولا يوماً واحدا ! إنك تدهشنى .

رينيه

: كلا ، فمئذ أن سلّمت باريس إلى تلك العصابة

شفرمون

من اللصوص وشركائها ، نَزَعْتُ منها عقلِي
وقلبي كليّةً . هذه قدرة أملكها . والحقيقة
أنني لأشعر بتاتا بأنني هنا في المنفى —
ليس أكثر مما كنت في مدريد سنة ١٩٤٥ .

رينيه : هذا شيء تُحسّد عليه ، ولكنني كنت أعتقد .

شفرمون : (دون أن يصفى إليها) — انني أتابع عن
كثب ما يحدث هناك في الفن والأدب . فللصحف
ها هنا مراسلون يحسنون نقل المعلومات . كل
هذا يبدو لي منفرا خاليا من المعنى . وقد أبعث
في نفسك مزيدا من الدهشة حين أقول لك إنني
أكاد أختال من فكرة الحكم باعدامي غيايا على
أيدي أولئك الناس هناك .

رينيه : أصبح هذا ؟

كارلوس : (مقربا) مازلت تتحدث عن الحكم —
باعدامك ، إنك تتشدد يا أرمان . أما أنا ،
فان مجرد التفكير في اعدام ظلي بالمقصلة يبعث
في نفسي شعورا بغیضا .

شفرمون : الاعدام رميا بالرصاص ، يا كارلوس . وقلما
أعبأ بما يحدث لظلي . فلنقل إنني أفقر إلى —

الخيال .. ومع ذلك ، فليست هذه هي الحالة
سرنى أن أتخيل ذلك الرهط الصاحب الذى يأتى
إلى ملوحًا بقبضته ، أو باصقا على وجهى لو
كنت من الحماسة بحيث أمد عنقى لذلك الاغتيال
الشرعى .. الشرعى ؟ كلا .. غير الشرعى.

كارلوس

: (مخاطبا رينيه) إنه شخصية ، أرمأنا هذا ..
ومع هذا كله ، فأنت تتحدث كثيرا عن الحكم
بإعدامك .. ولو كنت على هذا القدر مسن
اللامبالاة التى تزعمها ، لأقلت من حديثك
عنها .

شفرمون

: لم أتحدث عن اللامبالاة ... بل انى اتلذذ بها .

كارلوس

: فى غير صمت ، على كل حال ...

شفرمون

: ان السيدة لومير مضطربة تماما .

رينيه

: هذه أول مرة أجد فيها نفسى إزاء محكوم عليه
بالإعدام .

كارلوس

: من الأفضل أن تسكت يا صديق العزيز ! إنه
ليس حكما حقيقيا بالإعدام .

لى شفرمون

: إنك تسيء إلىّ فى هذه اللحظة .

رينيه : ولكن . . . احذرک بأننى سأتكلم بصراحة قاسية . فالأفعال التى اتهمت بها ، وكانت دافعا إلى إصدار هذا الحكم ، لم يحدث لك مطلقا أن . عانيتَها ؟

شفرمون : أرجو ألا تقدمى على نطق تلك الكلمة المخيفة : تأنيب الضمير ؟

رينيه : إنى أفكر في ضروب من الأسف . . .

شفرمون : هذه حالات للنفس ينبغى أن نلقيها كما نلقى نزلة البرد .

كارلوس : وقد لا نستطيع دائما .

شفرمون : البرد ، ربما ، أما الأسف ، وعلى الأخص تأنيب الضمير — فهذا شيء نستطيعه .

رينيه : أنت تملك قدراً كبيراً من القوة الباطنية .

شفرمون : إنى أنتمى إلى عالم مازال فيه رجال .

رينيه : إن زوجى يستخدم هذه العبارة في كثير من الأحيان ، ولكنى أتساءل ، ان كان يستخدمها بنفس المعنى .

شفرمون : (باحتقارا) هذا شيء قليل الاحتمال .

- كارلوس : لوميير شخص جذاب على كل حال . . كانت
إينيس مولعة به .
- شفرمون : أيها المتهور !
- رينيه : لأهميه لذلك على الإطلاق .
- شفرمون : أرأيت !
- رينيه : لا تحاول الفهم . وفضلا عن ذلك ينبغي ألا يكون
علم النفس معقلك .
- شفرمون : أنها محبوبة !
- رينيه : ومع ذلك ، فأنت لاتملك كل أنواع التفوق .
- شفرمون : ولماذا ، على كل حال ؟
- رينيه : (إلى كارلوس) . هذه ظاهرة .
- شفرمون : (ناهضا) سأذهب لأرى إن كانت طائفة
البريد قد وصلت . إلى اللقاء قريبا
(يخرج)

المنظر الثاني

كارلوس — رينيه

- كارلوس : والآن ! ماذا تقولين عن هذا الرجل ؟

- رينيه : إلى متحيرة نوعا .
- كارلوس : انه لا يشبه أحدا ، وهذا ما أعجبنا منه على .
الفور .
- رينيه : لأستطيع أن أقول إنني استلطفه تمام الاستلطاف
- كارلوس : ولیم ؟
- رينيه : لأنه شديد الثقة بنفسه .
- كارلوس : ألا يقال ذلك أيضا عن بسكال . . .
- رينيه : أوه بسكال ، إنه . . !
- كارلوس : سأقول لك بصراحة ، إنه يثير الانقباض في
نفسى .
- رينيه : حقا ؟
- كارلوس : يشعر المرء في حضوره دائما بالرغبة في توبيخ
نفسه ، وأنا أكره هذا الشعور . أوه . ولكن
من المفهوم رغم ذلك ، أنه شخص لطيف جدا
وعلى جانب كبير من الثقافة . . ثقافة . . أليس
عضوا في أكاديمية سانت - ييف ؟
- رينيه : ليست الثقافة هي ما ينقصه ، في الواقع

كارلوس : لماذا تنهدين يا صديقتي الصغيرة ؛ الثقافة شيء جميل جدا . . إينيس وأنا في حالة اعجاب بها.
رينيه : أما أنا ، فلا .

كارلوس : ولكن ، من المستحسن أن تسكني ! كل ماقرأه هذا الرجل ، وكل ماوعاه . . .

رينيه : مجرد اسفنجة . . حين نضغط عليها ، تخرج الاستشهادات . . .

كارلوس : انه يخلو من كل تحذلق . ثم ، لأهمية لهذا كله ، في نهاية الأمر . ولكني أريد أن اعهد اليك برسالة اليه ، مسألة على شيء من الدقة . . فأنا لأعرفه جيدا بحيث أستطيع أن أنقلها اليه مباشرة . . . إن غيابه من قداس الأحدين - الأخيرين كان ملحوظا جدا .

رينيه : بسكال لا يضع قدميه إطلاقا في الكنيسة .

كارلوس : أليس كاثوليكيًا ، على كل حال ؟

رينيه : بالمولد . . أوه ! وقد أدّى تناوله الأول . . .

كارلوس : من حقه أن يفكر في أعماق نفسه بما يشاء ، أنت تفهمين جيدا ، ولكننا في هذه البلاد -

نعلق أهمية قصوى على بعض الشعائر . ويجب
أن أخبرك بأنه إن لم يذهب بانتظام إلى القداوس
في سان — فيليب أيام الآحاد ، فلن يتمكن من
التدريس .

رينيه : (بعد فترة قصيرة من الصمت) أنا أرى أن
أن هذا الأمر — في جوهره — حسن جدا .

كارلوس : أنا لأعرف إن كان هذا حسنا جدا . فأنا —
بالأحرى متحرر ، كما تعلمين ، وهي كلمة
لم تعد مطابقة لنوق العصر . ولكن الأمر على
هذا النحو ، في هذه البلاد . الأمر يختلف في
ريو . فلأنها مدينة أكبر كثيرا . . .

رينيه : أود أن أعرف ، ما الحاجز الذي يمكن أن
نضعه — عدا الكنيسة — في معارضة الشيوعية .
ثم إنى أعتقد أنه في اللحظة التي نقبل فيها
ضيافة بلد ما ، ينبغي علينا أن نتوافق مع تقاليده
إنها بكل بساطة مسألة أدب . وأنا لأحب
الأشخاص الذين لا يراعون اللياقة .

كارلوس : أنت في كامل الاتزان ، يا صديقتي الصغيرة ،
حاولي أن تشرحي له .

رينيه : لعلك لاحظت انني لا أملك أدنى تأثير على زوجي

كارلوس : يخطئ خطأ كبيرا حين لا ينصت إلى كلمة تخرج
من هذا الشجر الشهى !

رينيه : لا أظن أنه قد وجه قط التفاتا كبيرا إلى ثغري .

كارلوس : يا للعار ! ... ثمة موضوع آخر ينبغي أن أتناوله ،
ولكن يجب على أن أقول إنه أكثر دقة .

رينيه : فلتحاول على كل حال . . .

كارلوس : يتعلق الأمر باظهار بعض المشاعر بالنسبة للرأى
العام .. انه شيء مرهف إلى أقصى حد في هذه
البلاد . وكلمة « رأى » غير مناسبة تماما .

إنه نوع من الحساسية . . اشبه باللوحة الفوتوغرافية
من المفهوم ، أننا كنا سعداء جدا باستقبال اختك
وابن اختك القاتن الذى وقعت ابنة أخى تيريزا
في غرامه فعلا . ولكن ..

رينيه : استمر . لقد راودنى الشك في أمر ما ...

كارلوس : تلك الزهات التي يقوم بها زوجك كل ماء شقيقتك ..

رينيه : (مصححة) مع أختي غير الشقيقة .

كارلوس : ماعلينا . . لقد اثارا هاهنا دهشة معينة . أحسست جوانب عديسة . وإنه لشئ مضح بالتأكيد .. ولكن قد يكون من التهور — على أعتقد — ألا يراعى المرء تلك الآراء ، ثم تكن صبيانية .

أيضايقك حديثي يا صديقتي الصغيرة الساحرة

رينيه : كلا ، استمر .

كارلوس : أريد أن افضي اليك على الفور بأساس تفكيرى لا يبدو لي مستحسنا أن تقطن أختك معكم سان — فيايب .. لقد حدثت فضيحة هنا ذاء يوم .. بالطبع أنا لا أوجه أى اتهام .. بيد أ لا نستطيع أن نمنع الناس من تذكر حكاية جوز دى كاسترو ..

رينيه : أوثر ألا أعرفها .

كارلوس : لم يكن في نيتي أن أقضها عليك .

المنظر الثالث

نفس الأشخاص ، بسكال

بسكال : (في عصبية شديدة) هل خرج ؟

كارلوس : عمن تتحدث ؟

بسكال : عن صديقك شفرمون .

رينيه : أرجوك يابسكال !

بسكال : من المستحيل ألا تفهم ما أشعر به في حضور
شخص قد وشى بفرنسيين أثناء الحرب .

كارلوس : أطلب منك بالراح يا صديقي العزيز أن تعتبر هذه
المسألة منتهية .

أنا أجنبي — بكل تأكيد — وليست لي أية صفة
تسمح لي بالتدخل في هذه المسائل .. ومع ذلك ،
من حقي أن أقول إن الفظائع كانت ترتكب
من كل جانب ، ومن بين هؤلاء الفرنسيين
الذين قلت إن شفرمون قد وشى بهم ، كان
هناك أشخاص — لو أنهم عاشوا ، لما احسوا
بأى تردد في قتل ، بل وفي تعذيب خصومهم .
الحكمة في أن ننسى ، هذا ما أوكدك لك — بل

أكثر من الحكمة . لن أبدأ إلى الانجيل ، مادمتم
لا تمارس واجباتك الدينية — على ما أظن ، ومع
ذلك ... أرجو المَعذرة ، إذ ينبغي أن أترككما
بضع لحظات . ولكن ، أرجوك — يا صديقي
العزير — أن تهدي من روعك .. هل تعرف
ما إذا كانت زوجتي عادت ؟

بسسكال : كنا نتمشى معا منذ لحظة .. ويبدو لي أنها تفهم
حالي النفسية تمام الفهم .

كارلوس : انها تفهم بكل تأكيد ، إينيس تفهم كل شيء .
وأنا — أيضا — أفهم . ولكن ،
أمن المغالاة أن أطلب منك التخلص بعض
الوقت من تركة الحقد والبغض التي حمايتها
معك من أوربا ؟ أظن ، أن لا ... إلى الملتقى ،
يا صديقي العزيزين .

المنظر الرابع

بسسكال ، رينيه

رينيه : أنت مجنون تماما . هذه الطريقة في شكر أصدقائنا
الرائعين على كرم ضيافتهم شيء لم يُسمع به من

قبل ... ثم ، عندما أتذكر ما كتبتك بنفسك في
مقال ..

بسكال : عفوا ، قلت دائما إنني أعتبر الوشاية جريمة لا
تغتفر ، الجريمة الوحيدة التي لا تستحق أية
شفقة .

رينيه : لست مسئولا عن إقامة العدالة هنا . وأفكارك
لا تهم أحدا .. نحن لا جئون .. فلنقل لاجئون
قبل حالتهم النهائية .. وهذا وضع يتطلب
التواضع واللباقة .

بسكال : إن كلمة « لاجئون » هذه تُروَعنى .

رينيه : ألعلك تحاول اقناع نفسك بأنك سائح أو
محاضر في جولة ؟

بسكال : كفى .

رينيه : هذا شيء خارق للمألوف ! منذ أن حضرت
هنا ، وأنت تتحدث كما يتحدث رجال المقاومة ،
والوطنيون .

بسكال : أنت لا تفهمين شيئا .

المنظر الخامس

نفس الأشخاص ، إينيس

إينيس

: إني حزينة أشد الحزن لما حدث .

بسكال

: لم يحدث شيء . عبرتُ بشيء من الحيدة عن شعور
لا سبيل إلى التغلب عليه .

إينيس

: لا تقل أن لا سبيل إلى التغلب عليه ، بل يجب
التغلب حقا . لقد نقل إلى كارلوس كلمة ،
ولكنني رأيت أنه يجد مشقة ، وأنا أكره أن يجد
مثل هذا ... إني أهيب بعطفكما الكبير ...
شفرمون ... أنا لا أجادل .. قد تكون له أخطاء
خطيرة جدا ، هذا محتمل .. ولكنه إنسان تعس
جدا .

بسكال

: يبدو لي أنه راض تمام الرضى عن حالته .

إينيس

: إنه يكابر ، ولكن أوكد لكما أنه يتعذب كثيرا .
إنه لا يملك شيئا من المال ، كما تعلمان ، ولا
يستطيع المرء أن يعطيه شيئا ، لأنه شديد الكبرياء .
ربما وجدنا له شيئا في فنزويلا . كتبنا إلى أصدقاء
لنا في كاراكاس . ولكن ، في انتظار الرد ،

أرجو أن تتحسلا .. وإلا ، أصبح الوضع عسيرا
غاية العسر ، ينبغي أن أذكر كما دائما .. لسنا
هنا في أوروبا .

رينيه : ولهذا السبب أتينا .

إينيس : نمة شيء من أوروبا يلتصق بنعال أحذيتكما .
ولكن أرجو كما أن تمسحا أقدامكما بعناية ،
وكأنما تدخلان حجرة أرضيتها من الباركيه
المدهون جيدا - عندما تمتلئ الشوارع بالأوحال .

بسكال : (بصوت خفيض) هذا فظيع .

إينيس : كلا ، إنه ليس فظيعا ، يا صديقي العزيز ، إنها
مسألة نظافة ، لا غير . أعرف أن هذا عسير .
وقد وجد شفرمون هو أيضا شيئا من العناء في
البداية .

بسكال : وهكذا ، في رأيك ، ان الحالتين متماثلتان ؟

إينيس : إنهما شيء واحد تماما ... أرجو المَعذرة ، إنني
أرى أنني أجرحك . ولكنني لا أعقد مقارنة
أخلاقية بينك وبين هذا الرجل الذي لا يعجبك .
الله وحده قادر . ولكن ، أحقا أنك لا تؤمن

بالله ؟ هذا محزن جدا ، ويسبب لى شقاء شديدا ..
كل ما أريد أن أقوله هو انك دخلت عالما
ينبغي أن تفكر فيه على نحو آخر .. ينبغي أن
تلتفت صوب المستقبل ... هما حقا بلاد المستقبل.

بسكال

: أى مستقبل ؟ وبالنسبة لشفرمون ..

إينيس

: يا لأرمان المسكين ! سيموت قريبا ، إنه
مصاب بذبحة صدرية ، أتعرف ذلك ؟ تستطيع
إذن ان تصبر قليلا جدا . . . على أن أعلن لك
زيارة ربّما لا تسرك كثيرا . . . ولكنه يحرص على
مقابلتك ، ولم أستطع أن أقول له . . . على
العكس ، أكدت له أنك ستغيب بمعرفته .

بسكال

: ولكن ، عمّن تتحدثين ؟

إينيس

: بكل بساطة عن الاب ريكاردو رئيس الدير
القائم هناك على قمة الجبل إنه واحد من أصدقائنا
الكبار . .

بسكال

: ولما ذا يود أن يرانى ؟

إينيس

: (مرتبكة) لست أدرى بالضبط . إن لديه —
بالتأكيد سوّالا يريد أن يوجهه اليك ، او ربّما

كان اقتراحا يريد أن يعرضه عليك . لست على كل حال من أولئك الرجال الذين يلوذون — بالفرار عند رؤية طياسان الكاهن ؟

رينيه : (في حماس) لم يكن بسكال معاديا قتلرجال الدين . . ولكن ، ربما كان في سبيله إلى أن أن يصبح كذلك .

بسكال : ولكن ، في أية لحظة ينبغي أن يأتي ؟

إينيس : كنت أعلم أنك ستكون هنا بعد الظهر ، — وسيأتي في هذا الوقت ومعه كارلوس .

بسكال : هذا ما يسمونه وضع السكين على العنق .

إينيس : إن لك يا صديقي العزيز طرائق غريبة في التعبير عن نفسك .

رينيه : لابد أن اطلب منك — مرة أخرى — التماس

العذر له . (إلى بسكال) أتوسل إلى صديقتنا ان تستخدم تأثيرها عليك لمساعدتك في أن تصبح مرة أخرى شخصا مهذبا . أما أنا ، فأتنازل عن هذه المهمة . إلى اللقاء .

(تخرج)

المنظر السادس

إينيس ، بسكال ، ثم الأب ، ريكاردو

إينيس : لعلى أخطأت ، ولست أريد أن أكون غير مهذبة ، بيد أننى أخشى أحيانا أن تعانى رينيه مشقة . . من المحزن حقا بالنسبة لها أن تنفصل عن والديها اللذين لن تراهما — بلا شك — مرة أخرى في هذا العالم ، وعن كل أصدقائها وعن تلك الحياة في باريس التى أحببتها كل ذلك الحب . أما بالنسبة لرجل من رجال الفكر مثلك ، لديه كتبه وتأملاته ، فالأمر أقل عناء . انه امتحان قاس بالنسبة لها خضعت له من أجلك ، وفي هذه الأحوال ينبغي أن تفعل كل ما في وسعك ، لتخفف عليها الإقامة . . .

بسكال : أخشى ألا تكونى قد تلقيت معلومات صحيحة تماما . فلقد كانت زوجتى — على العكس من ذلك — هى أول من أرادت الرحيل . ولو كنت وحدى ، لكان من المؤكد تقريبا ألا أغادر فرنسا .

إينيس : ولكن ليس هذا على الإطلاق ما تركتني رينيه أفهمه . آه ! ها هو الأب ريكاردو .

المنظر السابع

نفس الأشخاص ، والأب ريكاردو

الأب ريكاردو : أرجو المَعذرة يا سيدى على ازعاجك ، غير أن السيدة ما رتينير قالت لى إنه من الممكن أن أسمع لنفسي

إينيس : سيكون السيد لومير سعيدا جدا بالتحدث معك بضع لحظات ، اليس كذلك ؟ انى أترككما .
(تخرج)

بسكال : (بلهجة المغلوب على أمره) آسف — ياأبتاه — لأنك تجشمت عناء الحضور الى . وكان من الأيسر على أن أزورك .

الأب ريكاردو : ولكن ، ربما عانيت شيئا من النفور إزاء الأماكن الكهنوتية .

بسكال : نفور ؟ كلا ، بالطبع ، فإن لى أصدقاء من الدومينيكان واليسوعيين في باريس .

الأب ريكاردو : أقمت طويلا في باريس ، كان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى .

بسكال : (في لهجة ارتياب) وهل أعجبت بها ؟

الأب ريكاردو : أعجبت - كما تتوقع بحق - بالروائع الفنية التي تكدرت فيها على مدى القرون . لسنا همجيين ياسيد لومبير ، وإن كانت صحفكم ومجلاتكم تنشر أحيانا عن بلادنا تعليقات تؤلنا أكثر مما تبحرنا . غير أن الاعجاب الذي أحسست به امترج بقلق شديد ... كان ذلك العهد هو عهد الجبهة الشعبية ، ياسيد لومبير . أتأذن لي بأن أسألك ؟ ولكن ، كلا ، هذا السؤال لا جدوى منه . فان عقلا ممتازا مثل عقلك لا يمكن أن يخضع لا غراء تلك الغوغائية .

بسكال : كانت السياسة تبعث دائما النفور إلى نفسي . واليوم : أرائ اليوم نفسي على ذلك النفور .

الأب ريكاردو : لو لم يكن الأمر بعيدا عن اللياقة ، لأحببت أن أسألك : فيم تكمن أخطاؤك بالضبط : وفقا لتقديرك . أتريد أن تقول إنه كان ينبغي عليك المشاركة على نحو أنشط في الدفاع عن النظام ؟

بسكال : (في حيوية) كلا ، بل تأكيد ، فليس لي روح الشرطي ... كلا ، وإنما الأخرى أن أقول انني أخذت حينذاك في يسر شديد نصيبي من الظلم الاجتماعي في زمن كان من الممكن بالعزيمة الصادقة مكافحة ذلك الظلم كفاحا مفيدا بلا شك .

الأب ريكاردو : الظلم الاجتماعي ؟ هذه كلمات صحفي أو محام ، ولكنها تصدم قليلا حين تخرج من فم رجل مثلك ،

بسكال : أنا لا أفهم ، أو بالأحرى ، انني أفهم أكثر من اللازم . أعترف لك يا أبتاه ، بأنني منذ أن أتيت إلى هنا ، اتخذت بعض الألفاظ التي طالما ارتبت فيها ، رنيناً غير متوقع .. أوه لاحظت ذلك في الشرق ، يبدو لنا البؤس أشد وضوحاً حين نسافر إلى أرض أجنبية . ففي بلادنا ، تكون عاداتنا ، وعملنا على الأخص أشبه بغلاف واق يعمى الأبصار . إن وضوح الرؤية لا يكون ممكناً إلا إذا دفعنا الرحيل عن الأوطان ثمننا له .

الأب ريكاردو : لست على مثل يقينك ياسيدي العزيز . فأنا أنحس

ألا يكون المسافر من وجهة نظري سوى مخبر صحفي — مخبر صحفي مبتدئ . وحتى المخبرين المحنكين لا يفهمون شيئاً مما يشاهدون . بل يقال إنهم حين يكونون بعيداً يفرزون أحكاماً مسبقة كانوا منزهين عنها في بلادهم .

بسكال : أحكاماً مسبقة ؟ ... (محاولاً السيطرة على نفسه)
إنك تتحدث بلغتنا على نحو ممتاز ، يا أبتاه .

الآب ريكاردو : تلقيت الشطر الأكبر من دراساتي في كلية
جزويت فرنسية .

بسكال : قلت لك من قبل إن لي الشرف بأن يكون لي
أصدقاء بين الآباء الجزويت (اليسوعيين)

الآب ريكاردو : من الممكن أن نخشى لسوء الحظ — وأستطيع أن
أتحدث عن هذا الموضوع بحرية لأنني لا أنتمي
إلى « الجماعة » — أن تتعرض وحدة هذه
الجماعة للخطر . إن معلومات دقيقة تصل إلينا
عما يجري في فرنسا ، وكان ارتياحنا عظيماً
حين علمنا بالتحذيرات الجدية التي وجهت في
الأيام الأخيرة إلى أولئك اللاهوتيين الطائشين
الذين توّدى تعاليمهم اذدامة رأساً إلى الاتحاد .

بسكال : لست لا هوتيا ، أو حتى فيلسوفا ، ومعرفتي
هزيلة بالمذاهب التي تشير إليها .

كل ما أعرفه هو أنني التقيت في تلك الطوائف
برجال على درجة كبيرة من تفتح العقل .

الأب ريكاردو : إن ما تسميه تفتحاً للعقل يمكن أن يكون
ثغرة نفذ منها كثير من الأخطاء .

فهنا ، في هذه البلاد القائمة عبر الأطلنطي ،
نرى أن مهمتنا هي تحصين العقول ضد هذه
الأخطاء التي أدمنت حديثاً جداً ، وتعاليم
الأدب التي أشاروا بها عليك بتوصية أشخاص
من الصفوة مثل كارلوس مارتينيز — هذه
التعاليم قدّر لها في تفكيرنا أن تكون بمثابة
معقل ضد تلك الأخطاء البغيضة التي قادت
أوروبا إلى حتفها .

بسكال : (في جفاء) بوصفي مؤرخاً للأدب ، وللشعر
وللرواية ، لا أرى فيم يمكن أن أوكد هذا
الدفاع .

الأب ريكاردو : انت تدهشني ياسيدى العزيز . في الصراع —
المكشوف بين الروح القدّس والقوى الشيطانية

التي انطلقت من عقالها في العالم ، لا يمكن أن
يقوم ثمة حياد في أي مجال كان ، ولا سيما في
المجال الذي تسميه بمجال الأدب . ولا يكفي أن
يقتصر الأمر أو أن يكون الغرض الرئيسي هو
مجرد العرض ، بل ينبغي أن نحكم ، وأن —
نحكم وفق معايير ثابتة . وقد كنت أنا نفسي
مشغولا بأدبكم ، فكتبت مؤلفا صغيرا عن —
« فيو » العظيم الذي كان دليلا على وضوح
في الرؤية عجيب في زمانه . ينبغي أن نقوم
بمراجعة للأحكام في ضوء الاحداث المعاصرة
كما ينبغي أن نتخلص من ذلك التساهل المجرم
الذي أبداه الناس نحو أولئك الذين حطموا —
الايمان ، وفتحوا الطريق المؤدية إلى الفوضى .
وقد أكدوا لي أنك تنوى محاضرة طلابك عن
« جيد » و « بروس » ، وعن لأدري ؟
.. وعلى فرض أنهم خولوك هذا الحق ، وهذا ما
كلفك بإبلاغك به صراحة — فسوف يكون
ذلك بشرط رسمي : وهو أن تكشف عن
الاعطاء ، وعن الفظائع التي تحفل بها كتاباتهم
أنا اتحدث بالسماع ، فان عندي ما هو أفضل

من دس أنفى فى تلك الأقدار . ولكنى فى —
الحقيقة لايساورنى قلق . فان وجودك هنا ،
بيننا — يثبت إثباتا كافيا أنك معنا فى هذا
الصراع العظيم .

بسكال : معكم ؟

الاب ريكاردو : لن أبحرك باعتقادى أن رحيلك كانت تمليه
دوافع شخصية بحتة . فاذا كنت قد غادرت
أوربا ، فذلك لانه لم يعد من الممكن مواصلة
ذلك الصراع فيها مع أية فرصة للنجاح .

بسكال : (فى سخرية مقنعة) ألا تعلم — ياأبتاه —
أنك تنيرنى فيما يتعلق بنيانى الخاصة ؟

الاب ريكاردو : هذا المناضل العنيد ، هو ذلك الرجل الذى
أستقبلناه بين ظهرانينا ، كل ما فى الامر هو أن
للمعركة قواعدا الى ينبغى أن يخضع لها
الجندي . وهذه القواعد لايمكن أن تصدر إلا
عن أعلى سلطة ، أعنى الكنيسة . ولقد سمعت
أن ممارستك للشعائر الدينية كانت مهترئة قليلا فى
الأيام الأخيرة . عليك أن تشرح ذلك على
كرسى الاعتراف . أنا لأأصر ، فهذا أمر غير

لائق . ولكنى أريد - بصورة مطلقة - أن
نشعر بأننا على اتفاق تام . وأكرر لك أنى لا
أطالبك بالافضاء بشيء عما تعانیه أو عما لاتعانیه
فأنت تعلم مثلى أن هذا لأهمية له على الإطلاق
فحين يكون الجندى فى الخدمة ، لانهم كثيرا
بعواطفه ، أو بردود أفعاله .

بسكال : (فى حدة) يابى ، هناك سوء تفاهم خفيف
بيننا . انى لم اختر ما هو ضد الحرية .

الاب ريكاردو : ما الذى تسميه بالحرية ؟

بسكال : كما أنى لم اختر ما هو ضد الحقيقة . . وهما .
فى نظرى - ممتزجان .

الاب ريكاردو : لن أطلب منك ان تشرح ماتعنيه هاتان الكلمتان
فمن الممكن أن يؤدى بك ذلك إلى ضروب -
غريبة من الجهر بالايمان . وأسلم بكل بساطة
بأنك لكونك فرنسيا لم تستطع أن تقاوم اغراء
نفخ هذه الألفاظ الرنانة فى أذنى ، تلك الألفاظ
التي وجدت لديكم دائما كثيرا من الأصدااء
منذ أن نأت بلادكم التعسة عن التراث الدينى .
ولأنك لتذكرنى بطفل صغير يقرع الطبل . أجل

الأمر على هذا النحو تماما . وأنت في هذه
اللمحة شديد الانفعال ، ولكنك ستعود إلى
مشاعر أكثر اتزاناً . . وفي هذه الحالة ، اعتمد
كثيراً على الضرورة . إلى متعة لقاءك مرة
أخرى ، ياسيدى العزيز .
(يخرج)

المنظر الثامن

فترة صمت طويلة

بسكال : (مناديا) إستير ! إستير !
مارك - آندريه : (داخلا) لم تعد أُمى بعد . ماذا أصابك ياعمه
بسكال : إن الكلاب تزداد ضغطاً .
مارك - آندريه : أوكد لك اننى لأفهم .
بسكال : ولكن بلى ، أنت فاهم ! . . . الغرباء الذين
نعيش عندهم ، هذا الاختلاط البشع بفاسق ،
وعلى الأخص - وهذا أسوأ من كل شيء -
هذا الحجز ، هذه المصادرة . . أما أنا ، فلن
أخون . . أوثر الموت . . وأنت يابنى ، إلام

تصير ؟ ماذا سيفعلون بك ؟ ألم يُضنك الأسف
على رحيلنا ؟

مارك - آندريه : (في بساطة) كلا . . أقسم لك بأنه لا يضنني .
إن لدى انطبعا . . كيف انقله اليك ؟ . . .
منذ أن اصبحت هنا يبدو لي أنني شيء مطويّ
يُنشَر ، واني ربما وجدت نفسي . تيريزا .
إن لها اصدقاء يبحثون عن مدرس شاب لتدريس
اللغة الفرنسية إلى ابنائهم . وقد عرضوا على
هذه الوظيفة . . فقبلت طبعاً . لم أعد اريدان
اعيش طويلاً على نفقة أصدقائك . وانا الآن في
الانتظار . وأرجو أن أجد سكرتيرة .

بسكال : الحق أنك لم تعد بنفس الهيئة . . أينبغي أن
أفهم أيضاً أن هذه الفتاة ؟ . . .

مارك - آندريه : ألا تراها فاتنة ؟ ثم إن لها لصوتا ! . . .

بسكال : جميل . . وهكذا ، لم نخطئ على الأقل فيما
يتعلق بك .

مارك - آندريه : ألا تحقدون علىّ :

بسكال : ولكن كلا ، يابني ، فهذا شعور وضعيع وغبي

.. أن نحقّد عليك ! ولكن هذا معناه الرغبة في الحياة نفسها .

مارك - آندريه : إذن ماذا ؟

بسكال : في مثل سني ، يصبح ذلك الحقّد أمراً لاسيبل إلى الاعتراف به .. ويبدو أن أولاد خالتك الصغار سعداء جداً ، ولاسيما إيزابيل ، أما روجيه ، فهو حائر قليلاً .. إنه يأخذ عني .. ولكنه سيعتاد .

مارك - آندريه : وأنت ، ياعمى بسكال ، أليس من المسموح أن نأمل ؟ ..

بسكال : كلا ، بكل تأكيد ، كلا ... كانت - والدتك على حق ، أكثر مما تستطيع أن تتصور هي نفسها .. كان فراري خطأً وعقابه الخاص في آن واحد . (إلى إستير التي تدخل في هذه اللحظة شاحبة الوجه ممسكة بخطاب في يدها) إستير ! ماذا دهاك ! لماذا هذا الوجه الزائف ؟

إستير : خبر مروع . روبير .. اختفى ... ونحشى أن يكون قد خطف .

بسكال : أنت مجنونة يا إستير ، من الذي خطفه ؟

إستير : ولكن ، ألا تتذكر ، أنه كان ينادى بشيوعية
فرنسية . . .

مارك - آندريه : الشيوعية ستكون واحدة في كل مكان . ولكن
من يدريك أنه لم يكن مكلفا برسالة سرية إلى
أوروبا الشرقية ؟ . ولكنني ، لأفهم شيئا -
ياأماه في نهاية الأمر ، إنك لم تُحييه قط ،
وأنت ، ياعمى بسكال ، لم تكن تستطيع
أن تتحمّله . . . أخيرا ، ماذا أصابكما ؟
أنا لأفهم . . .

(صمت - يخرج)

بسكال : (إلى إستير في حزن عميق) ابتهجي ، ياإستير
رسا ابنك على بلاد ذات عواطف غير مشوبة .
وسيُكتب له البقاء .

إستير : ولكن أنت ، يابسكال ، ولكن نحن ؟
(يهز بسكال كتفيه في حركة تدل على الإعياء)

الفصل الخامس

نفس ديكور الفصل الرابع . بعد مضي عدة أيام

المنظر الاول

بسكال ، إستير

(تقرأ إستير فقرة من صحيفة ناولها إياها —
بسكال . يمكنان هنيهة صامتتين)

إستير : يبدو لي الأمر واضحاً بما فيه الكفاية . لقد
قتله الآخرون لأنه لا يوافق على مزاعمهم .
وكانوا قد رأوا فيه زعيماً لمعارضة يمكن أن —
تصبح معوقة .

بسكال : وهذا لا يدهشك ؟

إستير : كلا . . أتذكر أنه قال لي ذات يوم : الاحتلال
السوفيتي معناه قرن من الفاشية في فرنسا . . .

بسكال : أجل . . . ولهذا ظل فرنسا حقاً .

إستير : أترتاب في ذلك ؟

بسكال : إني لأعترف به ، هذا فظيع يا إستير

هذا الضوء الذى ينيرنا بالنسبة للأشخاص حين
يصبحون في عداد الأموات . . . افهمين جيدا
إن المثل الأعلى الذى ضحى أخوك بنفسه من
أجله ما برح يفزعنى ، إنه إدانة لكل ما يدعونى
إلى الحياة . وانى لأحطم نفسى حين أقبله . .
ولكن أين هى تلك الدوافع التى تدعونى إلى الحياة ؟
: أسألك أن تفكر فيه بضع لحظات . أنا أعلم
جيدا انك لم تحبه ، وأنا ، هل أستطيع أن أقول
مخلصة إننى كنت أحمل له عاطفة حقيقية ؟
إننى أبحث ، وأعود إلى الماضى . . إلى طفولتنا
. . لم تكن لنا أبدا نفس الميول . كان مستبدا
وعنيفا في بعض الأحيان . سأفضى إليك بشيء
رهيب : لم تكن أمنا تحبه ، كان يذكرها
بشقيق لها ، ثورى هو أيضا ، كل ما في الأمر
أننى أتساءل — وهذه فكرة مخيفة — ما إذا كان
هذا الحب الفاشل قد تحول إلى بغض في أغوار
قلبه . لقد حدث لى ، أوه ! نادرا ، مرتين
أو لعلهما ثلاث مرات ، أن ألمح في عينيه —
تعبيرا كان هو تعبير اليأس حقا . . . وخاصة
حين يحسب نفسه وحيدا .

إستير

بسكال

: ولكن ، هذه المرأة التي كتبت إليك ؟ . .

إستير

: أنا لأعرفها . ولم يحدثني روبرت عنها إلا لما ،
ولم يكن يريد أن التقى بها . ربما تصور أنني قد
أوجه إليها كلمات جارحة . . وكان في ذلك
مخطئا . . بيد أنه لم يكن يعرفني حق المعرفة ،
إذ لم يكن نفسانيا ، وفضلا عن ذلك ، كان
ينحني في حكمه على الناس جميعا ، كما تعرف
. . بل كان يرفض أن يتصور قدرتنا على معرفة
الآخرين ، إنه لم يكن يؤمن بالآخرين ، —
وكان يحتقر علم النفس ، وينظر إليه بوصفه
علما كاذبا بورجوازيا . ومع ذلك ، فقد
كان يعيش من أجل الآخرين .

بسكال

: ألا تعتقد أنه كان طموحا ؟

إستير

: كلا ، باخلاص ، كلا ، لأعتقد ذلك .
إن ما يملوئي بشفقة لاسبيل إلى احتمالها فكرة
أنه كان يؤذي نفسه باستمرار أمام الناس جميعا
كان يُرغم الآخرين على الحكم عليه بأنه منفر
وعلى أن يعرضوا عنه . وهذا كان عيبه .

بسكال

: والآن ، لانستطيع أن نصنع شيئا من أجله ؟

وحتى لو عاد إلى الظهور أمامنا بمعجزة ، فسوف
يستولى علىّ مرة أخرى ذلك الشعور بالنفور —
الذى لا سبيل إلى قهره ، والذي أوحى به إلىّ
دائما .. ولكن ، هذه الشفقة التي تستيقظ في
نفسى كلما تعاقبت اللحظات ، أهي شعور
كاذب ، شعور يقتضى إعدام من تتجه إليه ؟

إستير : يا صديقي ...

بسكال : ماذا تريد أن تقول ؟

إستير : لم أعد أجرو .. أخشى أن أتحدث مبكرا جدا
قبل أن تنضج تلك الفكرة في أعماق قلبي .

بسكال : يا إلهي .

إستير : منذ لحظة .. بل بعد ذلك قليلا . أولا ، دعني
أوجه لك شكرى العميق . لقد نجا مارك — آندريه
وكنت على صواب .. أوه ! إنها ليست
بالنسبة لي سعادة غير مشوبة حين أرى أنه عاد
إلى الحياة منذ أن أغلق الباب نهائيا على كل ما
كان لنا .. لا داعي لأي وهم يا صديقي ،
مارك — آندريه لم يعد فرنسيا . فهل يصبح يوما

مواطننا لهذا البلد ؟ هكذا ممكن ، ولكننا لا
نستطيع أن نكون على يقين من ذلك .

بدأ ... أينبغي أن نقول انسلخه ؟ أجل ، إنه
انسلخ ، تحول إلى صورة جديدة .
أرأيت كم تغيرت نظرتيه ؟ إنه يضحك
الآن للأشياء ، وهو الذي لم يكن يضحك
قط ... وقد أصبح معي مرة أخرى غايةً في
الحنان ... وهذه كلها علامات تبعث على الابتهاج

بسكال : بأي حزن تقررين ذلك !

إستير : ليس في وسعي ألا أشعر بذلك الشعور ، ولكنني
أعلم أنه مذنب ، إنه شعور الأم المتملكة التي لم
أكن أريد أن أكونها بحال من الأحوال !
واني لأحاول - بمجهود شاق - أن أخفف من
احتضاني له . . وسأبلغ ما أريد . إذ لا بد من
ذلك . وحين أقبل مارك - أندريه أمس
إلى حجرتي ليحييني تحية المساء ، وجدني غارقة
في الدموع : واستطعت أن أقنعه بأنني أبكي على
مصرع نخاله . . ولم يكن ذلك حقاً كله ... ومع
ذلك . . من المخيف - يابسكال . تلك الطريقة

الى تتصل بها الأخران جميعا .
بسكال : أجل . إنها تصب جميعا فيما أسميته ذات يوه
نقطة الأسى الدائرية .

(صمت)

المنظر الثانى

نفس الأشخاص ، رينيه
رينيه : أظن أنكم تتحدثون عن روبر التمس . هذا
مخيف . كل ما أطلبه منكم هو ألا تتوقفوا
طويلا عند هذا الموضوع في حضور كارلوس
واينيس . . فلقد رأيت حرجهم عندما فهموا
أن روبر كان شيوعيا . وهذا أمر طبيعى
جدا . . ضعوا أنفسكم في مكانهم . ولو أن هذا
النبا انتشر في سان فيليب ، فسوف يجر علينا
بكل تأكيد عواقب وخيمة .

بسكال : ولكنك - غريبة الشأن - يارينيه . من الحسنة
من جانبي أن أحاول اخفاء أن روبر كان
شيوعيا ، وأنه مات في ظروف أحق بأن تُسَرَفه .

رينيه : هذا ، مالا يعملون عنه شيئا .

بسكال

: الأسباب جميعا تدعو إلى افتراضه .

رينيه

: الآن ، بعد أن لم يعد عقبة في سبيلك ،
تكتشف أساسا عظيما يدعوك إلى اكباره . إنني
أعرف ما أقول . إن موقفنا صعب بما فيه الكفاية ،
ولا أسمح بأن يفعل احد ما من شأنه أن يزيد
تفاقما . وأضيف أن هذا « الشقرمون » الذي
هو وباء ...

بسكال

: آه ! ألا حظت أنت ايضا ؟

رينيه

: انه لا يسعى إلا إلى ايدائنا . ولو علم بالنبأ ،
لسارع إلى اذاعته .

أما كارلوس وإينيس اللذان هما الطيبة نفسها ،
فلن يتحدثا عنه أبدا بكل تأكيد ، ولكنكما أنتما
أيضا مذنبان ، أنت وهي ، لارتكاب حماقة
لا سبيل إلى إصلاحها .

المنظر الثالث

نفس الاشخاص ، كارلوس.

رينيه

: أرجوك يا كارلوس ، اسعفى ، انهما لا يريدان
أن يفهما بأنه لا ينبغي إشاعة قصة أخى غير

الشقيق ، بأى ثمن . ولا يملك فينا نحن الثلاثة
الاحساس بالوقائع ، غيرى أنا .

كارلوس : بسكال ، جئت لأخبرك بأنهم سيحضرون هنا
بالميكروفون بعد ساعة حتى تستطيع — دون
أن تنتقل من مكانك — تقديم الإرسال
المخصص للفرنسيين في أوروبا . . . وجدتك في
غاية من الإرهاق ، فبدا لي من المستحسن أن
أوفر عليك كل ازعاج .

بسكال : هذا شيء لطيف جدا منك ، يا كارلوس ،
ولكننى لست أدري بعد ما سأقوله اليوم . . .

كارلوس : لست قلقا . فلا تشغل بالك ، فأنت تحسن
الارتجال اذا استدعى الأمر . واليك من جهة
اخرى — هذه الرسالة التى وصلت إليك من
سان — فيليب بالبريد المستعجل . ومن العنوان
أعتقد انها من مدير الجامعة . لاشك انها لتحديد
الموعد الذى طلبته .

(يمد يده بالرسالة الى بسكال ، الذى يفتحها
ويقرأها على عجل .)

بسكال : يكاد هذا الخطاب أن يكون مؤدبا . . . إني —
مندهش . . . حين وصلت إلى هنا ، كتب إلى
بأسلوب مختلف تمام الاختلاف :

كارلوس : أخشى أن أحمّن تفسير هذا التحول . . . ينبغي
أن تعد نفسك لتقديم تفسير عسير إلى المدير الذي
قد يكون فظا . . .

رينيه : (مندفعة) بكل تأكيد . . . وذلك عقب —
محدثك مع رجل الدين ذلك اليوم . . .

بسكال : حقا ؟

كارلوس : لا يمكن أن يكون ثمة شك في هذا الموضوع . .
إن « الاب ريكاردو » الذي التقيت به أول
أمس لم يخف على أنه كتب إلى العميد لاشراكه
في هواجسه .

بسكال : وماذا بعد ! ولكن ، هذا حسن جدا .

رينيه : كيف يمكن أن يكون حسنا جدا ؟

بسكال : إني أحب المواقف المحددة حبا جما . يجب
أن أبدأ محاضراتي في بحر خمسة عشر يوما ،
ولا أسمح لنفسي بأن يطوف أقل التباس بالروح

- التي ينبغي أن ألقى بها هذه المحاضرات .
- رينيه : (إلى كارلوس) هل فهمت ؟
- كارلوس : يا صديقي العزيز ، أتوسل إليك أن تنتبه . .
- بسكال : لن يصنعوا مني مُطَهَّرًا للأدب .
- كارلوس : دعني أقل لك أنني ضمنت مشاعرك —
الكاثوليكية .
- بسكال : بأي حق ؟
- كارلوس . : لقد اعطيتني مدام لومير — منذ عدة أشهر —
جميع الضمانات الممكنة ، ولما كنا قد فهمنا
أنها تكتب على لسانك . .
- بسكال : هذا احتيال .
- رينيه : (إلى كارلوس) أرجو أن تتركني على انفراد
معه . . يعلم الله ما سيتهور بقوله . . رحماك .
(إلى إستير في جفاء) إن مكانك ليس هنا .
لدى انطباع بأنه قد استمد منك تشجيعا لإجراميا
لأدري كنهه .
- إستير : أنا لم أقل شيئا . .
- رينيه : عما تتحدثان خلال تلك النزعات التي لاتنقطع

كلا ، أوثر ألا تجيبي على .

إستير : (إلى بسكال) أينبغي على ؟ .. كلا ، إنها على حق في نهاية الأمر . وفضلا عن ذلك — عندى قرار خطير ينبغي أن أتخذه ، ولا بد أن أدخل إلى نفسي .

المنظر الرابع

بسكال ، رينيه

بسكال

: لقد وقعت في كين .

رينيه

: الآن ، أصغ إلى . إن مايجرى هنا أخطر مما تظن . وأنت في سبيلك إلى قطع كل ماوراءك من جسور دون أن تفكر مليا في المستقبل الذى تعده لنفسك . . . أقول ، الذى تعده لنفسك ولست أدري ربما كانت تراودك تلك الفكرة السخيفة ، بالعودة إلى أوربا .

بسكال

: كلا .

رينيه

: إذن ؟ تتصور ما يحدث لو أنك فقدت كل أمل في العثور على منصب ؟

بسكال

: هذا سؤال ليس من حقى أن أضعه لنفسي .

- رينيه : أنا ، مع الأطفال ، أستطيع أن أدبر أمرى
فهنا أناس راثعون
- بسكال : أتحدثين عن إينيس و كارلوس ؟
- رينيه : كلا ، فقد خيبا أملى تماما . فهي ليست سوى
دمية .. ، وهو ...
- بسكال : ماذا تأخذين عليه ؟
- رينيه : (دون أن تجيب) المسألة لا تتعلق بكارلوس في
هذه اللحظة ، بل بنا ... فلو تصرف كشخص
غير مكترث و كجنون ، فلن ياومنى أحد على
انتراع الطفلين منك . بل على العكس ، سوف
يشفق الناس جميعا علىّ .
- بسكال : وهذه الشفقة تعجبك ؟
- رينيه : إن اللاجئين من أمثالنا لا يمكنهم أن يمتنعوا أنفسهم
بترف الظهور بمظهر الكبرياء الشديدة . وهنا —
أيضا ، ولا أدري إن كان ذلك راجعا إلى اختلاط
الأجناس — يبدو الناس جميعا لطافا ، متسامحين .
- بسكال : ومع هذا كله ، من المستحسن ألا نصيح فوق
الأسطح بأن لنا أخا شيوعيا ..

رينيه : أولا ، لم يكن رويير شقيقى ... أحسست دائما
أننى ابنة أمى أكثر من أن أكون ابنة أبى .

بسيكال : عجيب ... ثمة شخص لم يُنطق اسمه بعد ...

رينيه : ماذا تقصد ؟

بسيكال : إستير .

رينيه : فلنبعد عن هذا الفصل ، إذا سمحت : جاءت
إستير إلى هنا على الرغم منى ، وفي ظروف
يتفق أصدقاؤنا ...

بسنكال : ثم ماذا ؟

رينيه : يتفق أصدقاؤنا في الحكم عليها بأنها مشينة .

بسيكال : ماذا تقولين ؟

رينيه : لن تنكر أنك أرغمتنى . وكانت إستير تعلم تمام
العلم أننى لا أرغب إطلاقا في اصطحابها .

بسيكال : ولماذا تصطحبونها ؟ لقد دَفَعَتْ أجر رحلتها
ورحلة ابنها .

رينيه : وانى لأتساءل أيضا — كيف كان ذلك . أشك
شكا قويا في أنك قدمت إليها قرضا من المال .

- بسكال : وأين العيب في ذلك ؟
- رينيه : لقد فُرضت على إذن بطريقة اعتبرها وقحة .
- بسكال : أنت تهدين . وإنما أريد أن أعرف ماذا تعني كلمة مشينة التي استخدمتها منذ لحظة .
- رينيه : مع ذلك الذي لا تفهمه !
- بسكال : أوثر ألا أفهم .. أو لعلك تريدني حقا أن أدافع عن نفسي ؟
- رينيه : أنا ، لم أتهمك .
- بسكال : أتلمحني إلى أنني في نظر الناس هنا عشيق أخفك ؟
- رينيه : انا لا أتحدث عن كارلوس وإينيس ، ولست بعد على يقين ...
- بسكال : لا يهمني ما يفكرون فيه ، أساسا . إنهم أناس من هذه الدنيا وليسوا كائنات بشرية .
- رينيه : ياله من احتقار ! أعتقد نفسك من البروليتاريا مثلا ؟ إن ما أستطيع أن أضمنه لك أنا ، أنك لو واصلت التصرف على هذا المنوال ، فستجد نفسك بعد وقت ما حطّاماً ، لا تنتمي إلى أية طبقة ، طفيليا لا جدوى منه — وحين أقول

طفيليا ، ليس طفيليا من يريد .. لابد من أن
تنال الاعجاب ، أما أنت فتبعث على النفور ..
أنت تسعى لأن تكون شاذا . ومادمت تتحدث
عن إستير ، فسأنقل إليك التحذير الذى يلغى
ذلك اليوم . يجب وضع نهاية بأسرع ما يمكن
لصلة حميمة يُحكم عليها بأنها أكثر من مربية .
وبهذا الشرط وحده يمكن أن تُقبل في سان
فيليب . أوه ! إننى أعلم جيدا ، من يسمعك منذ
لحظة يمكن أن يظن أنك قد تنازلت أنت
نفسك عن هذا الكرسي ، ولكننى اراهن على
أن صيحاتك ومظاهرك الفخمة لا تدل حقا على
شئ . وأنتك بعد ليلة من السهاد سترجع بلاشك
إلى نظرة أفل رومانتيكية للموقف . إنى أعرفك ،
إنك لا تشعر بأى ميل لعدم الاستقرار ، وما من
أحد أشد احتياجا منك للشعور بأن حياته المادية
مضمونة . وأذكر تلك اللحظة التى شاعت فيها
ضجة مربية حول بنك يرييه الذى كنت من
عملائه .. كدت تخرج عن طورك من القلق .

بسكال : وهذا أيضا ! ... لقد احتفظت عمدا وعن

تفضيل بكل ما يمكن أن يكون - في حياتي -
موضع احتقار ... لماذا ؟

رينيه : لي دائما ذاكرة جيدة جدا . ولا أرى ما يدعو
لمواخذتي عليها .

بسكال : من الممكن أن يقال إنك قد وضعتِ على طريقتي
لكي تضعي خطا حاقدا تحت الفجوة القائمة بين
ما أنا عليه وبين ما أتمنى أن أكونه .

رينيه : لا أحب الأمانى . إنها مهزلة يلعبها المرء على
نفسه . وأرفض أن أكون مخدوعة . هذا شيء أشبه
بذلك النوع من الحب الأفلاطوني بين إستير
وبينك .. وأنا لا أعرف ما ينطوي علشيه من
شيء مضحك أو شاذ .

بسكال : اسكتي .

رينيه : أذكر أنني عثرت في منزل ريفي قديم على
مجموعة « مجلة عالمين »
وكانت تضم روايات لادوار رود . إنك شخصية
من شخصيات إدوار رود .

كل ما في الأمر أن الناس أقل سذاجة اليوم عما

كانوا عليه في ذلك العصر .. هذه الغراميات
الطاهرة ، يعرف الناس ماوراءها ..

بسكال : كيف تعرفين أن إستير ليست عشيقتي ؟
(تنفجر رينيه في ضحكة مزدرية ..)
أني أهرهك .. أنت شقائي .. لقد كنت دائما
شقائي ...

المنظر الخامس

نفس الأشخاص ، إستير

رينيه : (إلى إستير) أتريدين أن أخبرك بما يسعى بسكال
إلى اقناعي به ؟ ... تخمينين ؟ لعلك في قرارة
نفسك تكونين مسرورة لو أنه نجح ... ولكن
لا حيلة لنا في شيء ... (إلى بسكال) أنت لست
أنت لست رجلا ، ولم تكن رجلا قط .. ربما
كنت في أحسن لحظاتك أكثر قليلا من إنسان
قد أعتقد هذا ...

ولكنك في حياة كل يوم أقل كثيرا من إنسان
وهذا ما يفسر كل شيء .

(تهم بالخروج)

بسكال

: لا تذهبي ، قبل أن أقول لك - أنا - رأيي
فيك ... ألا يكفيك أنك تحايلت للحصول على
رد من أصدقائك متظاهرة بأنك تكتين نيابة عني
وباسمي ... وأتيت هنا بأمل أن تلتقطي كارلوس
كما تلتقط البغي زبونها على الرصيف ... كل
كل ما في الأمر أنك خدعت .. وهو أيضا
على الأرجح ، بل هو أولا .. لقد تغيرت
يارينه ، ~~في~~ ^{في} ~~اليوم~~ ^{اليوم} ~~ينارتير~~ ^{ينارتير} الجميلة . ولا حظت
النظرات التي تبادلها أصدفاؤك أول أمسية ...
وتستطيعين أن تبحي عن ذكر له ارادة قوية
ليخلصك من ماضيك الثقيل كامرأة شريفة .
إن ذلك الماضي يلتصق بجلدك ، ويحرقك .. فلم
تعودي تتحمله ...

(تخرج رينه . يترنح بسكال ، ويتقدم يضع
خطوات في اتجاه الباب التي خرجت منه ،
ثم ينهار في مقعد كبير .)

إستير

: (تنحنى عليه) بسكال ! ..

بسكال

: (بصوت خافت) إني حقير .. الوضاعة معدية
التقطتها كالحمى .. أوروبما ... ربما كانت كامنة

فيّ .. أجل ، لا بد أنها كانت بكل تأكيد ، كامنة
فيّ دائما .

إستير : (في عذوبة) كلا .

بسكال : لا بد أنها ذبلت من اتصالها بي .. ذبلت بكل
أشكال الذبول ... هذا شيء لا يطاق ...

إستير : (كما سبق) لماذا تشقّ على نفسك .. حين
أحاول أن أبرّئك ؟

بسكال : ليس ذلك في وسعك ، يا إستير .. قسيس ؟ .
هذه العبارة البسيطة « مغفورة لكم خطاياكم
... » يا لها من معجزة ! ..

إستير : أما أنا ، فلا أراها معجزة ، بل شيئا يخلو من
المعنى ... رجل ، وليكن مثل الاب ريكاردو
— أيملك هذا الحق ؟ هذا شيء يندّ عن التفكير .

بسكال : هذه القدرة لا تنتمي إليه هو ، فما هو إلا أتعس
الأدوات ... سأقول لك شيئا فريدا ...
هذه الكهنوتية السفهية ، الوثنية ، لأنها إهانة
للمسيح ، تقرّبي منه مثلما يفعل الاضطهاد ..
والحقيقة أن هذا اضطهاد آخر

- إستير : (متألّة) لأفهم . . .
- بسكال : أنها في الواقع حركة للروح شديدة الغموض . . .
أو أنها بالأحرى كما لو كان تمهلا غريبا وراء
أقوال هذا الرجل الدينى المناققة ، جعلنى أعتقد
أننى اسمع نداء خفيا إلى مالا نهاية . . . إجابة
على سؤالى . . .
- إستير : سمعت ؟
- بسكال : لا بواسطة الحواس . . . هذا شيء لاسبيل إلى
التعبير عنه . ربما لم يكن سوى تفكير غير
منطوق نطقا متميرا .
- إستير : وماذا طلب منك ؟
- بسكال : ألا أخون .
- إستير : ومتى حاولت أن تخون ؟
- بسكال : (دون أن يجيب) — والأغرب من ذلك ،
أنه في نفس ذلك الصباح الذى اعتقدت فيه
أننى استمع إلى هذا النداء ، صادفت مقابلة
غير متوقعة ، مع راهب شاب حركت هيئته
الجديرة بالاعجاب أعماق أعماق نفسى . ومع

أنه ليس من عادتي مخاطبة الغرباء ، إلا أنني لم أستطع أن أمنع نفسي من أن أقول له بضع كلمات . . . ولن تتخيلي صفاء الابتسامة التي أضاءت هذا الوجه النحيل . . . كانت ابتسامة المسيح .

إستير : ماذا تعرف عن ابتسامة المسيح يا بسكال ؟ ثم إذا كان هذا اللطف الإلهي غير المفهوم قد مُنح لك ، فكيف تفسر العنف الذي أبديته منذ لحظة مع رينيه ؟ أنا لم أسمع الكلمات ، ولكنني أستطيع أن أخمن تقريبا . .

بسكال : إنني أعيدها عليك يا إستير ، رينيه هي شقائي : إنها الكائن الذي لم يكف عن جرى إلى أسفل ، عارضا على صورة لنفسى هي أشد الصور — تشيطا لهنى .

إستير : ألا ينبغي علينا أن نكون متواضعين ؟

بسكال : متواضعين ، بلا شك ، لأذلاء . المذلّة تدمر وتخطّم . (صمت) ما أقسى أن أشعر بك — في هذه اللحظة التي ربما أوشك بالتيقظ

فيها لله — بعيدة كل هذا البعد ، غائبة كل ذلك الغياب . . .

إستير : إني قلقة ، وأنت تعرف جيدا أن هذه الأفكار غريبة علىّ . أتريد أن تقول انك على وشك الخضوع ؟

بسكال : أمعرفتك بي سيئة إلى هذا الحد ؟

إستير : ولكن ماذا إذن ؟ لاتجب علىّ بعد . إذ ينبغي علىّ أيضا أن أصارحك إن أخى التعس قد ترك طفلا صغيرا في الثالثة من عمره . وهذه المرأة التي كان يعاشرها ، فهمت من بعض العبارات التي أفلتت منه ، انها لاتهم بذلك الطفل . . .

بسكال : (بصوت مختق) أتريدان العودة إلى الوطن ؟ أتريدان أن تضعي المحيط بيننا . . أني لن أعود إلى أوربا . . فأنا لأعتقد . . .

إستير : طبعاً ، إنك لاتستطيع أن تترك رينيه والطفلين .

بسكال : ليس ذلك بسببهم . . بل إن السبب أكثر من حيث عدم التميز ، ولكنه أيضا أكثر طغيانا . . إذا عدتُ إلى فرنسا ، فماذا أفعل هناك ؟ — استئناف كتابة أعمدتي ؟ التأليف . . . لم يعد

لهذا كله أى معنى . الدخول في الصراع ؟
الالتحاق بحزب ، الانضمام إلى مالرو —
وأصدائه ؟ هذا مستحيل . أما فيما يتعلق
برفاق أخيك ، فأنا لأستطيع أن أقبلهم إلا بشرط
ألا أراهم وألا أسمعهم . لقد نذرت نفسي
لعدم الفاعلية ، وأنا أعرف ذلك الآن . يجب
أن اعترف بذلك في تواضع مطلق . ولكن ،
ربما كان المرء يستطيع ابتداء من هنا أن يصاعد
« نحوه » ، وان يكون قريبا « منه » ...
(إلى مارك — آندريه الذى دخل) تعالى يا بنى ،
عندى كلمة أخرى أريد أن أقولها ، كلمة
مُقدّرة لك .

مارك — آندريه : (منزعجا) ما هذه ؟

بسكال : لاتتخذ هذه الهيئة المذعورة . لاشيء هنا ينبغي
أن يزعجك ، بل على العكس أعتقد ...
أتذكر أنك حدثتني منذ أشهر عن رجل ،
والد أحد أصدقائك ، وكان يقول : لست
أدرى ما يمكن أن يصنعه الحدث ، ربما جعلنى
رنخوا أشل . ولكنى أحسب أن الله لن يتخلى

عنى ، وأنه سيجنبني السقوط الأعظم . . .

مارك - آندريه : ماذا اذن ؟

بسكال : وسألتني ان كنت أستطيع أن آخذ هذه الأقوال
لحسابي ، فأطرقت برأسي . . بيد أن شيئاً
ما قد تغير . فالخطاب الذي سأكتبه يعد لحظة
إلى مدير جامعة سان فيليب سيخلق موقفاً -
محدداً تمام التحديد . وهذا الامتناع عن الاذعان
لمطالب يستنكرها ضميري ، أملاها علىّ حقاً
الإله الحقيقي . . ومن هذا اليوم اعترف به ،
والترزم بالاتجاه نحوه ، ويبدو لي في تسامحه أوفي
كرمه . . إذ لا يمكن أن يكون ثمة إله بلاشرف .

مارك - آندريه : ماذا أصابك ، يا عماه ؟ . .

بسكال : لاشيء ، دوار . . . لست اليوم على مايرام . إنني
أقبل إذن عدم الاستقرار المطلق ، أقبله هنا كما قد
كان ينبغي على أن أقبله هناك . . المكان لاقيمة
له . . .

كارلوس : (داخلا) رجل الاذاعة في الحجرة المجاورة
مع الميكروفون . أشعر أنك في حالة طيبة
بحيث يمكن أن تقدم البرنامج ؟

بسكال : أجل ، أجل ، يجب أن أفعل ذلك ، هأنذا
قادم ..

(يخرج من باب المؤخرة الذى الظل مواريا .
نسمع في غير تميز ضجة الاستعدادات)

مارك - آندريه : أتبكين ، يا أماه ؟ وأنا على هذه الدرجة من
السعادة .

إستير : كل هذا لاسبيل إلى التعبير عنه .

بسكال : (بصوت قوى) يا أصدقائي في فرنسا ، -
طلبوا منى أن أتحدث إليكم مرة كل خمسة
عشر يوما لكى أقول لكم ، كيف أننا نحن
المهاجرين ، نحن الهاربين ، نرى فرنسا ...

مارك - آندريه : لقد قال الهاربين ! ...

بسكال : في مأساة لكورنى عفى عليها النسيان بضعة
أبيات شهيرة ، وجديرة أيضا بالاعجاب ،
يعلن سرتوريوس - وهو جنرال متمرد في
أسبانيا - انه هو الذى يجسد روما الحقيقية
فيقول :

« لم أعد أسمى روما أرضا تحوطها الأسوار ،
تملؤها العادات بالماآتم ،

فهذه الأسوار التي كان مصيرها أبدع ما يكون
في الماضي ..

لم تعد سوى السجن ، أو بالاحرى القبر :
ولكن لكي تُبعث من جديد في قوتها الأولى
انفصلت تمام الانفصال عن الرومان المزيفين ،
ولما كنت أملك حولى الآن كل دعائمها الحقيقية
فان روما لم تعد في روما ، إنما تكون كلها
حيثما أكون . »

ياأصدقائي ، هذه هذه الفكرة باطلة ، وهذا
ماأريد أن استصرحكم إياه اليوم . اخطأنا
حين رحلنا : وكان ينبغي ان نبقى وان نناضل
في أماكتنا . والوهم القائل بأننا نستطيع أن —
نحمل الوطن معنا لايمكن أن يولد إلا من الغرور
ومن أحمق أنواع الاعتداد بالنفس . وأنتم بامن
قد ترددون حيال خطر الغد ، أستحلفكم بالله
أن تمكثوا ، وإذا كنتم لاتشعرون بالقوة ..
إذا كنتم لاتملكون القوة ...

(يترنح ، يتهاوى على الأرض . تندفع إستير
نحوه ، وفي هذه اللحظة يظهر راهب شاب

عليه سيماء الزهد ، وحين يهمون باعترض
طريقه ، يقول في رفق :

الراهب : سيدتي ، دعيني أذهب إليه . أنا أعلم أنه —
ينتظرنني .

(ستار)

تعليق على مسرحية روما لم تعد في روما قام المؤلف

(هذه الصفحات مأخوذة من محاضرة القيت على مسرح هيبرتو في ١٨ مايو ١٩٥١ . وقد ظهرت في مجلة « رجال وعوالم » Hommes et Mondes تحت عنوان « المشكلات الحقيقية في مسرحية روما لم تعد في روما »)

أريد أن أفحص في هذه الصفحات القلائل الاعتراضات الرئيسية التي وُجِّهت إلى مسرحيتي الأخيرة : « روما لم تعد في روما » .

وينبغي أن أقول أنني كنت مندهشا حين اكتشفت أن بعض النقاد يهاجمون ماحلا لهم أن يسموه - على نحو جزافي تماما - بمصادرة المسرحية ، ومعنى هذا في أذهانهم أن مسألة « الرحيل » لا توضع اليوم في بلادنا . ويكفى أن تحمل ردود فعل الجمهور لهذا التوكيد الغريب أجلى أنواع التكذيب . وما كان من الممكن أن تكون المناقشات على مثل هذا الاحتداد لو لم توضع المسألة أصلا ، وينسحب القول هنا على أناس ينتمون إلى أوساط اجتماعية أشد ماتكون تباينا . وفضلا عن ذلك ، كيف يمكن ألا يوضع هذا السؤال ؟ أنى أسلّم جدلا مع « تيرى مونيه » بأن الموقف العالمى « في الآونة الحاضرة » لا يبرر تبريرا مطلقا بالنسبة للفرنسيين ذمرا كالدمر الذى رزحت تحته زوجة الشخصية الرئيسية في الرواية ، ومع ذلك ، يكفى أن نقرا في أية صحيفة يومية التفاصيل الدقيقة التي تقدّم لنا عن علاقة القوات العسكرية القائمة لكى نعترف بأن في هذه العلاقة ما يبرر عند كل من يعرف القراءة حالة من القلق يمكن أن تؤدي مباشرة إلى ذلك الدمر . وماذا نقول عن الشواهد التي تصل إلينا يوما بعد يوم عن الموقف الدولى ؟ وحتى مع التسليم بأنه ينبغي الحكم اليوم على هذه المخاوف بأنها متطرفة ، فمن الواضح أنه من الممكن أن يقع في بضعة أشهر أو حتى في بضعة

أسابيع حدث في الشرق الأوسط أو الأدنى يعمل على تضيق الكلائة التي نجلرف
بالانسحاق فيها . مثل هذه الاحداث أمور قابلة للتنبؤ بها بحيث يتوقعها القلق :
ولنتذكر أن القلق في جوهره توقع محموم .

وثمة اعتراض آخر ونجته الى ، ولكنه بيدولى أحق كثيرا بأن يؤخذ على معمل
الجد ، ذلك أن أساسه لايقوم — كما يقوم الاعتراض الأول — على العمی الارادی : قيل
لى : « الا تخاطر مسرحيتك باضعاف معنويات شطر من الجمهور ، وتقوية الشعور
الذى يمكن أن يكون لدى الخصم بقدراته وتفوقه ؟ »

فلندع جانبا الشطر الثانى من الحجة : فأنا لا أعتقد أن الشيوعيين في حاجة
الى أو الى أى كاتب آخر من رأى — للومى بقدراتهم النفسية التى يملكونها . بيد
أن الشطر الأول من الحجة لا يخلو من قوة : فان مرض مسرحية معناه انجار فعل ،
والاضطلاع بمسئوليات . وعلى هذا المستوى ، الا اُعرض نفسى للنقد ؟ أعترف
ببساطة شديدة أن الاعتراض لايقبل التنفيذ بصورة مطلقة . كل ما فى وسعى أن أفعله ،
هو أن أوضح المنظور الذى هو منظورى هنا . وأعترف بأننى أرى روح الهروب الظاهرة
في كل مسرحنا المعاصر تقريبا — باستثناء سارتر ، وربما كامى — خليفة بالاحتقار
تماما . وسأترك « كامى » جانبا في هذه الصفحات ، لانه لايدولى كاتبا مسرحيا
أصيلا ، ولا أرى أنه قد تجنب في أى مكان من مسرحه التعثر في صخرة المسرحية ذات
الموضوع *pièce à ti'èse* وأنا لا أجد عنده ذلك الاحترام المطلق لشخصياته
ولحرياتهم التى ينبغى أن تطبع بخاتمها العمل الدرامى . وهذه الحرية محترمة — على
العكس من ذلك — في أفضل المسرحيات التى قدمها لنا سارتر حتى الآن ، وأعنى بها
مسرحية « الأيدى القذرة » . فالمشكلة مطروحة فيها باحكام لا منفلد فيه . وكنت أعتقد
أنه من المناسب كتابة مسرحية يمكن أن تخاطب كلاء منا على نحو أكثر مباشرة حقا —
و حين أقول كلاء منا فأنا أقصد أولئك الذين على وهمى يصل الى الحد الاقصى من
الوضوح بالموقف الذى يتخبط فيه انسان اليوم . بيد أن هذا لم يكن ممكنا الا بشرط
تجاوز الاعتراض المذكور . وقد بدالى — فضلا عن ذلك . أن من الخطورة بمكان
التسليم بأن ذلك النوع من العمی الارادى أو شبه الارادى الذى يعيش فيه ذلك

العدد الكبير من الناس في الغرب - ينبغي تجنبه لأسباب تتعلق بمجرد البيئة .
فالحكم على هذا النحو ، معناه التقدم خطوة أخرى على الطريق التي لا يمكن أن
تؤدي إلا إلى العبودية ، أجل ، أن العمى لا يمكن أن يقود إلا إلى العبودية ، وإلى
العبودية وحدها - أردنا ذلك أولم نرد .

ولكنني أمتدح - على كل حال - بأن المناقشة تظل مفتوحة عند هذه النقطة .
كل ما في الأمر أنني سوف أثور - حتى آخر لحظة في حياتي - ضد أولئك الذين
يشتحون - أي موضوع أيا كان - بحركة متحفظة أو خائفة بحجة أنه خطر . مثل
هذا الموقف لا يمكن قبوله إلا في مجال أدب الأطفال أو هوايهم : فهناك بكل تأكيد أدب
للبالغين - سواء عند الشيوعيين أو عند بعض خصومهم بالطبع - لا يعد إلا تدييلا
لأدب الأطفال .

وهناك سؤال بالغ الدقة وجّه إلى بصدد الإذاعة التي يوجهها « بسكال لومير »
في ختام المسرحية - من البرازيل إلى مواطنيه الذين قد يترددون في اقتفاء أثره ،
ولكنهم مدفوعون مع ذلك إلى مغادرة فرنسا . فقد صاح فيهم قائلا : « لا ترحلوا ،
ناضلوا في موقعكم ، وإذا لم تكن لديكم القوة ... » وسأعود إلى هذا الشطر من
الجملة وإلى الطريقة التي كان من الممكن أن تكتمل بها لولم يصب بسكال في تلك
اللحظة بنوبة قلبية . وقد أبدى لي روائي من أصدقائي هذه الملاحظة : « في هذه
الملابس المسرحية الأخاذة التي قبلت فيها تلك الأقوال ينسدل الستار ، ويغوص
المتفرج في ظلام تام ، وأمامه محطة إذاعة ، بحيث يمكن أن يفكر حقا أنه هو الفرنسي
المنتهم إلى فرنسا - المقصود بتلك الأقوال - وبنفس القوة يتدغم وزن هذا النداء
أو هذا التحذير تدعيما ملحوظا ، ويكاد المرء أن يتساءل : ألا تتخذ هذه الرسالة قيمة
نبيئية في فكر المؤلف ، وكأنه قول يهبط من الأعلى . » وأضاف صديقي قائلا :
« ولكن ، اليس ذلك اتخاذ مسئولية ثقيلة على نحو رهيب حين نوحى إلى المتفرجين
بأنهم يقتربون جريرة أخلاقية حين يفادرون بلادهم » وهنا وجدت نفسي - أنا المؤلف -
موضوعا في موقع ينبغي أن أقول فيه عما إذا كنت أخذ هذه الرسالة على عاتقي .

وأنا أجيب دون مراوغة ، بالنفي . وأقول هنا بأكبر وضوح ممكن ، لو أن شخصا
لا أعرفه جاء إليّ مقب عرض « روما لم تعد في روما » - وهذا ما يحدث لي أحيانا -
وسألني بوصفي موجّها للضمير هل أثنى عزمه حقا من الرحيل ، أو عما هو أخطر من

ذلك - من ترحيل أطفاله - هنا امتنع امتناعا مطلقا عن التعبير عن نفسه على النحو القاطع الذي عبر به يسكال عن نفسه ، اذ لا أعترف لنفسى بأى حق فى هذا . وانى لأذكر - فضلا عن ذلك - أن وجهات نظرى الدرامية لا تحتمل اطلاقا أن يتخذ المؤلف فى أية لحظة واحدا من شخصيات مسرحياته بوصفه متحدئا باسمه *poric - parcle* والحقيقة هى أن تلك الرسالة الازاحية تتمشى مع تفكير يسكال كما رأيناه أخذا فى التطور منذ بداية المسرحية ؛ فمن « الضروري » فى هذه اللحظة من تطوره أن يصبح بمناسبة أبيات سرتوريوس الشهيرة قائلا : « هذا التفكير باطل » ، وهذا كله بلهجة من النصائح المؤثر أشد التأثير . ذلك أنه صادر من شخص قد يكون مشرفا على الموت ، وان يكن على كل حال قد انتهى مستقبله بالنسبة لهذا العالم . ومن المؤكد أنه على هذا النحو باسم مطلق معين ، أو باسم شعور مطلق ، ولكن دون أن أنسى لحظة واحدة - بوصفى مؤلفا - أن الواقع ينطوى على وجه آخر ، وأن « مارك - أندريه » ابن اخت زوجة يسكال - ذلك الشاب الذى لم يعد فى قرارة نفسه يشارك فى التراث الفرنسى أية مشاركة - تنفسح أمامه كل الفرص لكى يجد فى البرازيل ذلك المناهى من راحة البال الذى يمكن أن يفتح فيه وأن يجد نفسه . ثم ، هل نستطيع فيما يتعلق برينيه البغيضة زوجة يسكال ، وبالأطفال اللذين أرادت حمايتهما - هل نستطيع - اذا تحدثنا بصيغة مطلقة أن نأخذ عليهم أى خطأ ؟ وفى رأى أنه ليس فى وسع الانسان أن يعطى اجابة مطلقة على هذا السؤال ، ذلك أن تلك الاجابة تتوقف فى - نهاية التحليل - على الحدث ، والحدث هاهنا مجهول .

ومع ذلك ، فانى أضيف ملاحظة أعترف بأنها يمكن أن تبدو مزعجة الى حد ما ، ولكن مما يجانب الأمانة الا أصوغها هنا . ان عملا كـ « مسرحية » روما لم تعد فى روما « هو فى جوهره عمل سكتفونى . وقد أشرت فى معرض الحديث عنه الى الوعى البوليفونى بعالم يشعر بخطر الموت ؛ بيد أنه من البلى أن هذه البوليفونية لا يمكن الا أن تكون متتابعة . ذلك أن ردود الفعل المتعاكسة عند كل من « يسكال » و « مارك - أندريه » لا يمكن أن تعرض فى وقت واحد معا ؛ ومن ثم فلا يمكن أن تنتهى المسرحية - اذا أردنا لها نهاية هارمونية - الا بذلك النوع من اليقين المأساوى الذى توصل اليه يسكال . وقد كان من الممكن أن تقع فى ذلك الخطأ الضخم الفاضح

— من الوجهة الهارمونية — لو انتهت بذلك المشهد الغرامى الصغير بين « مارك — آندريه » والفتاة البرازيلية الصغيرة التى أيقظته على حياة الحواس . والنفمة الأساسية — سواء قبلنا رسالة بسكال بوصفها حقيقة نهائية أو لم تقبلها — لا يمكن أن تعطىها إلا هذه الرسالة نفسها .

أؤخذ على في هذه الأحوال اننى أخدع المتفرج ، واننى أتركه يعتقد أن المؤلف هو الذى يعبر عن نفسه بلسان بسكال ؟ وهنا يتخذ ذلك الشطر القصير من الجملة : « ومن لا يملك القوة ... » كل دلالة . فلو كان بسكال — فى هذه اللحظة الحاسمة — فى حالة تسمح له بإتمام هذه الجملة ، فماذا كان يقول ؟ شيئا كهذا : « فإذا لم تكن لديكم القوة على البقاء والنضال فى أماكنكم فاعرفوا على الأقل كيف تعترفون بضعفكم ، وكيف تبلغون الوعى به : واضحا مريرا ، وتخلّوا إلى الأبد عن الادعاء بأنكم تجسّدون الوطن خيرا من أولئك الذين آثروا البقاء فى فرنسا ، وبأنكم على نحو ما تقفون ضدهم . » ونحن نعلم بالتأكيد أنه ما من فرنسى واحد خلال الحرب العالمية الأخيرة — سواء أكان فى لندن أو الجزائر أو نيويورك — إلا وراوده هذا الادعاء الفظيع .

ولكن يبدو لى أن عند هذه النقطة تمهد أرض للاتفاق بين الأشخاص ذوى النية الحسنة : فأنا لا أتردد قط فى الاعتراف بأنه فيما يتعلق بى أعتقد أن التفوق الاخلاقى — من حيث المبدأ — فى جانب أولئك الذين ينوون الصراع فى أماكنهم حتى آخر لحظة — وإن كان من الممكن أن نتساءل بعد كل هذا عما إذا لم تكن مصلحة فرنسا العميقة لا تقوم على التضحية بالصفوة من بكرة أبيهم ، وإنما تقتضى هذه المصلحة أن يبقى بعض ممثليها فى الخارج . وعلى العكس من ذلك ، أرى أنه من المستحيل استحالة مطلقة على كائن من كان أن يقرر فى حالة معينة ما إذا كان هذا الفرد أو ذاك يملك من القوة ما يكفى للدخول فى هذا الصراع ، وفى هذه المسألة لا يستطيع أحد أن يقطع برأى إلا فيما يتعلق بنفسه فحسب ، ولا بد أن نضيف إلى ذلك أن من لا يملك القوة لتحمل هذه المحنة ، فعليه أن يملك الشجاعة — كما قلت آنفاً — للاعتراف بهذا الضعف ، واستخلاص نتائجها ، وقبول المذلة التى ترتبط بوضع اللاجئين حتى منتهاها . كل هذا يتخذ طابعا افتراضيا ، وشرطيا مطلقا — وهنا — كما هو الشأن فى كثير من الحالات ، تكون الأحكام المطلقة اساءة للعقل .

وعلى هذا الأساس نفسه ، توضع مشكلة تحتل مكانا رئيسيا في مسرحيتي ، وان كنت قد قلّدتُ الا ينبغي على وضعها الا على سبيل التلميح بصورة ما ، اذ يجب ان اتعاشي بأى ثمن التطورات التى يمكن ان تتخذ حتما صبغة خطابية ، والتى يمكن ان تضفى على العمل طابعا اكاديميا بغيضا .

وانا أقصد أولا السؤال الذى وضعه - على سبيل الاستهزاء - اللاجئ الالماني الذى يوشك على الرحيل الى مراكش في مستهل المسرحية حين قال : « أين هي فرنسا ؟ » هذا السؤال هو الذى اخذته زوجة يسكال فيما بعد لتقديم موقفها ، أما « مارك - أندريه » الفتى العدمى الحائر ، فقد حله مرة واحدة وإلى الأبد بالنفى ، وهو يوضع أخيرا أمام ضمير الشخصية الرئيسية في المسرحية (يسكال) الذى يتظاهر - عند رحيله - بأنه لا يرى ما يدور حتى لاثارته ، ولكن حين يفرض السؤال نفسه عليه ، لا يجد مفرًا من مواجهة الرحيل ، ذلك لاننا ان لم نعد نعرف أين فرنسا ، فمن الممكن تصور أنها خارج نفسها ، وان من الممكن نقلها الى مكان آخر بواسطة الأوفياء لروحها ، ولكن اذا حكمنا على هذا النحو ، الا نخطئ في حق التجسيد ، الا نستبدل بالواقع النابض الحى لفرنسا فكرة بسيطة مجردة ؟

ومن الجلى من ناحية أخرى ان مسألة فرنسا ومسألة الشرف الفرنسى لاتنفصلان . واذا صرّحت « دينيه لومير » ساخرة بأنه لم يعد ثمة وجود للشرف ، فذلك لان كلمة وطن - من ناحية أخرى - لم يعد لها في نظرها أى معنى . وهكذا الحال بالنسبة لمارك - أندريه . فحين يحاول خاله الاهابة بشعور الشرف لديه لكى يتراجع عن قراره بالرحيل يجيبه قائلا : « حاول الناس - باسم الشرف - ان يبرروا خلال أربعة اعوام - اشد التصرفات تعارضا ، فلا مناص من الاعتقاد بأنها ليست فكرة شديدة الوضوح ! » وبعبارة أخرى أصبح من المستحيل معرفة الجانب الذى يقف فيه الشرف ، ومن ثم الجانب الذى توجد فيه فرنسا . وعلى هذه البيئة يبدو أن يسكال لم يكن يملك جوابا . وكان قد امتنع أثناء الحرب عن الاشتراك في حركة المقاومة السرية ، دون ان يرتبط بالمحتل في الوقت نفسه أدنى ارتباط . وكانت زوجته التى لاتدع قط أقل مناسبة للحط من شأنه - لأسباب

عامضة ، يدخل ضمنها بلاشك نوع من الحقن الجنسي - وأخوها الشيوعي
يرسمان أنه مدفوع الى هذا الحياد بجبن خليك بالاحتقار . بيد أن كل الشواهد
تدل على بطلان هذا الرقم . وربما كان بسكال يتخذ في قرارة نفسه نفس الموقف
الذي يتخذه أحد أبطال مسرحية من مسرحياتي الحديثة وأعني به أنطوان سورج
Ontoine Sorgues في مسرحية « المبعوث » L Emissaire

فقد أحس بما في الجانبين من تلوث ، فلم يستطع بوصفه مقكرا أن يلتزم الى النهاية .
وهذا لايعنى اطلاقا أنه متدلب - كما زعم البعض ، بل - يعني أنه - على العكس -
رجل يتمتع بشجاعة ذهنية وأخلاقية عظيمة ، ولكنه يجهل الى أى حد يمكن أن
تمضى شجاعته الجسمية في هذا الظرف أو ذاك . وثبتت التجربة بطريقة لامطن
فيها أن هذه الأشكال المتباينة من الشجاعة لاينطوي بعضها على البعض الآخر ، وهنا
أيضا أذكر ما قاله شخصيه من شخصياتي هي شخصية فرنر شني Werner
Schnee في « الرمح » Le Dard من أن المرء يمكن أن يكون شجاعا أمام
الموت ولا يكون كذلك أمام الرأي . ولا ننسى أن بسكال لم يتردد في الاحتجاج على
تسفات التطهير الدنيئة دون أن يهتم أى اهتمام بالعداوات التي يمكن أن يجربها
عليه هذا الموقف .

لاجبن اذن من جانبه حين يضع بدوره هذا السؤال : أين هي فرنسا ؟ وأضيف
أن المسرحية لا تستطيع أن تحمل - في نهاية التحليل - أى حل لهذا السؤال . وإذا
بدا أنها تحله ، فلا يمكن أن يكون ذلك الا بضرب من الانفعال وانعدام الامانة . كل
ما نستطيع أن نقوله هو أنها تؤدي بالمتفرج الى ادراك لماذا يمكن أن يبدو هذا
السؤال بلا حل في الظروف الحاضرة . فروبير فيلار الشيوعي الذي يعتقد في سداجة
أن الاحتلال السوفيتي يمكن تجنبه لأنه قد تلقى هو وأصدقائه وهودا رسمية من
موسكو ، والذي يؤمن بانشاء قريباً لشيوعية فرنسية خالصة ، يلقي مصرمه على
أيدي انصار ستالين الذين يرون فيه خصما خطيرا . وحين يتناهى هذا النبأ الى
بسكال في البرازيل يصيح قائلاً : « هكذا بقي روبير فرنسيا ! » فحتى اذا كان
المثل الأعلى الذي ضحى بنفسه من أجله يفرحنا ، وحتى اذا كنا ندينه لأن جميع
الوسائل تبدو حسنة ما دامت تمهد لظهور النظام الجديد ، فانه لا يبدو من الممكن
استبعاده من المجتمع الفرنسي . وعلى العكس من ذلك ، لم يعد « مارك - أندريه »

الصغير - وان يكن أكثر جاذبية وأشد تأثيراً منتمياً بعد الى ذلك المجتمع - فهو يبدو على أهمية الاستعداد فعلاً ليصبح رجلاً من رجال العالم الجديد ، هذا مع التسليم بأن له من القوة الباطنة ما يكفي ليضرب بجذوره حيثما كان ، وهذا في حد ذاته أبعد ما يكون عن اليقين . بيد أن هذا التضاد لا بد من أن يرغم المتفرج على التغلب على ما قد ينشأ في نفسه من انسياق لمشاعره ، فيؤيد مارك - أندريه ، ويعرض عن روبير ، وهنا أضيف أن المتفرج حاضر في قرارة نفسه : فأنا أحب « مارك - أندريه » تلقائياً وعاطفياً ، ولا أطيق روبير . غير أن الرسالة الحقيقية للكاتب الدرامي هي أن يتغلب في نفسه على مشاعر الاستحسان والاستهجان الخاصة به .

ومع ذلك ، فاني أثير عابراً الى أن المشكلة - فيما يختص بروبير - أشد تعقيداً مما قد يبدو للوهلة الأولى . فقد أخذ علىّ أنني جعلته يقول : « عندما ينطق أحد بكلمة « انسان » أمامي ، فاني أشعر مسدس » . وأعترف - عن طيب خاطر - بأنه ما كان ينبغي أن يقول مثل هذه الجملة . ولكنني أردت أن أبين أنه حيثما يصل الوعي الطبقي الى ذروته ، يختفى حتماً معنى « الكلى » : فها هنا شطر من الجنس الانساني قد حكم بالموت فوراً أو على المدى الطويل - على شطر آخر مدفوعاً الى ذلك بدوافع أيديولوجية . فمن المباح إذن - رغم كل شيء - أن نتساءل عما اذا كان من الممكن أن نظل فرنسيين حين نعتقد هذا الموقف ، وعما اذا كان لا ينطوي على استئصال باطني بشع تفقد معه فكرة فرنسا خير ما فيها من مضمون : ذلك أنه لا سبيل الى ادراك هذا المضمون دون رجوع معين الى التاريخ . ليس ذلك الذي يأخذ على عاتقه فرنسا الثورية ، والثورية وحدها - مقضياً عليه بهذه الفعلة نفسها أن يلقي في الظلمات الخارجية بفرنسا الأخرى ، فرنسا الملوك والترات الديني ؟ ليس هذا بالتأكيد سوى سؤال ، ولكنه يوضع حتماً على مشارف المسرحية ، ولهذا نجد أنفسنا مرغمين على التساؤل وان يكن ذلك على مستوى أعمق : أين هي فرنسا ؟ والى ذلك التمزق الذي حدث طوال القرن التاسع عشر ، الا بعد في هذه اللحظة من التاريخ التي وصلنا اليها صدماً لا راب لها يمكن

أن يعقبه ؟ ورجل التأمل الذى هو على شاكلة إسكال لومبير ولا يميل ميلا تلقائيا الى فرنسا الثورية ، ولكنه لا يعترف لنفسه بحق استبعادها ببساطة - مثل هذا الرجل يعرف أنه لا يمكن أن يستبدل بفرنسا الثورية فرنسا مضادة للثورة Antinévolutionnaire : ذلك أنها تفترض التنكر لبعض المقدمات الجوهرية للمبقرية الفرنسية : ومن هنا ، ألا يجد نفسه أزاء موقف لا مخرج منه - وأقول لا مخرج منه على المستوى الزمانى ! اذ يتبقى له - فى الحقيقة - ملجأ ، وملجأ واحد فحسب هو : تجاوز التاريخ ، وليس ذلك ممكنا إلا بالتحول الى الإيمان . وهذا الملاذ الأسمى فى عيني المؤمن يعترض بوصفه هروبا ، ومن العبث تماما أن نحاول البرهنة لغير المؤمن على أنه مخطئ . والحقيقة هى أن هذا « الملاذ » يتمثل على أساس محنة معاشة الى اعماق أغوارها ، أعنى الى حد اليأس . وهنا ثمة منطق أعلى يتسم مع منطق الإبداع - وأنا أفكر على الأخص فى الإبداع الفنى - بتلك السمة المشتركة من أنه ليس منطقا لكل الناس ، منطقا لاي كائن كان : ولكن يبدو اليوم فى بيئة لا سبيل الى دحضها أن « الكلى » L'universel لا يمكن أن تفكر فيه فى حدود الامتداد ، وأنه ينحط ، ويفسد - بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة - ابتداء من اللحظة التى تفكر فيه بحدود احصائية متمشية مع مطالب نزعة عقلانية ساقطة فقدت حتى الشعور بـ « النور » غير المخلوق الذى يتحول بدونه العقل الى نوع من السلوك النمطى . غير أن هذا المنطق الأعلى هو ما يسرى فى المشاهد الأخيرة من مسرحيتى بحيث يودى فى نهاية الأمر الى التحول النهائى للبطل الى الإيمان .

ألا ينبغى أن يفسّر الرحيل حينذاك بوصفه رفضا لموقف لا منفك منه ؟ . بيد أن رفض شيء ما معناه - أردنا ذلك أو لم نرد - قبول شيء آخر . ويبدو أن أولئك الذين حيرهم الفصل الرابع من المسرحية ينكرون عليّ هذا الذى هو سمة جوهرية للموقف الحاضر . فنحن نعيش - وآسفاه ! - فى عالم يزداد انقسامه يوما بعد يوم الى شطرين ، عالم يولد فيه التعصب تعصبا مضادا يقوم أزاءه وجهها لوجه . أما المواقف الوسط - أعنى المواقف الليبرالية بالمعنى الحقيقى

لهذه الكلمة لا بالمعنى الكاريكاتورى لها - فتميل الى الاختفاء اكثر فاكثر ، وكان أولئك الذين يريدون الاحتفاظ بها باى ثمن مقضيا عليهم بأن يقعوا بين شقى الرحى . ولم يقبل إسكال لومير للتدريس بجامعة سان فيليب في البرازيل الا بشرط وهو : أن يشارك مشاركة ايجابية فى الصراع ضد الشيوعية التي رفضها . ولكن ينبغى أن نلتفت الى هذا : فمن وجهة نظر الاكثروسية المتعصبة لا تنصبب الادانة على الشيوعية وحدها ، بل على مجموعة باكملها من الافكار التي يقال عنها انها هدامة ، والتي تنضوى بصورة متعسفة - مباشرة أو غير مباشرة - تحت الشيوعية . ونحن نعرف حق المعرفة ما تتضمنه فكرة « الثورة المضادة » المشوشة أشنع التشويش - من ايجاز متعسف ، أو تعميم مخل . وحين يعلن « الأب ريكاردو » انه لا مكان للحياة فى الصراع الدائر بلا رحمة بين « الروح القدس » وبين القوى الشيطانية التي انطلقت من مقالها فى العالم ، كيف لا نرى انه يقصد تصفية ما يسميه « بالروح القدس » لحساب مذهب يفهم فى أضيق معانيه وأشدها تحديدا ، مذهب لا يمت بأية صلة فى نهاية الامر بالكنيسة مفهومة بمعناها الحقيقي الوحيد ، أعنى معناها « الشامل » universal وانما يتصل بأولئك الذين يرمعون أنهم يمثلونها دون وجه حق ... وعندما يقول « إسكال » انه وقع فى كمين ، فتلك هي الحقيقة بعينها . ويتظاهر « الأب » بأنه يجبره على الاعتراف بأنه فى قبوله لكرسى سان فيليب قد حدد اختياره : وبدون هذا الاختيار ، لا مندوحة من التسليم بأن رحيله لم يكن سوى هروبا يمليه حرصه الوحيد لأن يحافظ على أمنه الشخصى ؛ هذا هو نوع الابتزاز الأخلاقى الذى يقوم به « الأب ريكاردو » . وهو ابتزاز مادى أيضا ، لأنه اذا لم يلصق إسكال ، انفلتت أبواب الجامعة فى وجهه ، وفى هذه الحالة كيف يمكنه أن يعيش ؟ .

وانا أسلم طوما بأن ثمة - بكل تأكيد - امكانيات هنا أو هناك للخروج من هذا المأزق البشع ، ولكن كيف لا أرى أن هذه الامكانيات سريعة الزوال ، وأن هذه الحالة الحدية cas - limite تكاد تصبح القاعدة بضرب من التصلب المطرد من المواقف التي يتخذها هذا الجانب وذاك ؟ .

ومهما يكن من أمر ، فإن إسكال يرفض الألمان ، وهذا الرفض يتخذها هنا قيمة حاسمة . فلنحاول أن نفهم الطبيعة الحققة لهذا الرفض . فليس من شك أنه لا يرفض التسليم بأن التأثير الذى يمارسه شخص مثل « جيد » كان مفسدا حقا من بعض جوانبه . ولكن ، لأن إسكال يتمتع بعقل أمين فى جوهره ، فانه يرى

أن الواجب الأول على مؤرخ الأدب قبل التدقيق - وهو ما يعنى هنا الادانة - هو الفهم بمجهود من التعاطف يمتزج بسخاء النفس ، فإذا كان ثمة انتقار الى هذا التعاطف أو هذا السخاء ، لم يعد هناك مكان للفكر الحر . وهنا ينحط النقد ويتحول الى ضرب من ممارسة نوع من الأوتوماتية « الحركة الآلية » *automatisme* وهذه نقطة لا يستطيع أن يتخطاها دون أن يخون رسالته .

ولكن ينبغي أن نرى هذا جيداً : على الموقف الذى يتخذه في وجه ما يعرضه عليه « الأب ريكاردو » يتوقف الحكم الذى يمكن أن يصدره هو نفسه على رحيله الخاص من فرنسا . فالواقع أن هذا الرحيل هو الالتباس نفسه ، ولن يتخذ هذا الموقف معناه ومفراه الحقيقي إلا من خلال هذا القرار . أجل ، أن يسكال لن يقدم على اتخاذ قراره بالنسبة للمستقبل القريب فحسب ، بل بالنسبة للفعل الذى تم ، والذى لم تتضح إبعاده بعد في نظريه . ومن المدهش حقاً في رأى أن هذا كله قد فهم - بوجه عام - فهما سيئاً . فالفعل الحر - كما كتبت في موضع آخر - هو الفعل المحرر *libérateur* بيد أننا لو أخذنا الرحيل في حد ذاته ، لما ألفينا مثلاً لهذه القيمة المحررة . بل أن هذا الرحيل كما وصفته « استير » باستقامتها المميز لها - ليس إلا تلوثاً ، وهذه الكلمة ينبغي أن نأخذها بأدق مفاهيمها - فهو ملوث لأنه غير متميز ، ولأننا لا نعرف قيمته . والآن فحسب ، يستطيع يسكال بالاختيار الذى يتخذه في وضوح تام للرؤية هذه المرة - أن يقطع على فعله معنى يوضحه . فلو أنه رحل حقاً - كما فعلت « ريتيه » - لجرد الحصول على الأمن ، لكان صنيعه ذاك صنيع عبد . وفي هذه الحالة ، لن يعد وسيلة للالتمان الى مطالب « الأب ريكاردو » ، بعد أن يعقد مع ضميره صلحاً أساسه سوء الطوية *mauvaise foi* . والعكس صحيح ، أى أنه في اللحظة التى يرفض فيها الرضوخ ، يثبت بذلك أنه لا يضع الأمن في المقام الأول ، وأن رحيله ينطوى على إمكانية الفعل المحرر ، وأن يكن ذلك في حالة كمون .

وهنا تعرض للعقل طائفة أخرى من الملاحظات أكثر من ذلك أهمية ، وتستهدف هذه الملاحظات توضيح الرابطة التى لا تنفصم عراها التى تربط في هذه المسرحية بين مسألة الحرية ومسألة « اللطف » أو الإيمان . وفيما عدا واحداً أو اثنين من النقاد ، لم يفتن أحد منهم الى تلك الصلابة ، ولا يستطيع المرء أن يرتكب خطأ أفدح من قوله : أن المشكلة الدينية تنضاف على نحو غير متوقع الى المشكلة القومية .

واللحظة الحاسمة في المسرحية هي اللحظة التي يدفع فيها مارك - آندريه
عمه (بسكال) على نحو ما - الى تحديد موقفه من الاقوال التي أعلنها والد دنيس
مورى Denis Moreuil (صديق مارك - آندريه) حين قال « اننى لا
أعلم اطلاقا ما يصنعه الحدث بى ، ربما جعل منى رخوا أشل : أنا لا أبالغ في
الثقة بقواى ، ولكنى أومن بالله ، وأحسب أنه لن يتخلى عنى ، وأنه سيجنبنى
السقوط التام ، وأنه اما أن يستردنى ، أو أن يمنحنى القوة لاحتمال التعذيب .
فهل يملك بسكال من نفسه ما يستطيع به - بكل اخلاص - أن يصدق على تلك
الاقوال ؟ »

في رأى أن الصنت الذي أعقب ذلك هو أشد اللحظات مأساوية في هذه
الدراما . ولأن بسكال أمين بعمق (وأنا لا أفوت فرصة دون التذكير بذلك ، ومن
القريب أن هذه الأمانة لم يعترف بها الا القليلون ، والحقيقة أنها لم تحطم في أى
عصر كما حطمت اليوم) - فقد وجد نفسه مدفوعا الى هذه الاجابة : « كلا ...
لا أستطيع ذلك بكل أمانة » . فماذا يعنى هذا بالضبط ؟ من الواضح أن هذا يعنى
ما يلي : لست أملك الايمان الذي يسمح لى باليقين من اننى سأصان في المستقبل -
من أقطع أنواع الانتكار ، أما « دنييس مورى » فقد رفض باسم هذا الايمان المنصب
الذى مَرَّض عليه في المكسيك . وهذا الايمان عينه هو الذى سمح له بأن يقرر
البقاء في مكانه ، دون أن ينطوى هذا القرار من جانبه على صكفٍ لا مبرر له .
وهكذا ألفى بسكال نفسه مسوقا الى قياس المسافة التي تفصله عن ذلك الزمن
الصادق ، وان يسأل نفسه عما اذا كان هذا القرار المشروع تماما في حانة والد
« دنييس مورى » ، لن يكون في حالته هو سوى محض اعتداد بالنفس . وبالطبع ،
هذا شيء لم يفصح عنه النص ، ولكنه موجود بين السطور ، واعترف بأنه يحتاج
في فهمه الى نوع من الانتباه شبيه بالحدس الذى يتجاوز ما يحق لنا أن نطلبه من
المتفرج . ولكن يبدو أن المتفرج ، وان لم يقم بصياغة هذا المعنى على نحو متميز
تماما - فانه يشعر بطريقة لا جدال فيها أن ضروب الدفاع الباطنة التي يتمتع بها
بسكال أخذت تتساقط - في هذا المشهد الرئيسى - الواحدة تلو الأخرى .

وهنا أورد بين قوسين فقرة طويلة ، وأشير الى الدراسة التي أقيمتها في مؤتمر « حرية الثقافة » الذي عقد في برلين في الصيف الماضي، وهي دراسة يتضمنها الكتاب الذي ظهر هذه الايام في طبعة « كولب » Colombe تحت عنوان : « البشر ضد الانساني » Les Hommes contre l'Humain .

قلت في تلك الدراسة اننا نشهد اليوم موت « الرواقية » ، والموقف الرواقي يتضمن في الواقع تفرقة صاغها « إبكتيت » Épictète في أقصى ما يمكن من الوضوح : الا وهو التفرقة بين الاشياء التي تعتمد علينا والاشياء التي لا تعتمد علينا . والرواقيون يضعون وجود الضمير الداخلي بوصفه وجوداً لاسبيل الى الشك فيه ، وفي هذا الضمير يجد الفرد ملاذاً لا تستطيع كل تدخلات السلطة أن تنتهكه . فلا قيام للرواقية دون الايمان بسيادة باطنة لا تمس ، ودون امتلاك مطلق للذات بواسطة الذات . غير أن وسائل الاذلال التي يمكن أن نعد من بينها عقاقير البوليس (الفاسلة للمخ) تتألف من وضع الفرد في موقف يفقد فيه اتصاله بنفسه ، بحيث يصبح خارج نفسه - بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة - الى حد القدرة باخلاص على انكار افعال وضع نفسه فيها كليئة ، وعلى اتهام نفسه بافعال أخرى لم يرتكبها حقاً ، ومن الاسهاب ، بل من العبث ، تعداد الحيل النفسية التي تسمح باختلاق ما يمكن أن نسميه بالاخلاص الرائف ، أو الاخلاص « المتقبرك » بيد أن الموقف الذي على كل منا أن يواجهه في هذه الظروف - وأنا أقول على كل منا - هو الموقف التالي : اذا لم نشأ أن نكذب على انفسنا ، أو أن نرتكب الخطيئة في صلافة لا مبرر لها ، علينا أن نسلم بوجود وسائل عينية تجعلنا نفقد تلك السيطرة على انفسنا التي كان الرواقيون يعتقدون استحالة كسرها . فلنمتنع عن القول بأنه تبقى لنا على الاقل - امكانية الانتحار الرحيمة - فلم يفد هذا القول دقيقا ، اذ أصبح في الامكان أن نوضع في موقف لا نرغب فيه حتى في قتل انفسنا ، وحيث يظهر لنا الانتحار بوصفه ملاذاً غير مشروع ، وحيث يصل بنا الامر الى أن نتمنى بضرب من فريزة معاقبة - الذات ante - punitif العقاب الذي تستحقه أخطاء نسبها الى انفسنا دون أن تكون قد اقترناها .

واضفت في هذه الدراسة أن من واجبنا الاعتراف ، بوجه أهم كثيرا — بأن الفكر المادى يتبدى قادرا ، بفضل الوسائل الفنية التي يطورها ويصل بها الى الكمال — على انشاء عالم يتحقق أكثر فأكثر من صدق مسلماته — وأقصد بهذا القول أن الكائن الانساني الذي كابد نمطا معيناً من المعاملات يتحول شيئاً فشيئاً الى أن يكون مجرد شيء ، ولنقل « شيئاً نفسياً » خاضعاً لنظريات يضعها علم نفس مادى في جوهره ، قائم على الفعل المنعكس الشرطى *Le reflex conditionné* ولكن قلنا نحن من أن يكون المقصود هو أن علم النفس المادى هذا — على ما فيه من ابتدال وتهاوت ومجز عن تفسير الأنشطة العليا للروح — من شأنه أن يكشف لنا من الواقع مأخوذاً في ذاته . كل ما ينبغى أن نراه حقا هو أن الانسان يعتمد الى حد كبير على الفكرة التي يصنعها لنفسه ، وأن هذه الفكرة لا يمكن أن تحطّ من شأنها ، دون أن تصبح بدورها عاملاً للحط من شأن الانسان . وفي هذا القول نوع من الحجة الواخزة ضد الفكر المادى . وهذا الفكر يُمَثَّل في وقتنا الحاضر تلاحماً وعرامة لم يكن مثلهما في القرن التاسع عشر — حين كان الناس يرون رجلاً يعتقدون انهم مشيعون بالمبادئ المادية ، ومع ذلك يظهرون في الحياة أمانة أشد ما تكون محاسبةً لنفسها . غير أن اصحاب النزمة المادية في يومنا هذا يستطيعون أن يصيحوا كما صاح « سجاناريل » مولير قائلين : لقد غيرنا كل هذا ! وان يكن هذا التوكيد لا يحمل هنا ما يبعث على الضحاك . وينبغى الاعتراف — على ما أعتقد — في وضوح مطلق بأن هذا الفكر المادى يفترض بلا شك وجود اختيار من الاصل ، بيد أن هذا الاختيار وليد حرية تنكر نفسها ، وتقرر ضد نفسها ، وليد فعل تتعاقب نتائجه فيما بعد وفقا لمنطق محتوم هو منطق الموت .

ولكن ، وهل تأخذنا هذه الافكار بعيدا عن « روما لم تعد في روما » ؟ اطلاقا . بل انها تتعسس — على العكس — ما يمكن أن نسميها « الافوار الميتافيزيقية » للمرحية . وهي تحمل شرحاً قد يكون ضروريا للتصريح الخطير المشحون بالمعنى الذى أدلى به والد « دنيس موري » ، ذلك التصريح الذى دفع بسكال الى تحديد موقفه ، لا من حيث واجبه في أن يختار فحسب — فنحن مقضى علينا بالاختيار

دائما ، وسارتر على حق في هذه النقطة) - ولكن في أن يختار الحرية ضد عقيدة
تقتل الروح باسم الروح .

ومن وجهة النظر هذه نرى بوضوح أكبر لماذا لا يوجد خطأ أفدح من تفسير
تحول بسكال الى الايمان بوصفه نوعا من الانحراف التصفي لاتجاه المسرحية .
فهذه المسرحية المعروضة في لغة واضحة ترمى الى القاء ضوء على هذه الواقعة
الجوهرية تماما وهي انه في عالم لا يستطيع فيه أن أجيب عن نفسي بأمانة وعمما
يصنع الحدث منى، فان الملائك الوحيد في هذه الحالة يكون متعاليا transcendant ،
ولكن ماذا تعنى هذه الكلمات بالضغط ؟ .

نحن نعلم الاستعمال الأخذ في الخلط أكثر فأكثر لكلمة « العلو » في كثير من
المذاهب المعاصرة .

أما أنا فأأخذها هنا بالمضون الوحيد الصحيح في نظري : وما أريد أن أقوله
باختصار هو أن فرصتنا الوحيدة هي الالهة - ولا أقول بسلطة ، وإنما بالاحرى
بمجال للروح هو أيضا مجال اللطف الالهي ، وأن نعلن قبل قوات الاوان أننا نرفض
مقدما الأفعال أو الأقوال التي يمكن أن ينتزعا منا تكتيك إيا كان . فنحن نؤكد في .
جدية تامة أننا عبر au dela هذه الأفعال وهذه الأقوال . الا يقال أننا نمنح
انفسنا بهذا نوعا من الرضا الأفلاطوني ؟ .

ولكن ، فلننتبه الى ما يعنيه هذا التوكيد ، أو فلنجهتد بالاحرى الى
استخراج مضمونه . علينا أن نعلن أننا لا ننتهي كلية الى هذا العالم من الاشياء
التي يسعون الى احوالنا اليها ، والتي يملكون القدرة في الظاهر على استيعابنا
فيها آخر الأمر . علينا أن ندرك الآن أن هذه الحياة الدنيا التي أصبح من الممكن
بالوسائل الفنية الحديثة أن يُصنَّع منها صورة بغيضة بشعة لكل ما نضعه موضع
الاجلال والتقدير - هذه الحياة ليست بعد كل شيء سوى قطاع تافه من تطور
يجري فيما وراء المرئي .

وهذا معناه أن فلسفات المحايثة (أو البطون) Limmanenee - وأنا على

وعى تام بخطورة هذا التقرير - قد ولى زمانها ، وأن علينا اليوم أن نقض ما فيها من لا واقعية أساسية ، بل ما هو أخطر من ذلك - أعنى ما فيها من تواطؤ أخير ، هناك حيث لا تصل الى تجاوز انفسها ، مصحوبة بوثنيات يمكن أن نراها متساوية كوثنية الجنس ، ووثنية الطبقة . واضيف أنه حتى بعض الأديان الحقيقية في مبدئها يمكن أن تنحدر الى لاوثنية عندما تفسدها ارادة القوة - وهذا وآسفاه : ما يحدث في كل مرة تتمتع فيها الكنيسة بسلطان زمنى .

وهنا يتحدد في كثير من الدقة المعنى الوحيد الصحيح الذى يمكن أن نخلمه على كلمة علو ، وبالنسبة لنا ، نحن الغربيين ، نستطيع أن نجد في المسيحية ، وفي المسيحية وحدها ، ذلك الملاذ والسند ، على شرط أن تظل تلك المسيحية مخلصه لروح الشمول التى هي مبدؤها نفسه .

ولقد تلقيت منذ يومين رسالة طريفة من رجل نبذ الشيوعية بعد أن كان يعتنقها بكل اخلاص ، ولكنه لم يهتد بعد الى الايمان الدينى ، وما زال يتمسك بايديولوجية معينة ، هي الايديولوجية الاشتراكية . وقال لى في خطابه : « لى يكون البرهان مقنعا ، لا بد أن ينطوى على اقناع في وجه الزمانى ، وأن يكون له رأى سياسى . وليس لهذا البرهان شىء من ذلك . ومواجهة انسان ما بهذه المشكلة التى يمكن أن يستعد لها دون أن يكون متدينا ، وجعله يفشل ، ثم أن يكون التفسير المتقدم لنا أخيرا هو افتقار الانسان الذى لا يتمتع بالايمان الدينى الى الجدور - هذا كله يبدو لى أنه مرض للمسألة على نحو غير ملائم ، ذلك أن بسكال يمكن أن يُعَد غير موجود من الناحية السياسية ، ومن ثم فإن حالته لا تثبت شيئا طالما تعلق الأمر بالمشكلة السياسية » ولكنى أجيب : ما معنى أن بسكال غير موجود من الناحية السياسية ؟ أن بسكال نفسه يعلن في الفصل الرابع أن السياسة كانت دائما منفردة له - ويضيف أنه مدفوع الآن الى لوم نفسه على ذلك ، ولكن ما معنى هاتين القضيتين في وضوح ؟ الأولى معناها أنه رجل لم يشعر قط بأية ثقة في الأحزاب السياسية ، وأنه رفض الانخراط في حزب أيا كان . وهنا أضع في بساطة هذا السؤال : ألا يحمل تاريخ الأحزاب في فرنسا منذ التحرير الى نفور بسكال

ورفضه أقوى المبررات ؟ وإذا كان الآن يلوم نفسه على هذا النفور وذاك الرفض فهذا معناه أنه حين يصل في أمريكا الجنوبية إلى الوعي الحاد بالبؤس المخيف الذي يفترس شطراً من الجنس البشري ، يدرك أنه قد أغمض عينيه طويلاً عن هذا البؤس ، وأنه قد عاش محصوراً أشد الانحصار في عالم لا أقول عنه أنه عالم الكتب والأوراق فحسب ، بل عالم تتحكم فيه بلا شك الاتهامات النقدية ، أو قلنقل — الاهتمامات الروحية الصرف . وحتى حين يتخيل لحظة — مدفوعاً بالفرع من روح الرجعية التي يجسدها « الأب ريكاردو » وأشباهه — أنه كان من الممكن أن يتعاطف في سنة ٣٦ مع « الجبهة الشعبية » ، فمن الجلي أن هذا التصور وهم ، وأن الأسباب التي منعتة عن ذلك التعاطف ما زالت محتفظة بكل قوتها ، ويمكن أن أقول هذا القول بالنسبة لأي حزب ولِدَ فداة التحرير . ويبدو لي أن هذا المراسل الذي أحترم إخلاصه بل أوهامه — احتراماً كبيراً — لا يريد أن ينظر في وجه الحقيقة المأساوية التي تتجاوز الأفلاس الشامل للأحزاب . وهذه الحقيقة أمر تفرضه مسرحيتي افتراضاً مسبقاً . وهي تسنم في تفسير نوع الإملاق التام الذي تصل إليه الشخصية الرئيسية والذي تستطيع منه الصعود إلى الله : وهذه الكلمات ليست مرضية كل الرضا ، لأن هذا الصعود لا يمكن أن يكون ممكناً إلا بفضل التنازل الذي يقف أزامه يسكال فلنفترض لحظة أنني تخيلت جعله ينتسب منذ البداية إلى تشكيل سياسي أيا كان ، وليكن ذلك التشكيل هو الحزب الاشتراكي ، ... من الجلي في هذه الحالة أنه سيجد نفسه مضطراً إلى الانفصال عن هذا التشكيل ، لأن استشفاف النفس لا يمكن إلا أن يؤدي إلى العزلة . ومن المحتمل أن يعترض معترض بأن مثل هذا التطور لا يمكن إلا أن يكون — لحسن الحظ — استثنائياً ، وأنه لا وجود فيه لشيء يمكن أن يكون شبيهاً بحل نافع لهؤلاء أو لأولئك . وأنا في الواقع أوافق على كل هذا . بيد أن مثل هذه الاعتراضات تنطوي على انكار مطلق للمسرح ، ولما أسميه بالمعرفة المأساوية : فهذه المعرفة ليست ، ولا ينبغي أن تكون ، على أية صلة بما تمليه الحياة العملية من توصيات ، علينا أن ننصت لها في موقف معين . ويسكال لومير شخصية مأساوية أساساً . فإذا لم يدرك الكثيرون هذه الحقيقة فذلك لأنهم ينطلقون من هذه الفكرة الساذجة حقاً ، وهي أن الناقد الأدبي

الذى كتب خمسمائة صفحة عن جوبير Joubert وتزوج وأنجب أطفالا
الخ ... لا يمثل نوع الكرامة المطلوبة . وأنا أعتقد - بلا مغالاة - أنه ينبغي
للشخصية المساوية أن تمثل بالنسبة لهذه النفوس السالجة - جهازا معيناً ،
لم يكن له وجود في هذه المسرحية . وأضيف أن الأمانة العميقة التى اتسمت بها
تلك الشخصية لم تؤثر على هؤلاء السُلُج ، لأننا نعيش للأسف في عصر لم يعد يقدر
الأمانة أو حتى يعترف بها ، وأقول من الشجاعة ما قلته عن الأمانة لأنهما لا ينفصلان .

ولكى تقلل الشجاعة حق قدرها ، لا بد أن تكون بعيدة النظر . فلو كان
بسكال من رجال المظلات مثلاً ، ولكن ، كلا بسكال لا يمكن أن يكون من رجال المظلات ،
لأن شجاعته من نوع آخر ، وكرامته المساوية تتجلى في مجال آخر - وبهذا نراه
شخصاً يمكن منه أمداده ، ولا تحرم زوجته على مراعاة شعوره ، وأنا أتخيل أن
كثيراً من المتفرجين أو بالآخرى كثيراً من المتفرجات سيعتقدن أن تهكماته وسخرياته
المروية موجهة اليهن . ولكن ينبغي على كل حال أن نتساءل ألا يقوم أصل هذا الفهم
على ضرب من الحقن الجنسي المنحط ؟ وبالإضافة إلى ذلك ، نحن نواجه هاهنا
باعتبار آخر دفع البعض إلى الحكم على هذه الشخصية في كثير من الأحيان بأنها خليفة
بالأزدراء . فبسكال ليس عاشقاً ، وليست له طبيعة العاشق . فهو لن يكون عاشقاً
لاستير ، وإذا كان يحبها حب المودة والصداقة ، فإنه ليس مغرماً بها .

وقد أدهشنى فيلسوف من أصدقائي حين أعرب عن أسفه لأن نجاة بسكال
لم تكن على يدى الحب، بيد أن ما أسمع به لنفسي بأن أدهوه بالرومانسية الرخيصة
لا شأن له هنا ، فهذا الحل الذى يلجأ إلى الحب لن يكون سوى حيلة بشعة ،
هذا إذا نظرنا إليه من مستوى منطق عميق معين هو المنطق الوحيد الذى يمكن أن
يضعه الكاتب المسرحى في اعتباره . فالمناقشة هنا على صعيد آخر ، والاجابة
الوحيدة تكمن في مجال آخر . وربما لم يفتن البعض بما فيه الكفاية إلى أن
« استير » طبيعة أخلاقية بحتة ، وأنها تظل حبيسة بين المقولات الأخلاقية . وهذا
هو السبب العميق الذى جعلها غير قادرة على نقل شيء إلى ابنها رغم تفانيها الذى
لا يكل . بل - على العكس - لعل هذه الأخلاقية التى كانت أسيرة لها هى التى

أسهمت في دفع « مارك - أندريه » الى النزعة العدمية . وهذه العدمية تتبدى - بالتأكيد - اقل عمقا وميتافيزيقية مما يمكن أن نعتقد في الفصل الثاني . أو بتعبير أدق ، هذا العمق - الذي يتكشف لـيسكال - لا يمكن أن نقول ان كان في « مارك - أندريه » . « فمارك أندريه » قابل للشفاء . ومن الممكن أن تشفيه البرازيل . لا لأن حواسه سوف تستيقظ ، كلا ، وإنما لهذا السبب الأعمق وهو أن كارلوس واينيس وكل من هم على شاكلتهما - مخلوقات بلا مشكلة ، مخلوقات ترفض المشكلات وعالم المشكلات والروابط المتناقضة هو ما أراد « مارك - أندريه » أن يهرب منه . ولهذا فإنه يسقط دونه حين يرتفع يسكال الى ما وراءه . وقد قلت يسقط : ولكن هل ثمة معنى في توجيه أي لوم الى سلوك « مارك - أندريه » ؟ لا أظن ذلك ، بكل اخلاص . فهنا عملية استرداد حيوية أشبه بالنوم . فهل يعد من ينام مدبنا ؟ وأخيف بين قوسين أنني مقتنع بأن كثيرا من انحرافات الشباب التي نشهدها اليوم يمكن تفسيرها بأنها حالة من حالات الإرهاق والتوتر العصبي المفرط ، وأقول عامدا : انها ضرب من الأرق .

ولكن يبدو لي أن هذه الملاحظات تسمع بادراك الأهمية القصوى لما سمعته بعند « مارك - أندريه » في « روما لم تعد روما » . فبدون هذا البعد تفقد المسرحية ذلك الطابع البوليفونسي الذي احرص عليه قبل كل شيء . وهذا الطابع يمكن منها حتما أولئك الذين يريدون بأي ثمن تفسير هذا على نحو ديماطيقي وأقولها مرة أخرى ، ان هذا الطابع القطعي هو ما أرفضه رفضا باتا . وبهذا أعود الى الملاحظة العامة التي بدأت بها وهي : ان المرء يدخل في هذا الفكر وفي هذا العمل بمقدار ما يعرف كيف يتفصل عن كل انشغال سياسي أو أخلاقي ، مثلما يفعل المستمع الى رباعية أو الى سمفونية . والمفارقة - وهذا ما أعلمه جيدا - هي ان المادة السمفونية هنا منسوجة من الشاعر ، بل من المواطن المتصلة بموقف تاريخي معين لا سابق له . بيد أن طموحي - ولعله طموح أخرق - كان يؤمن بأننا نستطيع مع كل هذا ووفهم كل شيء - ان نؤلف عملا موسيقيا .

جبريل مارسيل

مقتندين بقلوبهم المترجمين للسيرة المحرابة المضيئة

كتب « جبرييل مارسل » هذه المسرحية مرتين ، مرة تحت عنوان « الأرض المحطمة » Le Sol Detruit ، ومرة أخرى تحت عنوانها الذي نشرها به « المحراب المضيء » أو « مصباح النعش » . وكانت كتابتها في صورتها الأولى قبل مسرحية « رجل الله » ، وذلك في أواخر عام ١٩٢١ . بيد أن هذه الصورة الأولى كانت ناقصة ، وقد رأى « مارسل » أنه قد يكون من المفيد نشر هذه الصورة غير المكتملة في مجلد واحد مع الصورة النهائية التي قمنا بترجمتها في هذه المجموعة من الأعمال المختارة . فقد تكون المقارنة بينهما كاشفة من وجهة النظر الدرامية لبعض الاجتهادات التي تتحكم في تطور العمل المسرحي أيا كان . أما الصورة النهائية فقد اكتملت عام ١٩٢٥ ، وعرضت على المسرح في ٢٥ سبتمبر ١٩٢٥ .

ويعتقد جبرييل مارسل في ملاحظة له أوردها في المجلد الذي يضم المسرحيتين : الناقصة والمكتملة ، أن مسرحية « المحراب المضيء » تحتل مكانة خاصة في مؤلفاته المسرحية ، فهو يعدّها أكثر مسرحياته دلالة لأن الاشارات الفلسفية « أقل » ظهورا فيها من مسرحياته الأخرى ، فهي تنتمي إلى « المسرح البحث » أو « المسرح الخالص » ، أن كان من الممكن أن يكون لهذا المصطلح أي معنى .

ولما كان من غير المعقول أن نترجم في مجموعة الأعمال المختارة نصين لمسرحية واحدة ، والا انتهت فكرة الاختيار فسنكتفي بالإشارة إلى بعض الفروق بين النسختين . ومن المستحسن طبعا قبل ذكر هذه الفروق أن نورد ملخصا سريعا للنص النهائي للمسرحية .

وكما يعالج مارسل في مسرحية « رجل الله » رسالة رجل الدين حين تنحرف
عن وضعها الصحيح ، يعالج في مسرحية « المحراب المظلم » حالة من حالات « الوفاء »
المتطرفة التي تضل عن مقصدها . وصاحبة هذا الوفاء المتطرف المسرف هي السيدة
« ألين فوتييه » التي فقدت ابنها « ريمون » Raymond في الحرب العالمية الأولى
(١٩١٤ - ١٩١٨) . فمئذ أن فقدت السيدة « ألين » هذا الابن اصطبغت حياتها
نهائيا بهذا الفقدان ، فهي لا تعيش الا على ذكرى هذا الابن ، وعلى الرغبة في أن
يعيش كل من حولها لهذه الذكرى أيضا ، حتى ليخيل الى المرء أنها تؤثر الموت
على الحياة ، وأن الشيء الحقيقي الوحيد في الحياة هو الشقاء .

وكان لابنها قبل مصرعه خطيبة هي « ميري برادول » Mireill Pnadol فتاة
نقية الفطرة ، مستقيمة الطبع ، معتدة بحريتها وكرامتها ، تعيش فترة بعد وفاة
خطيبها تحت سيطرة الأم الثكلى ، وفاء لخطيبها بالطبع ، حتى أنها لتدعوها « ماما » .

بيد أن الحياة أقوى من الموت دائما ، اذ تلتقي « ميري » بشاب قسوى على
كثير من الحيوية والتألق هو « روبير شانتاي » Rolert Chantevil فيظفر باعجابها ،
ولكنها تكتف هذا الامحباب من أم خطيبها ، على حين تضع الأم في طريقها شابا مليلا
من اقربائها يدعى « اندريه فرديه » André Verdet . ونتبين بعد قليل أن
هذا الشاب العليل يهيم غراما بميري ، وحين تعلم هذه الأخيرة أن أقل صدمة
يمكن أن تودي بحياته المعلقة بخيط واحد حتى ترضخ لرغبة الأم في الزواج منه ،
معتقدة أنها بهذا الزواج تكون على تواصل وثيق مع أم خطيبها المقتول ، ومن ثم
تظل وفية للذكرى « ريمون » .

وتتحقق رغبة الأم بهذا الزواج ، غير أن الحوادث تتخذ مجرى آخر ينقصد
تدبير الأم . ذلك أن « روبير شانتاي » يموت في حادث سيارة ، ويتناهى النبا الى
« ميري » فيهر أعماقها مرا عتيفا ، ويلحظ الزوج « اندريه فرديه » الوقع الاليم
لهذا النبا على زوجته ، فيدرك بالطبع أن هذا الزواج قد تم على سبيل الشفقة ،
بل يسأل « ميري » ان كانت قد فعلت ذلك تحت الحاج « ألين فوتييه » .

وتناضل « ميرى » للاحتفاظ بحياتها ضد الآثار السيئة التي تركتها « آلين » على تلك الحياة . ويبدأ كل شيء من جديد ، وتستمر « الأم » الاخطبوطية في محاولة اصفاء الحداد على وجود الآخرين . « انها انسانة لا تمنح أبدا ... انسانة تحول بينك وبين الوجود » . (المنظر السابع من الفصل الثالث) وفي ختام المسرحية حين تحاول « آلين » أن تتدخل من جديد في حياة « ميرى » و « أندويه » ، تخرج ميرى من حفظها ، وتقذف في وجهها بهذه الكلمات :

ميرى : (في حدة مباغتة) ماما ، قولى لأنك تستطيعين من هنا احداث أكبر قدر من التحطيم دخلت هذه الحجرة ؟ اترك تخشين ان تبقى هنا اثاره من حياة ؟ كلا ، كلا ، لا تصطنعى عيني الضحية هاتين ... آه ! أنت مخيفة ، بعد ان حطمت قلبينا ، ها أنت تاتين لأرقامنا على أن نطلب الصفح منك ! »

(الفصل الثالث - المنظر الثامن)

ومع كل هذا ، فإن « ميرى » تلتبس العذر لهذه « الأم » الضالة ، وترى أنها امرأة مسكينة ، أكثر من أن تكون مخلوقة شريرة . وتعتقد أنه دفعها اليأس الى الانتحار ، فإن حياتها الزوجية تصبح حينذاك مستحيلة . ولهذا فإنها تهم في نهاية المسرحية بدعوتها الى مشاركتها في تلك الحياة تحت سقف واحد ، وفي هذه اللحظة التي نمتلئ فيها امجابا بميرى ، وبتضحيتها الكبرى ، ونبلها ومروءتها الشديدين ، نشعر في الوقت نفسه بكثير من القلق من عواقب هذا القرار الذى يمليه الكرم وسخاء النفس ، ونحس كأن المأساة لم تنته ، وانما بدأت من جديد .

بقيت كلمة عن الفروق بين هذه الصورة النهائية التى عرضت بها مسرحية « الحراب المضيء » على المسرح ، وبين صورتها الاولى التى كتبها « مارسل » سنة ١٩٢١ ، ونشرها كما سبق أن ذكرنا - في مجلد واحد مع هذه الصورة النهائية .

في « الأرض المحطمة » - أى في النسخة الاولى من المسرحية - لم يكن والد الشاب الذى قُتل في الحرب ضابطا ، بل هو من رجال الصناعة وشخصيته من

الشخصيات المتحدقة ، وهو لا يهتم إلا بصحته ، ومن الواضح أن المؤلف يدفعنا الى
الا تأخذه مأخذ الجد . وعلى حين تتضح العلاقة المأساوية بين الوالدين : آلين
(الأم) وأوكتاف (الأب) في النسخة النهائية ، نرى أن النص الاول يخلو تماما
من ذلك الطابع المأساوى . لتلك العلاقة . كما أن ما يتضمنه الموضوع من منطق
عميق لم يهتد اليه المؤلف تمام الاهتداء في «الارض المحطمة» ، ولهذا السبب
يتضح التركيز على العنصر التهكمى الساخر الذى يمكن أن يكون مشحونا جدا
نظرا لغياب ذلك المنطق العميق المشار اليه . أما في الصورة النهائية فان شخصية
« ايثون » شقيقة ريمون - هى وحدها التى تحمل آثارا من ذلك العنصر التهكمى ،
ولا يظهر زوجها في النص النهائى ، وانما يشار اليه فحسب ، على حين أنه ظاهر
بشخصه في « الارض المحطمة » .

ولا ينص المؤلف في النسخة الاولى على أن خطيبة الجندى المقتول يتيمة الأبوين،
وهو يأسف لأنه حذف شخصية أم « ميرى » - وكان اسمها « مدام تورنير Tourneur
من النسخة النهائية ، على الرغم من أنها كانت تنطوى على صدق عظيم ، وأن
العلاقة بينها وبين ابنتها كانت ذات أهمية كبيرة . وقد اضطر « مارسل » الى
حذف هذه الشخصية وما يترتب عليها من علاقات لأنه رأى أن بقاءها يضيف تعقيدا
لا غناء فيه الى الخطة الرئيسية للمسرحية ، ويوجد من الأفضل ألا تملك الفتاة أى
ملاذ عالى ، وأن تكون تحت رحمة أم خطيبها تماما . وبالطبع كان المؤلف خاضعا في
ذلك لضرب من الاقتصاد الدرامى ، كان مسيطرا بلا شك دون قصد منه - في تطوير
المسرحية بحيث أدى بها الى الصورة النهائية .

ويعترف مارسل بأن الخط الدرامى كان مهزورا بوجه عام في النص الاول ،
وكان هو نفسه مترددا الى حد ما . وهذا التردد يظهر بوجه خاص في شخصية
« أوكتاف » وكذلك في شخصية « لوى » التى احتل « شانتاي » مكانها في النسخة
النهائية .

لكن ربما كان الأجدر بالملاحظة ذلك الانقلاب غير المتوقع تماما في الفصائل

الثانى من « الارض المحطمة » ، اذ يعتقد مارسل ان القيمة الدرامية الباطنة في هذا الانقلاب شيء لا سبيل الى انكاره ، ولكنه يقضى قضاء مبرما على المسرحية نتيجة للطريقة التى يعمل بها على تغير العلاقة بين « آلين » و « ميرى » ، وذلك بإيقاظه لشعور ميرى بالفيرة في نفس الفتاة نحو أم خطيبها . والواقع ان هذا التغير يؤدى بالمسرحية الى طريق مسدود ، لم يكن « مارسل » يجد منه منفذا يستطيع معه الاستمرار في كتابة المسرحية .

ومن هذه النقطة كان عليه أن يعود على أعقابهِ ، وأن يفكر من جديد في كل معطيات المسرحية ، وأن يتدبر امكانية قيام حركة درامية متسقة فيها ، وكان عليه أن يعمّق الصلات الجوهرية بين الشخصيات ، وأن يجعلها أكثر حدة وشدة ، وهكذا استهدفت كل التغيرات والتحولات التى أدخلها على النسخة الأولى هذا الإبراز ، وهذا التوكيد للعلاقات بكل ما ينطوى عليه من تبسيط وتدعيم في آن واحد .

ويرى « مارسل » أننا لو تأملنا طويلا في هذه التغيرات لوجدناها تصويرا مفيدا لنمط خاص من المنطق (لا من « الديالكتيك » وهى كلمة لا يراها مناسبة في هذا المكان) يتدخل عند المؤلف الدرامى ، وذلك حين لا يضع هذا المؤلف في حسابه أية اعتبارات أخرى قريبة على رسالته الحقيقية ، وهى أن ينفخ الحياة في أشخاص عليه تصوير طبيعتها الخاصة والقاء الضوء عليها ، وتوضيح العلاقات الظاهرة او الخفية التى يمكن أن تقوم بينها - في آن واحد .

ومن هذا المنظور ينبغى النظر الى أعمال جبرييل مارسل المسرحية ، تلك الاعمال التى لم يَنْظُر اليها حتى الآن الا في علاقتها بفكره الفلسفى ، على حين ان هذه الاعمال المسرحية هى التى حرّكت ذلك الفكر الفلسفى ، وكانت تجسيدا له في وقت معا .

المحارب المضيئ أو مصباح النعش

مترجمة من ثلاثة فصول

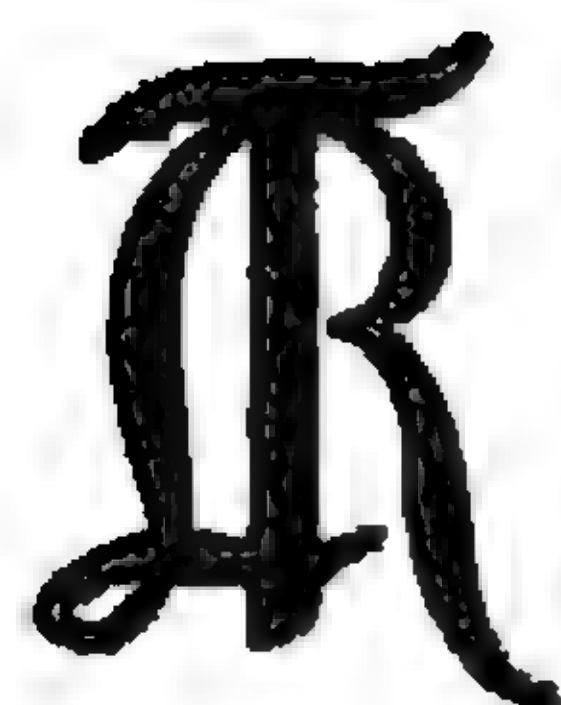
تأليف : جبريل مارسل
ترجمة وتقديم : فنوادر كاسل
مراجعة : محمد اسماعيل محمد

العنوان الاصلي للمسرحية

GABRIEL MARCEL

LA CHAPELLE ARDENTE

Pièce en trois actes



LA TABLE RONDE

8 RUE GARANCIÈRE, 6.

PARIS

عرضت هذه المسرحية لأول مرة في ٢٥ سبتمبر ١٩٢٥ على مسرح
« فييه كولومبييه » « Vieux-Colombier » ومثلتها فرقة « مسرح
المؤلفين الشبان » Jeunes Auteurs Théâtre des وأخرجها جاستون
باتي Gaston Baty

شخصيات المسرحية

Actove Fartier
André Verdet
Alne Fortier
Mireille Pradol
Mladame Verdet
Youise
Lonne Cambrin
Avna
La Petit Jacques

اوكتاف فورتيه
آندريه فرديه
آلين فورتيه
ميري برادول
مدام فرديه
لويز
ايقون كامبران
آنا
جاك الصغير

الفصل الأول

تجرى أحداث المسرحية في عام ١٩٢٠ .

حجرة جلوس رحبة ، في الريف . أبواب على اليمين وعلى اليسار .
في مؤخرة المسرح باب كبير من الزجاج يؤدي إلى الحديقة التي
نلمحها .

المنظر الأول

آلين ، ثم لوييز

آلين ترسل البصر إلى الحديقة وقد أسندت وجهها إلى راحتها ،
ثم تسير إلى الجرس بالقرب من المدفأة ، وتضغط على الزر . تمر فترة
من الوقت .

لوييز : (داخلة) هل ضربت الجرس يا سيدتي ؟

آلين : (مشيرة إلى الحديقة) ماتلك اللعب التي أراها هناك؟

لوييز : (مُخْرِجَةً) لا ينبغي أن توبخني سيدتي . فمداام -

كاميران هي التي طلبت مني أن أصعد معها إلى
« الصندرة » للبحث في أشياء مسيو ريمون (حركة

من آلين (عما إذا كان فيها بعض اللعب لجاكو .

آلين :

وهل استأذنت مني ؟ . . .

لويز :

كنت أنا أريد ذلك ، غير أن مدام كامبران قالت لي إن المسألة لا تستحق العناء . . . وحين أتلقى أمرا . . .

آلين :

لا يعطى الأولاد هنا أحد سوى ، يالويز .

لويز :

اعتقدت أن سيدتي ستوافق . . . وكان ذلك لابنها الصغير . . .

آلين :

يَحْسُنُ بك أن تعيدي هذا الصندوق حيث أخذته .

لويز :

عندما ترى مدام كامبران ذلك . . . لن يجد جاكو فيما يبدو ما يتسلى به .

آلين :

ولماذا لم تأخذ ابنتي ما كان ينبغي أن تأخذه ؟

لويز :

كان يبدو حينذاك أن هناك فائضا . . .

آلين :

سيذهب فيكتور حالا إلى المدينة ، وليس عليه إلا أن يشتري ما هو ضروري .

المنظر الثاني

نفس الأشخاص ، ميري

(التي تدخل بملابس التنس ، وقد أمسكت مضربها بيدها)

- آلين . : هكذا عدت سريعاً ، ياغريزتي ؟
- ميري : في هذه الساعة ، يبدأ ملعب التنس داخلاً في عز
الشمس .
- لويز : أتريد الآنسة أن أعد لها ثوباً آخر ؟
- ميري : كلا ، أشكرك ، يا لويز ، سأبقى كما أنا .
- آلين : إذن ، ستفعلين ماقلته لك أليس كذلك ؟
(تخرج لويز)
- ميري : (ذاهبة إلى آلين ، في حنان) لم أكد أقول لك
صباح الخير . . . ياماما . .
- آلين : ماما . . . أنت متأكدة ؟ . . . هل ترويت ملياً ؟
- ميري : أجل ، دعيني أناديك : ماما .
- آلين : لست أدري إلى أتساءل . . .
- ميري : لو استطعت أن أكون زوجته ، لوجدت هذا طبيعياً
جداً .
- آلين : ربما .
- ميري : يبدو لي الآن ، بعد أن لم يعد موجوداً ، أننا أقرب
إلى بعضنا ، الواحدة من الأخرى .

السين . : واصغيراه ! (تتعانقان) وعلى كل حال . . ينبغي
ألا تنادينى على هذا النحو لارضائى . . . وانما في حالة
ما إذا أتاك ذلك تلقائيا . . . أليس كذلك ؟ ربما أحس
والداك بشيء من الحزن ، لو استطاعا أن يتنبأ بذلك !
ميرنى : مادمت لم أعرفهما . . . كلا ، كلا ، أنت ماما حقا
بالنسبة لى .

(صمت)

السين : من كان يلعب التنس ؟
ميرنى : كالعادة ، هنرييت ، جان ، واخوانهما . . . و كان
روبير شانتاي هناك أيضا .

السين : إنه يأتى الآن في جميع الأمام تقريبا ؟

ميرنى : أجل . . .

السين : ودائما بغض أيضا ؟ (حركة غامضة من ميرنى) أنا ،
لا أعرف عنه الا ما أخبرتنى به .

ميرنى : قد يكون من الحق أنه ليس جذابا جدا . . . ولكنه
يجيد اللعب على كل حال .

السين : آه ؟

ميرى : ولكن حين نصل ، فإن له طريقة في النظر إليك من
أخص قدميك إلى رأسك . . .

آلين : ليس هذا صنيع الرجل المهذب .

ميرى : (مترددة) لا يمكن أن يقال عنه إنه سيء التربية . . .

آلين : ومع ذلك ، فإن تلك النكتة التي أطلقها عن جان موريل
ذلك اليوم ، بدت لي قليلة الذوق إلى حد بعيد !

ميرى : يا لذاكرتك ! فأنا لا أذكر حتى أنني قصصتها عليك.
ولكن ، من الممكن أن تكوني على صواب. وبالإضافة
إلى هذا ، إن له أسلوبا في التهكم على خالة موريل
العجوز ، تلك الخالة الصماء . . .

آلين : الواقع . . .

ميرى : أوه ! وفضلا عن ذلك ، فإنه شديد الإعجاب بنفسه.
فاجأته وهو بسبيله إلى النظر إلى وجهه في مرآة للجيب.
والحق أن هيئته أفضل من شخصيته ، ولكن ، حتى
ولو . . . ألم تريه قط ؟

آلين : كلا ، لا أظن . . .

ميرى : انه من ذلك الطراز الذي لا يعجب كل الناس . شعر
فاحم السواد ، وعينان في زرقة صافية . وهذا شيء

في الغرابة . (صمت . تحت ضغط هذا الصمت . . .)
وربما كانت نظرتة على شيء من القسوة .

المنظر الثالث

نفس الأشخاص ، إيفون

إيفون : صباح الخير ، يا ماما ، صباح الخير ، ياميريني ، كيف
حالك ؟ (إلى أمها .) أتعرفين — مضادقة — أين وضعوا
اللعب التي طلبت انزالتها من « الصندرة » من أجل
جاكو ؟

آلين : أجل ، وقد أخبرت لويز من توى أن تحملها إلى هناك
حيث كانت .

إيفون : ما السبب ! لماذا ؟ في الواقع هذا شيء لا معنى له ، أصبح
الصغير شديد التذمر في هذه الايام الأخيرة ، لم نعد
نعرف كيف نلهيه .

آلين : سيشرى فيكتور كل ماتريدين من « فيلنوف » ،
حيث ذهب منذ لحظة .

إيفون : ولماذا يشرى ، مادام كل ما ينبغي موجودا هنا ؟

آلين : إنه سيتقاضى الحساب مني أنا .

إيفون : المسألة ليست مسألة الثمن ، ولكنني لأرى من الحكمة
عدم الانتفاع بما نملك : أتوثرين أن تتأكل هذه
اللّعب يفعل الرطوبة في « الصندرة » دون إن —
تفيد بشيء ؟

آلين : أنوى بالفعل التوصية بعمل قطعة من الأثاث حيث
احفظها مرتبة .

إيفون : ترتبها ! انى واثقة تمام الثقة أن ميرى تشاطرنى رأى
(حركة نى من ميرى .) إن لك طريقة في فهمك
لاحترام الماضى ! ...

آلين : (بصوت متغير) أرجوك .

إيفون : أنت لاتدينين بدين الماضى ، وإنما بخرافته .

ميرى : إيفون !

آلين : لن اجيب عليك بغير كلمة واحدة : حين يكون
المرء قادرا على الذهاب إلى حفل راقص بعد ثلاثة
أشهر من موت أخيه ، فانه لايصبح كفوا لأن . .

إيفون : هذا الحفل الراقص مرة أخرى ! دائما هذا الحفل
الراقص ! آه ! كم عدد المرات التى استخدمته
من أبجلى ! وحين أفكر . . .

- آلين : كفى ، من فضلك . فلا جدوى من الالحاح .
- إيفون : هذا أدعى للارتياح .
- ميري : إنك تسيئين إلى والدتك ، يا إيفون . . . (حركة من آلين) وأنا ، إنك تجرحيني أنا أيضا .
- إيفون : أجرحك ؟
- ميري : (وعيناها مسددتان على آلين) ينبغي احترام مثل هذه المشاعر ، يا إيفون !
- إيفون : العقل السليم لا يفقد أبدا حقوقه ، ، ولو كان — زوجي هنا . .
- آلين : أجل ، هذه عبارة من عبارات زوجك ، في الواقع
- إيفون : أما أنا ، فأرى من هنا أننا لن نوفق في الحياة في هذا البيت ، لو لم يكن بسبب أبي . . .
- (تخرج)

المنظر الرابع

الين ، ميري

- آلين : (في امرارة) إليك !
- ميري : هذا مؤلم أشد الألم . . . ألا تعتقدين ، مع هذا ،

أنه كان من الأفضل . . رأيت ، أنى أبَدْتُكَ . .

آلين : حتى لو كان ذلك لمجرد الشكل !

ميرى : كلا ، غير أن هذه اللعب ، كان من المؤكد أن يعطيها ريمون لابن أخته .

آلين : ريمون لم يعد هنا .

ميرى : هذه اللعب ، ليست . . .

آلين : بلى . . . ليس في وسعك أن تفهمي .

ميرى : إنها بالنسبة لى أنا أيضا ، ليست بالطبع سوى . . .
أطلال .

آلين : كلا ، أنت، إنه لم يكن لك عندما كان صغيرا جدا وانت لا ترينه مثلما أراه ، أنا . . حين كانوا —
يحملونه إلى مهده ، وحين كان يلعب في الحديقة ،
وحين كان يمنحهم ، وحين كان يعطيهم . . .
كان يجب العطاء حبا جما .

ميرى : (بصوت خافت) بالضبط ، إذن . . .

آلين : كيف ؟

ميرى : لاشيء .

آلين : أما إيفون . . فكانت تريد أن تنهب كل شيء ، ما من

كلمة أخرى غيرها .. حتى كتب أخيها المدرسية التي
كان الصغير في حاجة إليها . آه ! وكأنها تقرأ الغيب !

ميري : لعل ذلك لتكون لها .. ذكريات عن أخيها .

آلين : إنها لم تحبه قط . أوه ! أجل ، كانت تناديه بأخي
الصغير العزيز . . . تلك الكلمات التي لا تلزم بشيء .
ولكن ، ماذا فعلت من أجله ؟ كلا ، كلا ، ينبغي
أن نقولها : هنا ، لم يكن سوانا نحن الاثنين . . .

ميري : ولكن حماي . . .

آلين : أوه ! ومع ذلك . . . (تطوف عيناها في شروء
بالمائدة .) إليك ، الواقع أنني كدت أنسى أن أريك
هذا الذي وضعته جانبا من أجلك .

(تناولها مظروفا)

ميري : ما هذا ؟ (تفض المظروف) أوه ! ولكن ، كيف لم
تطلعيني عليها قبل ذلك بوقت طويل ؟ « باراميه ،
١٩٠٢ » إنه هو ، ذلك ، الواقف هناك ، على ساقين
عاريتين ؟ كم كان أكبر من سنه ! وهناك فوق . . .
إلام كان يشير بأصبعه ؟

آلين : (تميل عليها) أرني .

.. (يدخل أوكتاف في هذه اللحظة)

ميري : تعال أنظر ، يا أبي .
آلين : (تستعيد الصور الفوتوغرافية في حركة توشك أن تكون عنيفة) ، كلا ، اعطينها .

المنظر الخامس

نفس الأشخاص ، أوكتاف

أوكتاف : ما هذا ؟
آلين : لا أهمية على الإطلاق .
أوكتاف : جئت استنجد بذاكرتك : ألا تذكرين - على سبيل المصادفة - ماذا صار إليه ملازم كلوني ؟ كان ينبغي أن ينقل إلى الكتبية رقم ٥٤ في ١٨ فبراير ، ولكن ما حدث منذ ذلك الحين ؟ يبدو لي أننا علمنا ...

آلين : ليست لدى أية فكرة عن هذا الموضوع .
أوكتاف : يجب أن أكتب إلى الأمانات . (إلى ميري) هذا من أجل كتابي ، تعرفين ، إنني أتحدث عن ملازم كلوني بمناسبة خندق فرانكفورت .

ميري : أهكذا تقدمت فعلا ؟

آلين : (الى انهمكت في قراءة كتاب) إنه يعمل كثيرا .

أوكتاف : يجب أن ينتهى كل شىء على بداية السنة الجديدة .

ميرى : لماذا ؟

أوكتاف : هذا حد فرضته على نفسى ، ينبغى دائما أن يضع المرء لنفسه حداً .

ميرى : لابد أن هذا يمثل عملا هائلا .

أوكتاف : إن الشطر الأعظم منه هو المراسلة مع العائلات .

ميرى : لو أردت أن تعطينى بعض هذه الخطابات لكتابتها...

(تسدد آلين بصرها عليها) ماذا هناك ، يا أماء ؟

آلين : لاشىء ، إني مندهشة .

أوكتاف : هؤلاء الناس الذين ينبغى ملاحقتهم ثلاث . . أربع

مرات ، قبل أن نحصل منهم على رد . . أوه ! ولكنى

أملك المثابرة . . كل أولئك الأشخاص المساكين

الذين كانوا في كتيبة ٤٢٧ ، إنهم أبنائى الى حد ما ،

وينبغى أن أعرف ما صار وا إليه جميعا طالما بقوا على

قيد الحياة . أولا ، كتيبة على هذا النحو ، تحيلى ، في

ثلاث سنوات ، لاوصمة ، لا ضعف . . . ولو لم

تُحلّ غداة وقوع الأعمال العدوانية ، لما قدمت

. استقالى .

ميرى : أصبح هذا ؟

أوكتاف : بالتأكيد !

آلين : يبدو أنهم أحضروا إليك ربطة من ما زيريه .

أوكتاف : (في حيوية) من صاحب المطبعة ، أين هي ؟

آلين : (تشير إلى اليمين) أعتقد أنهم وضعوها هناك ، على جنب .

أوكتاف : (خارجا) لماذا لم تحبرنى بذلك على الفور !

(يخرج)

آلين : يا عزيزتى ، إذا أردت ألا تسبى لى ألما عميقا ، فبلا تجددى اقتراحك .

ميرى : أى اقتراح ؟

آلين : عن موضوع الخطابات التى تطوعت بكتابتها .

ميرى : اسمعى - يا ماما - لو كان في ذلك خدمة له . . .

آلين : (في شيء من القسوة) أولا ، هذه المكاتبات تشغله .

ميرى : ومع ذلك

آلين : (ذاهبة إليها) - ثم ، إن مجرد فكرة هذا الكتاب

ترعبنى .

ميرى : ولكن ...

آلين : وكنت أعتقد أنك تشاطرينى شعورى ، نحن على اتفاق ، بوجه عام . . . قلعة المادلين ، ونحن قد فرانكفورت (تتحب) العلامة رقم ١٣٦ ، ياميرى ، العلامة رقم ١٣٦ . . انه يريد أن يجلد ذكرى تلك المذابح ، تلك المجازر . . وتساعدينه على ذلك ؟ . . . كلا ، يا صغيرتى ، لن تفعل ذلك !

ميرى : (مذهولة) سأفكر ملياً ، أنا . . .

آلين : (تثوب إلى هبوطها) في هذه الحالة ، يهدأ بالى .

أوكتاف : (يدخل ممسكاً بمجلدين في يده . بصوت قليل الثقة) انظرى . . إنه ليس الاخراج الذى كنت أتمناه تماماً ، ولكنهم لا يصنعون ما يريد المرء . على كل حال ، انبثأتى برأيكما فيهما .

(يمد يده في ارتباك بأحد المجلدين إلى ميرى ، وبالأخر إلى آلين)

ميرى : (بعد أن تأملته) اوه ! كم هو جيد ! كم هو ممتاز . . . (تلتفت في هذه اللحظة إلى آلين التى تصلبت في نوع من اليأس المتشنج ، فتقطع عن الكلام .)

أوكتاف : انظري ، هنا أولا صورته الفوتوغرافية ، صورته عند
دوبان ، وفي الصورة الأخرى تبدو هيئته كطفل .
وهناك ، نصوص الاستشهادات ، نصوصي أولا ،
حين أورها بترتيب كتيبي ، ثم بترتيب فردان . . .
ثم الأخيرة . وهناك أيضا رسائله ، تلك التي كتبها إلى
(نشعر أن وجود زوجته يربكه . يرغم نفسه على
الكلام ، غير أن صوته يخفت شيئا فشيئا .) هناك منها
خمس " وستون ، على ما أعتقد — كلا ، أربع وستون
. . . فليكن ، ماعلينا ، سترين . . . الكلمات الصغيرة
لم أعد طبعها . . . فلا أهمية لها . . . ولن يعرض هذا
الكتيب للبيع . . .

ميري : أجل . . . بالطبع . .

أوكتاف : أنه من أجل الأصدقاء فحسب . . من أجل أولئك
الذين عرفوه . . وأنت ، يا آلين ، ما رأيك في هذا
الموضوع ؟

آلين : لاشيء ، لاشيء على الإطلاق .

أوكتاف : كيف ، لاشيء ؟

آلين : (متمالكة لنفسها) الورق جيد . . . وحروف المطبعة
مقروءة . . جدا .

أوكتاف : هذا واضح ! لم يبق إلا أن تكون تلك الحروف غير
مقروءة !

آلين : إنها حسنة تماما .

أوكتاف : اذن ، فانت .. مسرورة ؟

(لا تجيب عليه ، وتظل خلال بقية المنظر وكأنها
مستغرقة في تأمل حزين)

ميرى : (لكى تقول أى شيء فحسب .) ما كان أقل توقعنا
أشياء كهذا ! أن نرى هذه الخطابات منشورة !

أوكتاف : اى نعم .

ميرى : (بصوت خفيض) فكرة حسنة جدا .

أوكتاف : (مرهفا سمعه) كيف ؟ (ميرى لا تجيب) اعطنى
نسختك لكى أبعث بها إلى التجليد .

ميرى : شكرا .

أوكتاف : (بصوت هامس ، مشيرا الى آلين) المسألة في غاية
الصعوبة ، يظن المرء أنه يبعث السرور إلى نفسها
ثم ...

ميرى : (بصوت هامس) ليست لك نفس الطريقة في معاناة
الشقاء .

المنظر السادس

نفس الاشخاص ، إيفون

إيفون : سذهب للجلوس تحت شجرة الأرز مع « التونو » ،
والطفل الصغير ، فاذا أراد احد أن يأتي
إلينا ... أنت يا بابا ، ألم تقل حتى صباح الخير
لحفيدك ؟

أوكتاف : ما هذا ؟ لقد « دسكته » فوق ركتي طيلة ربع ساعة !
إيفون : وأنت ، ياميري ؟ أتعلمين أنه يطلبك !

آلين : اذهبي ياعزيزتي ، فستعودين لاصطحابي بعد لحظات
إلى الأم نويل ، فقد وعدتها أن أحضر لها سلة من
الكرز . وسيسرها أن تراك ، تلك المرأة المسكينة .

أوكتاف : أخبريها بأنني كتبت لثمرة الثانية عن موضوع المداية
العسكرية لابنها .

آلين : آه ! حقا ؟

ميري : سنقول لها ذلك .

إيفون : (توجه الكلام أثناء خروجها إلى ميري) لقد قُتِل
نويل الصغير ، اليس كذلك ؟ .. وفضلا عن ذلك ،
لكي تذهب ماما إلى هناك ...

(تخرج مع ميرني من الباب الزجاجي .)

المنظر السابع

أوكتاف ، آلين

(صمت . آلين تتصفح الكتيب ، يدين مرتجتين .
أوكتاف ينظر إليها بنوع من اليأس . وفجأة ،
تهب آلين واقفة)

آلين : ماذا يعني هذا ؟

أوكتاف : (مقرباً) ماذا ؟

آلين : تلك المحادثة التي يلمح فيها الى ... إنك لم تقرأ الى قط
هذا الخطاب .

أوكتاف : أرني ... (تناوله آلين الكتيب ، وتسدد إليه بصرها .)
آه ! أجل ...

(في شيء من الارتباك .) عم تسأليني ، بالضبط ؟

آلين : لماذا يقول : « سأندم دائماً على أنني لم أتبع نصيحتك . »
أية نصيحة ؟

أوكتاف : لكن . .

آلين : « أشكرك على أنك هديتني إلى الطريق . » والتاريخ

... (بجدة) لقد أشرت عليه بالتطوع قبل موعد
استدعائه للجنديه !

أوكتاف : تذكرى حالته النفسية : كان مترددا ، معذباً ،
وكان ذلك عندما أذنت له في ١٦ ديسمبر . أقبل
على ذات مساء قائلاً - في هذا المكان بالضبط -
بابا ، ماذا تفعل ، لو كنت مكاني ؟ »

آلين : إذن ، فقد كانت كلمة منك تكفى لاستبقائه ؟

أوكتاف : آلين !

آلين : كنت تُمسك حياته بين يديك في تلك اللحظة ؟

أوكتاف : طلب مني أن أحدثه بصراحة ، حديث رجل لرجل

آلين : رجل لرجل ! انظر إليه ..

(تشير إلى صورة ريمون الفوتوغرافية الموضوعة على
المائدة)

أوكتاف : لم يكن من حق أن أخيب أمله .

آلين : لقد أسأت استغلال مكانتك ، وضعفه ، والخوف
من أن يسقط في نظرك

أوكتاف : أفهمته أنه حر تمام الحرية .

آلين : ياله من تفاق !

أوكتاف : اقسم لك اننى لم أمارس أقلّ ضغط عليه .
آلين : كانت الحرب تفزعه ، ولم يكن من الصعب أن
تحصل منه على وعد بالاشتراك فيها .

أوكتاف : وأنت لم تنجحى في هذا .
آلين : بسبب خطئك . . أوه ! ثم أننى لم أكن أجد نفسى في
تلك اللحظة — وكأنما كنت أعيش في كابوس —
(صمت) كان يعتمد عليك في أن تشى عزمه عن
الرحيل .

أوكتاف : إنك تدنسين ذكراه ، إنك تجعلين منه جباناً .

آلين : طفل مسكين كان يرى رؤية صافية .

أوكتاف : ألم تقولى إن الحرب كانت تفزعه ؟ ومن ذا الذى
أحب الحرب ؟

آلين : أنت . . . ألم تقل ذلك اليوم للدكتور موريل
« أجمل سنوات عمرنا . . . »

أوكتاف : لعللاقة اطلاقاً بين هذا وذاك . لم تكن الحرب هي
الحميلة ، وإنما الخطر ، الصداقة في الخطر . —
لاستطيع المرأة أن تفهم .

آلين : وهذا خير لها ! ثم ، أكان من الممكن أن تكتب
مذكراتك لو لم تحب الحرب ؟

أوكتاف : إنها ليست مذكراتي . وإنما هي حوليات كتيبتى ،
وهذا على سبيل الوفاء .

آلين : أما الآخرون ، فأننى أرى جيداً ما هم عليه ، أنهم
لا يتحدثون عنها أبداً ، وكأنهم ينجلون منها . . .
أما أنت . . فانك لاتستطيع حتى أن تترك الاموات
في سلام .

أوكتاف : من واجبي أن اخلد ذكرى صمودهم ،
وبطولتهم ، و . . .

آلين : كلمات . وبسبب هذه الكلمات يعود كل شيء لبدأ من
جديد . . . إلى ان يفنى آخر انسان ولا يبقى احد .

أوكتاف : كلمات ؟ أنتِ تشكرين ابنك .

آلين : أما أنت ، فقد . . .

(تتوقف عن الكلام)

أوكتاف : انطقيها .

آلين : كلا .

أوكتاف : هيا ، أعرف ما تفكرين فيه .

آلين : آه !

أوكتاف : أهى غلطى لأنه لم يَعد .. أأتتهمينى بأننى لم
أسهر عليه سهرًا كافيًا .. آه ! لماذا ذهب إلى -
الكتيبة رقم ٤٢٧ ؟

آلين : كأنك لم تجتذبه إليها !

أوكتاف : لقد طلب منى أن أقبله فيها ، وهو الذى اختار
المجئ إليها .

آلين : انه لم يتحر شيئا ، لقد ترك نفسه ليصنعوا به ما يشاؤون ،
ولم يدافع عن نفسه ... وهذا أشبه باليوم الذى ...
(نشر أن الشبهات المتصلة تهزها هزا) ان الرقم ١٣٦ ..

أوكتاف : تلك المهمة ، لقد تضرع حتى يعهدوا بها إليه .

آلين : لم يكن يستطيع أن يفعل خلاف ذلك ... هذه مسألة
متشابكة ... كلا ، كلا يا أوكتاف ، أعترف
ماتريد أن تقول ، ولكن لا أريد .. أسمعنى .. لا
أريد ..

أوكتاف : (وقد علاه شحوب شديد) اذن ، فأنا ، لم أحبه ؟

آلين : أقل من مكانتك .

أوكتاف : وأنا لم أتعذب ؟

آلين : عذاب رجل ، مجرد شارة . . . يمكن أن توضع في عروة السترة .. أوه ! لا تنكر ذلك . اطلعت على بعض الخطابات التي كتبتها . . . بعد ذلك . . . وكلمة فخر تتكرر في كل سطر : « إنني فخور . . . نحن فخورون لأننا وهبنا فرنسا . . . »

أوكتاف : (بقوة) هذه هي الحقيقة .

آلين : أجل ، حسن ، وهذا دليل على أنني محقة . وحين يتعذب المرء كما تعذبتُ ، أنا . . . لا يشعر بمثل هذه المشاعر الجميلة ، ولا يبقى له ما يمكن أن يعطيه ، شنيع هو العذاب ، ولا يمكن أن يوضع في أبيات من الشعر المقفى الموزون .

أوكتاف : كيف ؟

آلين : عثرت على مسوِّدة مبعثرة ، وقاموسك للقوافي التي لم ترتبها .

أوكتاف : (بصوت يهتز بالانفعال) أصغى إلىّ يا آلين ، لست ممثلاً ، اني يائس أنا أيضاً ، ولا أسمع لك ، أسمعيني . . . وإذا خطرت لي فكرة نظم بعض الأشعار التي أريدها أن تُحفر على قبره . . .

آلين : (بصوت مكتوم) كلا ، كلا .

أوكتاف : وإذا كنا قد أحضرنا ابنا إلى هذا المكان ، فذلك لكي
نمجد ذكراه التي اعتبرها مقدسة ، على حين تُصرين
أنت على تحقيرها . وإذا كان يرانا ، أنت وأنا ، وإني
لعلّ يقين من ذلك . . .

آلين : اسكت .

أوكتاف : تستطيعين أن تقولي لنفسك . . تستطيعين أن تقولي
لنفسك . . (يقرع آندريه الباب الزجاجي في هذه
اللحظة .) ايه ! ولكن ، هذا آندريه . . ادخل ،
يا صغيرى .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ، آندريه

آندريه : صباح الخير ياعمى أوكتاف ، صباح الخير يا خالتي .

أوكتاف : كنت أنوى المرور على « القومسيون » للحصول على
أنباء عن الاستشارة الطبية .

آلين : هذا صحيح ، كان ذلك أمس .

آندريه : يبدو أنه مرض عصبي ، بكل تأكيد .

أوكتاف : وماذا عن تلك الاختناقات ؟

- آندريه : لا خطورة منها .
- آلين : والقلب ؟
- آندريه : يكاد يكون طبيعيا . ولكنه أعطاني مع ذلك شيئا من الديجيتال .
- أوكتاف : مع ذلك . .
- آندريه : هذا من قبيل زيادة الحرص . وهو يعزو ذلك إلى الارهاق الذى عانيته في العام الماضى . ومجمل القول ، لم يبق إلا انتظار ما سوف يحدث .
- أوكتاف : رائع ، هذا شيء عظيم . . ولا بد أن والدتك مسرورة جدا .
- آندريه : أعترف بأن المسألة بالنسبة إلىّ أيضا أشبه بالحكاية المعروفة عن اقتطاع جزء من الوزن . وقد يبذل المرء أقصى جهده ، وينتهى به الأمر إلى إيذاء نفسه .
- آلين : هذا واضح .
- آندريه : هل ميري . . . هنا ؟
- أوكتاف : إنها في الحديقة مع إيفون والطفل .
- آندريه : لقد لمحتها من بعيد أثناء مرورى على ملعب التنس . إنها تذهب إلى هناك كل يوم تقريبا ، أليس كذلك ؟

أوكتاف : إنها لا تملك هاهنا من وسائل التسلية إلا أقل القليل . .

آلين : (في حيوية) هل سمعتها تشكو قط من هذا ؟ إن لديها موارد كافية في نفسها ، ولكنها تحرص ، ومعها حق على أن تمارس بانتظام قليلا من الرياضة .

آندريه : لقد كانت مع ذلك الـ « روبر شانتاي » . . . يبدو أنه شديد المواظبة على التنس ، هذا الصيف . لعل في نيته أن يستقر هنا نهائيا ، وأن يتزوج كذلك .

أوكتاف : آه ! صحيح ؟

آندريه : ربما كانت واحدة من بنات « موريل » يكون قد رآها . . .

أوكتاف : سيدهشني ذلك ، فأنهن لا يملكن غير « دوطات » تافهة ، ولا بد أن له مطالب ضخمة .

آندريه : (منزعجا) لا يوجد هاهنا من الوارثات عدد وفير . .

آلين : على حسب ما قيل لي عنه ، تبدو لي شخصيته قليلة الأهمية ، واني لمندهشة من أن أفعاله وحركاته تشغلكم إلى هذا الحد .

آندريه : ولكن ، يا خالتي . . .

المنظر التاسع

نفس الاشخاص ، ميرنى

- ميرنى : أهذا أنت ! صباح الخير يا آندريه
أوكتاف : انه يحمل إلينا أنباء طيبة من استشارة الأمس .
ميرنى : (بلطف ، ولكن دون حرارة) آه ! الحمد لله .
(يدير آندريه عينيه فيلمح المجلد الذى تركته ميرنى
على المائدة ، يتناوله .)
آندريه : آه ! لم أكن أعلم
أوكتاف : لقد تسلمتهما منذ لحظة .
آندريه : لم تخبرنى بأنك ترمع هذا النشر .
آلين : انها مفاجأة أراد عمك أن يياغتنا بها .

(تنهض)

- آندريه : وهل تعتقد أن ريمون ؟ اجل ، من الواضح . .
آلين : ماذا تريد أن تقول ؟
آندريه : كلا ، لا شيء إني أتساءل فحسب
آلين : أكمل .
آندريه : لم يعد لهذا ، الآن ، أية أهمية .

- آلين : هل أفضى إليك ريمون بشيء ؟
- ميرني : (تخاطب آندريه بصوت خافت وبنبرة متوسلة) .
ما جدوى ذلك ، الآن ؟
- آندريه : لم يقل لي شيئاً محدداً ، ولكن ، أتذكر أن طبع هذه
الرسائل ، ومذكرات الحرب ...
- آلين : ماذا إذن ؟
- آندريه : انه كان يجد هذا كله على قليل من ...
- آلين : من الفسق ؟ ..
- آندريه : فليكن من قلة الحياء .
- آلين : (إلى زوجها) رأيت ! ...
(يهز أوكتاف كتفيه في حركة تشنجية وكأنه يريد
أن يقول لها ماذا تريدني أن أصنع ؟
(تخرج وتغلق الباب الايمن خلفها في رفق .)

المنظر العاشر

- ميرني ، أوكتاف ، آندريه
(يظل أوكتاف صامتا لحظة ، ويبدو أنه ينتظر من
ميرني كلمة لاتأتي ، فلا يلبث أن يقول بصوت
لاحياة فيه)

أوكتاف : أنا ، سأذهب لرؤية جاكو ، لم يبق إلا الأطفال .
آندريه : (مُقْبِلًا نحوه) عمى ، إني آسف ...
(يخرج أوكتاف دون أن يجيب)

ميرى : (في مرارة) لماذا قلتَ هذا ؟
آندريه : لم أكن أريد ... ولكنها ألحت ... لأهمية
لذلك .

ميرى : أعتقد ؟
آندريه : لم يكن هذا ضده ، ولم يكن ضد أحد ، وحتى
لو ارتكب خطأ ...
ميرى : لن تغفرها له ماما .

آندريه : تقولين الآن ماما عن خالتي ؟ (صمت) أوكد
لك أن هذا لأهمية له .. (وكأنما أصابه تشنج)
المهم ، أن تقولى لى ... هل هو جذاب فى نظرك

ميرى : لأدري عن تتحدث ؟
آندريه : هذا الشاب الذى تلعين معه كل الأيام تقريبا ...
هذا الـ « شانتاي » !

ميرى : إنه لاعب ماهر للتنس .

آندريه : أنه يأتي من أجلك ياميري . أنت تعجيبينه ، وفي يوم من الأيام ، سيطلب منك أن تكوني زوجته .

ميري : لاشك ان معلوماته خاطئة اذن ! فما من أحد في هذا البلد لا يعلم أن كل هذه الأمور قد انتهت بالنسبة لي ، وأنها لن تكون إلى الأبد موضوعا للبحث .

آندريه : (متواضعا وسعيدا) عفوا

ميري : حين يعرف المرء ما عرفته وحين يأمل في تلك السعادة

آندريه : (بصوت خافت) أنا أعلم .

ميري : (في حماسة) أنت لاتعرف مامن انسان واحد في هذا العالم . أتسمعي لا يبدو تافها . — حقيرا وهذا الفتى الذى تتحدث عنه ، والذى هو أفضل كثيرا مماية (تحتد من جديد) ثم ، بأي حق توجهه إلى هذا السؤال ؟ من الذى سمح لك بأن تستجوبني ؟ (تذهب الى المدفأة) . وتستند عليها بمرفقيها ، وقد وضعت رأسها بين يديها ، وأدارت ظهرها لآندريه)

آندريه : (مقربا) إني أتعذّب . . . وما أعانيه ليس خليقا بالاحتقار . . إن من تبكيته ، كان صديقي . . . وكنتُ معجبا به . وحدادك عليه هو حدادي أنا أيضا . . (بصوت خافت) أنا لأغار منه . . ولكن فكرة أن شخصا آخر . . هذا مالا أحتمله ، هذا مالا أحتمله !

ميري : (تستدير نصف استدارة إليه ، وتخطبه بقسوة) هذا الـ « شانتاي » خاض غمار القتال ، وجرح مرتين . . . (يلقي عليها آندريه نظرة مليئة بالعتاب ويبتعد ، وقد اهترت كتفاه بنوع من الرعدة .) إن ما سأقوله غاية في العنف . . فمعذرة . . ولكن إذا كنت تحس الجو الذي أعيش فيه هنا . . ثمة لحظات يبدو لي فيها أنني أحتق .

آندريه : كيف ؟ ومع ذلك فكل الناس يحبونك هنا ، كل الناس قد تبنّوك . . .

ميري : (مستغرقة في التفكير) أجل .

آندريه : وخالتي لا تستطيع الاستغناء عنك . .

ميري : وأنا أيضا لا أستطيع أن أكون في غنى عنها .

آندريه : إذن ؟ . . .

ميرى : عندما نكون لازمين للآخرين على هذا النحو . لست أدري ، لانكون بعد أحرارا . . . إننا لا . . . إننا لا نتنفس بعد (في فزع) . آه ! ماذا قلت ؟ كلا ، ليس الأمر على هذا النحو ، ليس الأمر على هذا النحو . . . إنك لا تفهم . .

المنظر الحادى عشر

نفس الأشخاص ، آلين

(تقف لحظة على العتبة ، وتنظر إليها)

ميرى : (مقبلة عليها) ألا ينبغي أن نذهب معاً إلى الأم نويل ، يا ماما ؟

آلين : يجب أن يحضروا إلى هنا الكرز الذى وعدتها به .

(صمت)

آندريه : وفضلاً عن ذلك ، الوقت متأخر ، ولا بد أن أترككم كما أوصانى الطبيب ألا أسرع في المشى .

آلين : أجل ، بالطبع .

آندريه : (إلى ميرى) ألن تأتى لرؤية والدتى في يوم من الأيام ، يا ميرى ؟

ميرى : ولكن ، بلى . . . بكل تأكيد .

- آندريه : ألا يمكن أن نتفق على موعد ؟
- ميرى : (مسدّدة عينيها على آلين) ربما .
- آلين : يا عزيزتى ، عليك أنت أن تقررى بنفسك .
- ميرى : قل لها إننى سأكتب إليها .
- آندريه : لا تتأخرى كثيرا . . . إلى اللقاء ، يا خالتى .

المنظر الثاني عشر

ميرى - آلين

- آلين : لماذا كانت هيئته حزينة عندما دخلت ؟
- ميرى : لكن . . .
- آلين : اذا كان الطبيب قد طمأنه حقاً . . .
- ميرى : ربما كانت لديه هموم أخرى .
- آلين : كان دائماً شديد الانشغال بصحته ، وليس هذا
بجريمة ، إنه فى هزيل جدا . . . وإن كان يغالى
أحيانا فى الاحتياطات إلى حد ما . وكان ريمون يمازحه
فى كثير من الأحيان حول هذا الموضوع .
- ميرى : ومع ذلك يمكن أن تكون له موضوعات أخرى . . .
للقلق .

(قالت ذلك بصوت مرتعش قليلا ، دون أن تنظر
إلى آلين . صمت)

آلين : مادمتم قد تمسكت يا عزيزتي من تلقاء نفسك ، بأن
تقولى لى « ماما » فأنا كما تعرفين — لم أكن أفكر فى
ذلك ، بل ربما حتى لم أكن أتمناه .

ميرى : وبعد ؟

آلين : دعينى أنتهى ، من فضلك ، أوكد لك أن المسألة
خطيرة . إذ لا ينبغى أن تكون مجرد كلمة رقيقة ،
ولكن كاذبة ، بل ينبغى أن تكون حقيقة قلبك .

ميرى : إنها الحقيقة .

آلين : ضعى ثقتك فى .

ميرى : (فى شئ من الحدة) ولكنك تعلمين أنى لا أستطيع
أن أفعل شيئا سوى أن أثق فىك . . ما داموا قد ماتوا
جميعا ، ولم يعد لى سواك . . وفضلا عن ذلك ،
لست من القوة بحيث أحتفظ بأسرار .

آلين : ومن الذى تحدث عن أسرار ؟ غير أن قيام أى ظل
من الالتباس بيننا يفسد كل شئ ، وهذاماتشعرين
به جيدا . إن الحداد الذى جمّع بيننا يساوى على
الأقل . . .

ميرى : ولماذا تقولين هذا القول ؟

آلين : لن أقول يا صغيرتى إن علاقتنا الحميمة هي علة -
وجودى ، ولكنها ما جعلتني أواصل البقاء . وأعتقد
أننى لم أكن أستطيع ذلك بدونها . ولهذا ينبغي ألا
يعرضها شيء للخطر .

ميرى : ولكن ، لا وجود لأى خطر .

آلين : من الممكن أن يكون ثمة خطريا عزيزتى - على العكس -
إن لم نأخذ حذرنا .

(حركة من ميرى) افهمينى ، فى سنك لا يستطيع ،
بل لا ينبغي أن يضمن الانسان نفسه ، أنت تسمعيننى
لا ينبغي ذلك . فالمرء يتغير ، هذا فطبيع ، ولكن
الأمر على هذا النحو . فقد ينمو فيك . . .

ميرى : لا تكملينى ، فأنا أخمن ، ولكن ، لاجدوى من
هذا فحسب ، بل . . . اخيرا ، تذكرين جيدا ما
قلته لك حين كنا هناك ، عندما أطلعونا على تلك -
الحقول الخراب ، على تلك السفوح التى لن ينبت
فيها شيء أبدا . . (بصوت مختنق) أما أنا فسيان -
عندى .

آلين : من الخطر توكيد ذلك ، بل ربما كان على قليل من ..
التصنع .

ميري : أنت تجرحيني .

آلين : (في رفق) لست شجاعة جدا (حركة من ميري)
وعلى كل حال ، هناك التزام في وسعي أن أتعهد به
نحوك : أيا كانت الأسرار التي يمكن أن تُفْضَى بها
إلى ، أوكد لك أنها لن تغير شيئا من ...

ميري : (في عنف) أعتقدين ذلك ، ولكنك تخدعين نفسك
ليس في وسعك أن تتحملها ، وكيف يمكن ذلك ؟
ولا أنا أيضا ، لأستطيع ...

آلين : الثقة — كما اتصورها ، لا يمكن إلا أن تكون مطلقة
وحين أعطيها ، لأستردها ... وإذا قررت أن —
تصنعي حياتك من جديد ، ففي جوهرها ، ستكون
داخل النظام ...

ميري : ماما !

آلين : لا يمكن أن يكون ذلك مع شخص حقير الشأن .. كلا
.. بعد كل ما حدث ... أعلم أن هناك حدا أخلاقيا
أدنى ليس في وسعك أن تبلغه . لن يكون مستمتعا

بالحياة - إن صح هذا التعبير لأدري ، مثل ذلك الـ
« شانتاي » الذى لن يستطيع أبدا . . .

ميرى : (فى لهجة غير متميزة) ولماذا شانتاي ؟

المشهد الثالث عشر

نفس الأشخاص ، أوكتاف ، إيفون

(يدخلون من باب الحديقة ، يحمل أوكتاف على
ظهره الصغير جاك الذى ينجب بيديه وهو يطلق
صيحاته .)

أوكتاف : (متهيئا لانزال الطفل) هنا ، يا عزيزى ، هذا يكفى
الصغير جاك : مرة أخرى ، يا جدى ، مرة أخرى ! . . .
أوكتاف : دورة أخرى حول حوض الزهور ؟ واحدة فحسب ،
هيا . . .

آلين : إذا أصبح هذا الطفل شيئا لا يطاق ، فستكون غلطتك
بالتأكيد .

إيفون : من حسن الحظ أنك موجودة لكى تُحدثى التوازن !
أوكتاف : (واضعا الصغير على الأرض) فلتكن هذه الدورة غدا
ميرى : (ذاهبة إلى الطفل) صباح الخير ، يا جاكو !

(تلاطفه ، ثم حين تشعر بنظرة آلين وفكرها مركّزين عليها ، تبتعد فجأة . إلى إيفون .) يبدو أنه قد غطس لتوه في الماء مرة أخرى ؟

إيفون : كما قلت ذلك منذ لحظة ، ماداموا لم يقرروا تفريغ البركة ...

أوكتاف : (إلى إيفون) إذن ، فسأطلعك على هذا .

(يخرج من اليمين)

إيفون : ولما كان من المبادئ المتبعة ألا مساس بشيء هنا ..

آلين : أكمل .

إيفون : إني اتخذك حكماً يأميري ، في نهاية الأمر . يوجد هنا أثاث لا ضرورة له ، ولكننا نحتاجه في المنزل . أنا لا أتحدث عن أثاث له قيمة . . . (يعود أوكتاف في هذه اللحظة وقد علاه شحوب شديد)

أوكتاف : (إلى آلين بصوت خافت) أنت التي نزعيت تلك اللوحات ؟

آلين : أجل .

(في هذه اللحظة ، يقرع الجحائي الباب الزجاجي)

أوكتاف : (يتمالك نفسه بصعوبة) أمن الممكن أن نعرف أين
وضعتها ؟

آلين : فيما بعد ، من فضلك .

أوكتاف : أنت لم تتلفيها على كل حال ؟

آلين : كل ما فعلته هو أنني وضعتها جانبا . أهذا هو الكرز
يا ألكسيس ؟ كنا في انتظارها منذ نصف ساعة (تناول
السلة) ما هذه الأزهار ؟ امسكى ، يبدو أنها لك
يا ميري .

(تمد يدها بالباقة إلى ميري)

ميري : كيف ؟

آلين : جنايني مسيو شانتاي هو الذي أحضرها .

إيفون : إيه ! ولكن ، خبرينا ، يا ميري !

أوكتاف : من شانتاي ؟

ميري : كنت من الحماسة بحيث أعجبت بتلك الورود القرمزية
التي يراها المرء من ملعب التنس .

آلين : سأضع قبعتي ، الحق بنا أمام المنزل ، من فضلك ؟

إيفون : (تأخذ الطفل من يده وتخرج مع أمها) ماما ، ألا توجد

وسيلة لكي يتناول الطفل غذاءه في الساعة الحادية عشرة والنصف بالضبط ؟ . .

(تضيع بقية الكلمات)

المنظر الرابع عشر

ميري ، أوكتاف

أوكتاف : (يتمالك نفسه في عناء) زوجتي قادرة على احراق المجلدات . . (ينتظر احتجاجا لا يأتي على الفور .)

ميري : (التي مازالت تمسك بالزهور وقد شرد فكرها)
كلا . . . كلا . . . بكل تأكيد .

أوكتاف : أتعتقدين ذلك ؟ (مندفعاً) يا صغيرتي ، لو كنت تعرفين . . (يتوقف) ولكن ، ابقى هنا ، مع زهورك سأقول لهم أن يضعوها في الآنية .

ميري : (بغتة ، وبضرب من الانفعال) كلا ، كلا ، بل ينبغي رميها .

الفصل الثاني

نفس الديكور . بعد انقضاء عشرة أيام

المنظر الاول

ميرى ، أوكتاف

(ميرى تهم بالكتابة ، وهى ترجع من حين إلى آخر إلى مفكرة مفتوحة أمامها ، تنتفض حين تسمع صوت انفتاح الباب القائم على اليسار ، ولكنها تلتقط أنفاسها حين ترى أوكتاف .)

ميرى : (بصوت خافت نوعا ما) كنت أكتب تلك الخطابات الأربعة من أجلك ولو أردت أن تراجعها فربما كان ذلك من المستحسن ، أولا ، لأن خطى

أوكتاف : (الذى لم يسمع) هيه ؟

ميرى : أقول إنك تحسن صنعا لو أعدت قراءة هذه الخطابات أوكتاف : لاجدوى من ذلك على الاطلاق ، فأنا واثق من أنها جيدة جدا .

ميرى : كتبت إذن الى مخزن أمانات « درو » ، كما طلبت منى

أوكتاف : جميل .

ميري : ولكنني أكاد أكون متأكدة من أنني أوضحت قضية « ديون » ، فلا بد أن هناك شخصين باسم « ديون جاستون » في الفرقة رقم ٨ ، وواحد منهما لم يرد اسمه في سجلات المخزن . فلو أنه أتى مباشرة من مخزن الفرقة

أوكتاف : انت رائعة يا ميري . يريحني جداً أنك توليت مشكورة هذه المراسلة .

ميري : هذا شيء طبيعي لا يستدعي الكلام .

أوكتاف : حين أكتب فترة طويلة متواصلة ، يستولي على نوع من التشنج هنا (يشير إلى مقدمة ذراعه .) وأنا لأدري إن كان ذلك من الروماتزم أو من شيء آخر

ميري : (شاردة) هذا شيء يبعث على الضجر .

أوكتاف : (يلاحظها) أنت شاحبة

ميري : لا شيء .

أوكتاف : وعيناك متعبتان قليلا .

ميري : لم أتم جيداً هذه الأيام الأخيرة .

أوكتاف : كنت أظن ذلك ، سمعتك تمشين في الليلة الماضية .
لا داعي لارهاق نفسك بكتابة هذه الرسائل . . .

ميري : كنت في غاية من السعادة لأنّ لدىّ شيئاً يشغلني تلك
الليلة ، وحين لا يأتينا النوم

أوكتاف : أجل ، أجل . . . ولكن ليس هذا من العقل في شيء ،
ولو أن زوجتي ارتابت في شيء من هذا . . .

ميري : لن تذهب لتخبرها . . . من المستحسن انتراع هذه
الاوراق جميعاً ، فمن الممكن أن تدخل حماي . . .

أوكتاف : كنت أعتقد أنك تقولين لها « ماما » في الوقت الحاضر .

ميري : ولكن حين أتحدث عنها . .

أوكتاف : أنت متضايقة نوعاً ؟ . . .

ميري : كيف ؟

أوكتاف : أن يكون لك هذا السر الصغير إزاءها ؟

ميري : أوثر ألا يكون لدىّ ما أخفيه عن أحد ، هذا مؤكد
مادمت لا أفعل إلا ما هو طبيعي . ولكنها لو علمت
بهذا الأمر ، فسوف تتألم .

أوكتاف : أعتقدين أنها ستحقد عليك حينذاك ؟

ميرى : (في حيوة) بل كلا . أولا ، لأن في هذا شيئاً من الصغار . . ثم لاني في نهاية الأمر حرة التصرف كما يروق لى .

أوكتاف : بالتأكيد .

ميرى : كلا ، هذا من أجل مراعاة صحتها . . تأملت بما فيه الكفاية .

أوكتاف : ليست وحدها التي تتعذب هنا .

ميرى : لم أعرف أحدا له قدرتها على العذاب . وحين أقارنها بالآخرين . . أرى كأنها مُنِحتْ موهبة .

أوكتاف : الاينقصها بصفة خاصة — شىء من الاتزان (حركة من ميرى) لاأريد أن أقول إنها تتباهى بالألم ، ولكنها بالأحرى كأنما تُشهره لتحطيمك .

ميرى : إنك تجرحنى .

أوكتاف : أنا « أجرحك » ؟

ميرى : كل مايقال ضدها ، إنما يقال ضدى أنا .

أوكتاف : ولكن ، يا صغيرتى ميرى . . .

ميرى : أوه ! أظن أن إيفون يمكن أن تتحدث مثلك .

أوكتاف : (بلهجة متغيرة) كلا ، إيفون ... هذا .. هذا
لأعلاقة له على الإطلاق .. ولكن ، أترين ، حين
يتذكر المرء ما كانت عليه زوجتي في الماضي ... حتى
الحرب ، لم يحدث قط أننا ... ثم حلت التعاسة ،
وكأنما سممتها ... أجل ، إنها سم .

ميري : (في غلظة) ليس مرضا أن يكون الإنسان شقيا ...
أتراك تجد المنزل شديد الكآبة ، مثل إيفون ؟ (حركة
من أوكتاف) ألا تسير فيه الحياة بسرعة كافية ؟
أتمنى شيئا من الاستجمام ؟

أوكتاف : (في حنان) لست أنت التي تتحدثين في هذه اللحظة
يا صغيرتي ...

ميري : (تزداد حماسة) فليكن ، أنا ، معجبة بذلك
أسمعني ، بكل روحى ... ربما كان رهيبا
ولكى ، ولا وجود لشيء جميل سوى ذلك .. أما الباقي ،
فتافه .. تافه ..

(نشعر أنها على وشك الانخراط في البكاء .)

أوكتاف : (الذى تأملها بإمعان) لأحب أن أراك منفعة على
هذا النحو .

ميرى : ليس ذلك انفعالا ، وانما هو جوهر ما أعانيه ، وإن كانت هناك لحظات يبدو علىّ فيها .. أولا ، - الأمر في غاية من البساطة .. هذه اللحظات ، أمقتها

أوكتاف : (في وقار) ولكن ، إذا كنت على هذا النحو الاتفاق العميق مع زوجتي ، فلماذا اقترحت على مساعدتي في هذا العمل .. الذي لا ترضى هي عنه ؟ أكان ذلك من أجلى فحسب ؟

ميرى : (خافضة العينين) لا ينبغي أن تظن أنني معدومة - الشخصية ، بل أكرّر عليك ، إننى لأفعل. إلا ما أريد.

المنظر الثاني

نفس الاشخاص ، مدام فرديه

(التى تدخل من الباب الزجاجى)

مدام فرديه : (تخاطب لويز التى قادتها) شكرا ، يا لويز ... صباح الخير ، يا أوكتاف .

أوكتاف : مرحبا ، يامارت !

ميرى : أرجو المذرة - يا خالتي مارت - لأننى لم أحضر بعد لرويتك .. فى كل يوم يحدث ما يعوقنى .

مدام فرديه : (بصوت متهدج) أهلا وسهلا بك دائما .
أوكتاف : إجلسي . (تجلس) كان آندريه يحضر كثيرا في
هذه الأيام الأخيرة ، وبدالىلى أحسن من الشتاء الماضى
مدام فرديه : (وهى تكلم عبر آتاتها) أصغى إلىّ ، يا صغيرتى -
ميري ، ينبغى ألا تضيقى بى ولكن عندى كلمة أريد
أن أقولها لأخى . . وقد يستطيع أن يعيدها عليك فيما
بعد . . ولكن من الصعب . . . لأننى لا . . .
ميري : هذا شىء طبيعى .

(تخرج فى رفق) .

المنظر الثالث

مدام فرديه ، أوكتاف

أوكتاف : أهذا بخصوص آندريه ؟
مدام فرديه : أجل .
أوكتاف : الا يتعلق بصحته ؟
مدام فرديه : بلى .
أوكتاف : كنت اعتقد أنك مطمئنة تماما .

- ٢٥٧ -

مدام فرديه : (بصوت لاتلوين فيه) آندريه ها لك .

أوكتاف : ماذا تقولين ؟

مدام فرديه : (التي لم تعد تستطيع مغالبة دموعها) محكوم عليه بالموت .

أوكتاف : ما هذا ، هذا محال ، أنت التي . . .

مدام فرديه : بعد زيارة آندريه ، كتب إلى الطبيب رسالة تشير

القلق يقول فيها إنه لم يستطيع أن يفضي إلى آندريه

بالحقيقة كلها . فذهبت إليه ، طبعاً .

أوكتاف : وقال لك . . .

مدام فرديه : لم أر في الحال . . . سوى وجهه أثناء حديثه إلى . . . لم

يكن يتيماً ، وكان يتحدث بصوت خفيض ، وكأنما . . .

أوكتاف : ولكن ، يا مارتاي المسكينة ، هذا كله محض خيال .

مدام فرديه : آندريه تحت رحمة حادث يمكن أن يقع غدا . . . أو

خلال ستة أشهر . . . أو . . . لا يدري أحد ، أخيراً ،

لا يدري أحد . . .

أوكتاف : ماذا يعني هذا كله ؟ ولكننا جميعاً تحت رحمة حادث !

مدام فرديه : كلا ، لقد شرح لي ، هذا عيب في القلب !

أوكتاف : ثم ماذا ؟ أنا أيضاً ، عندي عيب في القلب ، وخاصة

منذ أن تركتُ الجيش ، لا حظته بقسوة . ولكنني لا
أظن أنني مت بعد بسبب هذا .

مدام فرديه : (بصوت مرتعش) أصبح إلى ، يا أوكتاف ،
لا جدوى من هذا الكلام ، أكرر عليك أنه شرح لي ،
إنه صمام في القلب ممكن أن يتوقف فجأة عن أداء
وظيفته ، لمجرد إرهاق . أو انفعال أقوى من اللازم ..

أوكتاف : ولكن ، لماذا إذن لم يلحظه أحد مبكرا ؟ ليست هذه
أول مرة يستشير فيها . . . بالشيطان ! وخلال الحرب ،
كل تلك الزيارات . . .

مدام فرديه : اعتقد أن هذا كله قد تفاقم كثيرا خلال الشهور
الأنخيرة . . . أوكتاف ، إنني نادمة الآن لأنه لم يذهب
إلى الجبهة كما كان يريد ، فحتى لو أنه . . . قُتِل في
الحال ، لكان على الأقل . . . على الأقل . . .

(لا تستطيع إتمام جملتها .)

المنظر الرابع

نفس الأشخاص ، آلين

آلين : ماذا حدث ؟

أوكتاف : مارت تحمل لنا . . . أنباء سيئة عن آندريه . فالطبيب

المختص الذى ذَهَبَتْ لرؤيته أمس . . ليس -
باختصار - متفائلا .

آلين : كيف ؟ (تذهب إلى مدام فرديه) مارتاي المسكينة ،
ولكن هذا فظيع . (تعانقها طويلا) إذن ، ما هذا
الذى شرحه لنا آندريه في ذلك اليوم ؟
مدام فرديه : لم يستطيعوا أن يخبروه بالحقيقة ، فهذا يمكن أن
يقتله . . .

آلين : (تظل ملتصقة بها) أوه !
مدام فرديه : إنه لا يعرف حتى أنني ذهبت لرؤية الطبيب وحتى
إذا تصادف حضوره ، فلا تظهروا له شيئا
آلين : مارت ، تستطيعين الاعتماد على . يالهي ! ياللتصغير
المسكين !

مدام فرديه : آه ، لو كنت أستطيع أن أفكر على الأقل في أنه
كان سعيدا ! ولكنه لم ينل من الحياة سوى المرارة ..
سوى خيبة الآمال .. وليس في وسع إنسان أن يعرف
مآعانه أثناء الحرب .

آلين : (في عذوبة) ولكن لو ...
مدام فرديه : كان لديه دائما انطباع بأن الناس يحتقرونه لأنه لم

يحارب ... وكان يتحاشى أولاد خاله حين يأتسون
في اجازة .. أوه ! إلا ريمون ، الذى كان معه دائماً
في غاية الطيبة !

آلين : (متفكرة) كان ريمون يحبه كثيراً .

مدام فرديه : وكان آندريه يحدثني عنه في كثير من الأحيان .

آلين : صحيح ؟

مدام فرديه : تذكرى يا آلين .. فترة الشباب التى اجتازها هذا
الطفل ! لم تعبرها فرحة واحدة !

آلين : أنت تبالغين .

مدام فرديه : طالما كان أبوه حياً ، لم يكن عندي من الوقت ما أهتم
فيه بآندريسه .. وفضلاً عن ذلك ليس في وسعنا
أن نفعل شيئاً للآخرين .. الانسان وحيد .

آلين : (بجدية) : كلا ، يا مارت ، ليس الانسان وحيداً .

مدام فرديه : شكراً ! آه ! أنت طيبة .. ولا بد أن يكون المرء
تعساً مثلى ليقدرك . (حركة من أوكتاف) في
لحظة وفاة عزيزى شارل ، كان الأمر مماثلاً ، وإنى
لأذكر ذلك جيداً .

آلين : أجل ، في وقت الشدة يظهر الأصدقاء .

مدام فرديه : أين أوكتاف ؟

(كان قد ذهب إلى النافذة ، وأخذ ينظر إلى الخارج :

أوكتاف : (دون أن يستدير) أنا هنا ..

آلين : (بصوت مكتوم) الشقاء هو وحده الشيء الحقيقي

مدام فرديه : يقول آندريه دائما إن لك طبيعة غاية في العمق .
ومن العبث أن أردد عليك هذا القول ، ولكنه هو
أيضا يشعر على نحو شديد العمق ، أحيانا ، يفرغني
ذلك ... وأيا كانت سيطرته على نفسه ، فإنه لا
يستطيع أن يخفي عني ما يعاينه ..

آلين : انكما متحدان اتحادا وثيقا .

أوكتاف : (إلى شخص لائراه) صباح الخير ، صباح الخير .

مدام فرديه : إلى من يقول صباح الخير ؟

آلين : (التي تشرئب للنظر) إلى الصغير ، إنه يلعب مع
ميري . أما إيفون فقد ذهبت إلى « فيلينوف » .

مدام فرديه : ميري تحب الأطفال حبا جمّا ، أليس كذلك ؟

آلين : أجل .

مدام فرديه : يا لها من سعادة بالنسبة لك ، أن تكون هنا .. آه !

يستطيع المرء أن يقول إن ريمون قد عرف كيف يختار .

آلين : إنه لم يقم بالاختيار .

مدام فرديه : (خافضة صوتها) آلين . . أعتقد أن آندريه يحبها ، هو أيضا .

آلين : آندريه !

مدام فرديه : (بحرارة) ينبغي ألا تحقدي عليه . ناضل ، ويكاد لا يجروا على الاعتراف بذلك لنفسه .

آلين : (في رقعة) ولماذا أحقد عليه ؟

مدام فرديه : بوسعك أن تفعل ذلك . . . إنها عاطفة انسانية جدا . واعتقد أن من الممكن أن أشعر بها لو كنت في مكانك

آلين : لا يستطيع انسان أن يضع نفسه في مكانى ، يامارت ، وفضلا عن ذلك . . . كلا ، أنا لا أشعر بشيء مماثل .
يا للطفل المسكين !

مدام فرديه : شكرا ، يا آلين ، هذا شيء في غاية الكرم ، في غاية . . . كنت أخشى أن يفرق ذلك بيننا ، فاهمة ، ومع ذلك كنت كالمرغمة على قوله لك .

آلين : مرغمة ؟

مدام فرديه : لا يستطيع الانسان معك أن يقول ما يريد ، لاحظت ذلك في كثير من الأحيان .

أوكتاف : (الذي مابرح واقفا عند الباب الزجاجي) ياله من رجل صغير مضحك ! (يعود صوب المرأتين اللتين تخلدان الى الصمت) . لماذا سكتما ؟

مدام فرديه : آه ، لو علمت ، يا أوكتاف ! !

آلين : (في لهجة غريزية) انتبهى .

مدام فرديه : أفضيتُ إلى آلين منذ لحظة . . (إلى آلين) لماذا لا يعرف هو أيضا ؟ آندريه . . . إنه يحب زوجة ابنك

أوكتاف : (بنوع من الانتفاضة) لماذا تقولين « زوجة ابنك » ؟ ميرى ليست زوجة ابنى .

مدام فرديه : ولكن بلى . . . بل إنها في حقيقة الأمر ابنتك . . (صمت) انه يحبها بما في وسعه ، بكل قلبه ، في ضرب من إنكار الذات . . .

أوكتاف : (في جفوة) أتجددين من المستحسن افشاء سر هذا الابن التعس ؟

مدام فرديه : ماذا تقصد ؟

أوكتاف : في مثل هذه اللحظة ، حين تعلمين . . . أو على الأقل

حين تتخيلين . . لا أخفى عليك أن هذا يثيرنى .

مدام فرديه : أوكتاف !

آلين : نحن لسنا غرباء !

أوكتاف : هذا هو أخطر ما فى الأمر !

آلين : وفضلاً عن ذلك ، كنت أشك فى هذا .

أوكتاف : فلنغير هذا الموضوع ، أرجوك ؟

مدام فرديه : كأنك شخص آخر لا أستطيع التعرف عليه .

أوكتاف : (إلى مدام فرديه) على كل حال ، إذا كان من الحق

أن نخافنا . . أجل ، فلنقل إن لها أساساً . . فأنك

لا تقدرين ما يمكن أن تنطوى عليه مثل هذه العاطفة

من سخرية ، ومن شجن ؟

آلين : ربما كانت — على العكس من ذلك — خلاصاً لآندريه

المسكين . .

مدام فرديه : خلاصاً ؟

آلين : هذا الحب ، يستطيع أن يلوّن ، يستطيع أن يحول . . .

أوكتاف : أو قد يكون خالياً من المعنى ، أو بشعاً . أنا لا أسمع

لك أن تجعلى بريق الأمل يلمع أمام عينيّ مارت . .

مدام فرديه : آلين ، أعتقدين حقا أنه من الممكن . . .

آلين : أى أمل ؟ كلا ، كلا ، إنك لا تفهم ... فليس من حقى أن افترض .. ولكن ، بالنسبة لانسان مثل آندريه ، فان عاطفة على هذا العمق تحمل معها ما يشبه العزاء .

مدام فرديه : أخشى أن تكونى مخدوعة ...

أوكتاف : ليس هذا ما تعنيه بقولها ، إنها تراجع .

مدام فرديه : عندما عاد من زيارتك ، لم يستطع أن يأكل شيئا . ولم يفتح فمه بكلمة ، وكأنما أصابته الحمى ، وعانى ضروبا من الأرق .

أوكتاف : (إلى آلين) حاولت منذ لحظة أن توحى بأن ميربي يمكن على سبيل الشفقة أو على سبيل ... أرجو معذرتك يا مارت ، ولكن ، هذه مسألة خطيرة جدا ، وينبغى ألا يحدث بيننا أى سوء تفاهم ...

مدام فرديه : (وقد اختلج وجهها) ولكن ، يا أوكتاف

أوكتاف : أنت يامارتاى المسكينة امرأة شجاعة ، ولا تشكين فى أن ... أجل .. أستطيع أن أسمى ذلك عذابا .. فيما يمكن أن يصنعه بانسانة مثل آلين ...

مدام فرديه : يا إلهى !

آلين : (بابتسامة) دعها

أوكتاف : أما أنا ، فأننى لحسن الحظ ، أرى بوضوح ، من أجل الصغير ... وأنا

مدام فرديه : أريد الانصراف ... آلين رافقنى حتى العربة

آلين : (إلى أوكتاف في صوت مكتوم) إذن فأنت تتصور .. أيها البائس !

(تخرج مع مدام فرديه)

المنظر الخامس

أوكتاف . ميرى

(يثوب أوكتاف إلى هدوئه رويدا رويدا ، ثم يذهب إلى الباب الزجاجى ، وينادى .)

أوكتاف : ميرى !

ميرى : (داخله) ماذا هناك ، يا أبى ؟

أوكتاف : تعالى معى يا صغيرتى ، ينبغى أن تتحدثى إلى أخيراً بقلب مكتوح . فلنبعد عن هنا ، يمكن أن تدخل زوجتى بين لحظة وأخرى .

ميرى : كلا ، بالتأكيد ، فهذه الأسرار
أوكتاف : ولكن هذا من أجلك ياميرى ، لأننى أخشى ...
ميرى : ماذا ؟

أوكتاف : أعتقد أننى لاحظت .. ثم ، إنى أعلم أخيرا أنك
تحدثت صباح أول أمس مع ذلك الـ « شانتاي »
على انفراد .

ميرى : تبادلنا الكُور في ملعب التنس .

أوكتاف : رأيتك إيفون .

ميرى : وبعد ؟

أوكتاف : لو حدث على سبيل المصادفة .. ، من المؤكد أنك
تعجيبه ، تلك الزهور التى أرسلها إليك ، الطريقة
التي تحدث بها عنك عند آل « موريل » ... لا سبيل
إلى الشك في ذلك ، حسن ، إذا كان الأمر من
جانبك... يا صغيرتى ، فلا ينبغي أن يمنعك أى وسواس ..
الفكرة ، أنه لن يكون على قدر علمي محبب بالنسبة
إلينا : أنا ... أو زوجتى . (حركة من ميرى)
شاءت الظروف أن ندعوك إلى العيش هنا
كأنك ابنتنا ، ولكن ، ليس هذا سببا يدعوك ألا

تحتفظى بكامل حريتك . أقول هذا كله بطريقة سيئة جدا ، لأن ...

ميرى : (في خشونة) أنت تقول ما قلته ضدها . إن حريتى ، لا يهددها أحد هنا ، وليس عليك أن تدافع عنها . وذلك الفتى الذى تتحدث عنه والذى كانت عشيقته ما زالت في هذه الضواحي منذ بضعة أسابيع

أوكتاف : من تحدث إليك عن هذه المرأة ؟

ميرى : علمت ذلك .. عَرَضاً .

أوكتاف : أما أنا ، فقد أكتدوا لى أنه قطع صلاته بها منذ حوالى سنة .. أنت لم تعودى طفلة ، يا ميرى ، وتعلمين جيداً أن الرجال حين يتزوجون ... وعلى قدر علمى ، لا مأخذ على « روبر شانتاي » ...

ميرى : هل تفصيت الأمر ؟

أوكتاف : انى تحريت الموضوع .

ميرى : بأى دافع ؟ وما الجانب الذى تدافع عنه ؟ اعترف إذن بأنك تفعل ذلك ضدها ، ومن أجل الاساءة إليها ...
آه ! يالها من لُعبة بشعة !

أوكتاف : هذا الآننى أريد سعادتك .

ميرى : أتعرف إذن نوع السعادة التى أقدر على إحتمالها ؟

أوكتاف : هذه ليست من تعبيراتك .
ميرى : إنك تعذبني ، إنك ت... آه ! ليتني أستطيع الرحيل !
أوكتاف : الرحيل ؟
ميرى : ولكن ، لن أجد لدى القوة على ذلك .

المنظر السادس

نفس الاشخاص ، آلين ، أندريه

أندريه : (داخلا مع آلين) لم تقل لي ماما إنها حضرت لزيارتكم ...
آلين : لقد دخلت أثناء مرورها على المنزل .
أوكتاف : أهذا أنت ؟ صباح الخير .
ميرى : صباح الخير ، يا أندريه .
أوكتاف : كيف حالك ؟
أندريه : أكان لدى أمي شيء خاص تود أن تقوله لكم ؟
أوكتاف : ولكن ... كلا ...

(حركة من ميرى)

أندريه : ربما كان شيئا تطلبه منكم ؟ ... إنها تخبرني دائما

بالمكان الذى تذهب إليه ، ولهذا دهشت ، كما أن
هيئتها منذ لحظة ..

آلين : (بسرعة شديدة) لقد أصابها صدام .
آندريه : هذا شيء لا يحدث لها كثيرا . هل رأيت أمي ، ياميري
ميري : (في شيء من الارتباك) أجل ... كلا ... لحظة
واحدة فحسب .

آندريه : ولماذا لحظة واحدة فحسب .
ميري : (مترددة) أنا .. لأن إيفون في « فيلينوف » ، وكان
على أن أهتم بالطفل بعد الظهر .

آندريه : يبدو عليكم الارتباك ، أنتم الثلاثة ؟

ميري : الارتباك ؟

آلين : أنت مضحك ، يا آندريه !

أوكساف : يا لها من فكرة !

آندريه : (ذاهبا إلى آلين ، وبصوت هامس) لو عرفتُ ماما
بأمرها .. ما كان يجب أن تفعل ذلك ...

آلين : (مشيرة إلى ميري) هيا ، يا آندريه .

ميري : ماذا تقول ؟

آندريه : (إلى آلين) إنها تعرف بمن تتمسك .

أوكتاف : يا صغيرى ، أحترس .

آندريه : لا أريد أن نعتقد . . . وخاصة الآن بعد ان ذهب ، أن
لدى نصيبا كبيرا من الشجاعة .

ميرى : (بنبرة ضارعة) آندريه ، أرجوك . . .

آندريه : (إلى أوكتاف وإلى آلين) أليس كذلك لقد خمنت ؟
هذا هو ما أتت أمى تتحدث عنه ؟ وهيتها حين
انصرفت ! رباه ! ولكنى أقسم لكما . . . إنها فكرة
طرَدْتُها مرة واحدة وإلى الأبد . . . (إلى ميرى)
أنت لا تصدقينى ، وتتصورين أنها تحدثت بإيعاز
منى . . والقليل الذى حصلتُ عليه ، سيُسحبُ منى .
آه ! لماذا فعلتُ ذلك ؟ لماذا ؟

ميرى : (ذاهبة إليه) آندريه ، أنا ، لم أكن أعلم . . .

أوكتاف : إن ماقلنته لا ينطوى على كلمة واحدة من الحقيقة . . .

آلين : (إلى أوكتاف) ولم الانكار ؟

ميرى : (إلى آندريه) ولكنى أعدك بأن شيئا لن يتغير . . .
وأننى ، أولا واثقة من أنك تقول الحقيقة .

آندريه : (سعيدا) إننى قليل المطالب . . . حين عرفت أنه
سيغادر البلاد .

أوكتاف : عمن تتحدث ؟

ميرى : آندريه !

آندريه : اغفرى لى ان كان لدى خوف . من ذلك .

ميرى : (متألمة وبصوت خافت) أنت تفتقر إلى الحياة (يحاول

آندريه أن يأخذ بيدها .) كلا ، كلا ، دعنى !

أوكتاف : من الذى سيرحل ؟ أهـ « شانتاي » ، على سبيل
المصادفة ؟

آندريه : أجل .

أوكتاف : ولماذا يرحل ؟ (آندريه ينظر إلى ميرى التى خفضت
عينها) وماذا يعنىك من هذا ؟ أجب ، من فضلك .

آلين : ولكن ، يا أوكتاف . . .

أوكتاف : أوه ! أنت . . .

آندريه : (يتحسس جيپنه يديه) لست أدري لماذا تركت نفسى

تمضي على هذا النحو . ليس هذا جديرا برجل ،
هذا ...

(يترنح)

ميري : ماذا أصابك ؟

آنديريه : لا شيء ، سيرول حالا ...

آلين : لا يمكن أن نتركه يرحل وهو في هذه الحالة ...

آنديريه : سأذهب لأستريح لحظة في آخر الحديقة .

آلين : أتريد أن نذهب لتجلسك ؟

آنديريه : كلا ، شكرا .

(يخرج)

المنظر السابع

أوكتاف ، آلين ، ميري

أوكتاف : (إلى ميري) أصغى إلى الآن يا ميري ، إننا لم نخبره
بالحقيقة ، وأختي لم تفكر قط في ... كلا ، لقد
أنبأنا لتوها بأن الولد المسكين مصاب بداء قاتل .

ميري : (مأخوذة) آه !

أوكتاف : وأظن أن زوجتي رأيت من المستحسن - حتى لا تثير

قلقه - أن تركه يعتقد . . . (إلى آلين) لقد كنت
مخطئة ، على كل حال ، فلم تكن ثمة حاجة إلى تقديم
تفسير له ، كما أنك جعلته فهباً للحيرة .

ميرى : (بعمق) وهكذا ، فإنه لضائع ؟

أوكتاف : هذا على الأقل ماتعتقد أنه فهمته ، ولكن
ينبغي القول بأنها تضع الأشياء دائماً في أسوأ موضع .

آلين : (في رزاة) أما هذه المرة فأخشى أن تكون على
حق .

أوكتاف : ومن أدراك :

ميرى : وهو يتخيل . . . هذا مخيف !

أوكتاف : وهو في غاية السعادة لأنهم استطاعوا إبقاءه حتى
هذه اللحظة في ذلك الوهم . فلو أنه أحس بهذا
الخطر مُعلقاً فوق رأسه . . .

ميرى : أجل ، ولكن خداع النفس على هذا النحو ، فيه
إذلال ، إنه يُنقص من قدر الإنسان ، وأنا ،
لو حدث لى شيء كهذا . . .

أوكتاف : لست أدري إن كان آندريه يملك نفساً صلبة بحيث

يمكن أن تحمل الحقيقة ، الواقع ، أنى أشك في ذلك .

آلين : (محتدة) أتجد من الكرم الخط من قيمته في مثل هذه اللحظة ؟

أوكتاف : أنا لأحط منه ، وإنما أراه كما هو .

ميرى : أيستطيع قليل من الشفقة . . .

أوكتاف : عندى من الشفقة حظ وفير ، كل ما في الأمر ، أنها يمكن أن تأخذنا بعيدا (يتنبه إلى انه قد نطق كلمة خطيرة ، فيسارع إلى الحديث عن موضوع آخر)
أعرفين أن هذا الـ « شانتاي » قد غادر البلاد ؟

ميرى : (في ارتباك) كلا .

آلين : كيف تريد أن تعرف ميرى ؟ . .

أوكتاف : ألم يقل لك شيئا عن هذه الخطة ، ذلك الصباح ؟

آلين : (إلى ميرى) اذن تحدثتما معا ، في هذه الأيام —
الأنخيرة ؟

ميرى : (بصوت خافت) لعبنا التنس صباح أول أمس .

آلين : لم تقصى على شيئا من هذا .

ميرى : (مازالت مرتبكة) لم يخطر حتى على بالى .
وفضلا عن ذلك ، أنت تعلمين جيدا أنه يأتى كل يوم
إلى ملعب التنس .

أوكتاف : هذا الرحيل المفاجئ غير مفهوم . قال للناس جميعا
إنه ينوى الاستقرار هنا .

ميرى : (فى جهد) ربما كان رحيله لبضعة أيام .

أوكتاف : يبدو على أندريه أنه يعتقد . . .

ميرى : (فى صوت غير متميز) ماذا يعرف عن ذلك ؟

(تكون آلين قد جلست إلى المائدة ، وفتحت كتابا
لاتقروه . ينظر إليها أوكتاف ، ويتعرف على
وجهها تعبيرا مألوفا لديه .)

أوكتاف : سأذهب بنفسى لأرى ما صار إليه أندريه .

(يخرج)

المنظر الثامن

ميرى ، آلين

(تظل ميرى حائرة فى أول الأمر ، ثم لاتلبث أن
تقرب من آلين وكأنها مدفوعة بقوة خفية)

ميرى : ماما . . (آلين لا تجيب) ماذا تقرئين ؟

لين : لأعرف .

ميرى : كيف لاتعرفين ؟

آلين : (واطعة الكتاب) كلا (صمت) هذا أول -
حزن حقيقى تسببته لى .

ميرى : أنا ؟

آلين : (بصوت مرتجف) ولم أكن أعتقد أنك قادرة على
هذا . . .

(لاتم جملتها)

ميرى : أكلى .

آلين : لأهمية للكلمة . . ولا يقتصر الأمر على أنك أنخفيت
عنى بعناية تلك المحادثة . . . وإنما لهجتك منذ
لحظة ، وتعير وجهك حين قلت . . ولاشئ غير
هذه الحملة : « لقد لعبنا التنس صباح أول أمس »
فى هذه الحملة حاولت أن أتخذ عينى .

ميرى : ليس عندى حساب أوديه لك ، ياماما .

آلين : لاتستخدمى هذه الكلمة ، إنها استهزاء .

- ميرى : إذا كانت لدىّ أسبابى لالتزام الصمت حول مثل تلك المحادثة . . .
- آلين : كان ينبغي أن تقولى لى بأمانة إنه لم يكن فى وسعك أن تقصى علىّ شيئاً .
- ميرى : وهل كنت توافقين على ذلك ؟
- آلين : دون صعوبة .
- ميرى : لست من السيطرة على نفسى بحيث أتوقف فى منتصف الطريق الخاص بإفضاء الأسرار .
- آلين : (فى رفق) من الأيسر أن يكذب المرء .
- ميرى : إنك تهينينى !
- آلين : ربما كان هذا هو الحزن الوحيد الذى أجد نفسى فى حالة الشعور به .
- ميرى : (مشتعلة) أريد أن أكون حرة فى تصرفاتى ، — ومجرد فكرة أى . . . قهر . . .
- آلين : ومن الذى يتحدث عن القهر ؟
- ميرى : لن أوافق أبداً على أن أكون عبدة لأحد، كلا، كلا لن أكون عبدة لأحد على الإطلاق . . . ولو كنت قد صارحتك بأننى رفضت أن أكون زوجته . . .

آلين : هل طلبك ؟

ميري : ورحل ، لأنني قلت لا . . . فلو حكيت لك ، لبدا لي أنني رفضت لأنال رضاك ، وهذه فكرة — لأحتملها . .

آلين : يا صغيرتي . . .

ميري : كان من الطبيعي جدا ألا أقول شيئا عن هذا الموضوع ولن تكوني امرأة ، إن لم تفهمي ذلك ولكن ، لست أدرى ، كأنك تفتقرين إلى حاسة من الحواس ! أوه ! لقد لاحظت ذلك في كثير من الأحيان ، ثم . . . أسمعين ، إنني أريد أن أكون حرة ، وسأحتقر نفسي إن لم أكن كذلك أولا ، الأمر في غاية البساطة ، لأنني لن أكون عندئذ شيئا ، وأنت سأبغضك أنت أيضا . وحين تراودني هذه الأفكار . أود لو رحلت بلاعودة الى الأبد .

(حركة من آلين . صمت)

آلين : لم تكوني تبدين مكتئبة قليلا هذه الأيام الأخيرة .

أميري : أتلاحظيننا إلى هذا الحد !

لين : تصوري أنني كنت على وشك أن أتساءل عما إذا

كان هذا الرجل . . .

ميري : لأستطيع أن احتمل وضوح رؤيتك كل هذا
الوضوح .

آلين : ولكن كلا ، لقد انخطأت ، على العكس ، مادمت
قد خشيت لحظة ألا يكون غير مكترث بك تماما .

ميري : الواقع ، أنها كانت حماقة ، وهذا يجرحني . . .
(تحتد من جديد) ولكن ، لماذا الخوف ؟ فعلى
فرص المستحيل انى . . اجل ، حتى لو أننى
أحببته . . .

آلين : على حسب ما أعرف ، أعتقد أنه كان يصبح تعاسة ،

ميري : ماذا تعرفين إذن ؟

آلين : ولحسن الحظ ، أمكن تجنب هذه التعاسة . . انه
لا يعجبك ، مادمت قد رفضته .
(تأتى ميري بحركات عصبية ، وكأنها تتخلص من
شبكة غير مرئية)

ميري : أنت تفهمين . . لو قلت نعم ، لما استطعت أن أحتمل
أية علامة على الاستنكار .

آلين : كنت سأبدل أقصى جهدي حتى لا أدعك تلمحسبن
حزنى .

ميرى : لست أدري إن كنت تنجحين في ذلك . أنت أقبل
سيطرة على نفسك مما تظنين . فلو أننى عقدت عزمى ،
وحاولت أنت أن تثينى عن تنفيذه ، لما غفرت
لك ذلك .

آلين : أنت تعذّين نفسك بلا طائل ، يا صغيرتى ، مادام لم
يحدث شيء من هذا كله .

ميرى : (بصوت خافت) إنها أفكار تجعلنى شبه مجنونة .
(صمت)

آلين : انظرى كم كنت على صواب منذ بضعة أيام ، عندما
توسلت إليك أن تضعى ثقتك فى .

ميرى : لم تكن هذه غير كلمات لا يمكن أن تفيد شيئاً .

آلين : ولكن ثمة نتيجة أعتقد أنه يجب استخلاصها من كل
ما قلته الآن . . . إن الحياة هنا بدأت تُثقل عليك .

ميرى : ولكن كلا ، وإنما هذا اللوم الجائر هو الذى حيرنى ،
أجل ، الجائر . . . ثم هناك أيضاً تلك المسألة البشعة .

آلين : بخصوص آندريه ؟

- ميرى : أجل . (صمت) أتعرفين أنه كان يحبني ؟
- آلين : كنت أشك في ذلك .
- ميرى : يا للولد المسكين ! ولكن لماذا بدأ منذ لحظة مبتثسا على هذا النحو ؟ وما كان ينبغي أن يفعل هذا أمامك أبدا
- آلين : انه يعتقد أن والدته قد أحاطتنا علما بعواطفه نحوك .
- ميرى : حتى ولو . . .
- آلين : ثم انى أعتقد مخلصه أنه ليس تافها . . ربما كانت كل تلك الاذلالات التى كابدها أثناء الحرب .
- ميرى : كان ينبغي أن تثير غروره .
- آلين : كلا ، إنه كان ينجل من أنه لم يقاتل .
- ميرى : كان في امكانه أن يرحل . . . لو أراد ؟
- آلين : كان عمك يقول لى في كثير من الأحيان إنه كان ينبغي اجلاؤه في ظرف أربع وعشرين ساعة . .
- ميرى : (متفكرة) هذا حق بكل تأكيد . . . ومع ذلك ، هذا الابتئاس عند رجل . .
- آلين : عندما يكون مخلصا . . .
- ميرى : لا أشك في أنك تحسنين به رأى . (حركة تملص من آلين .) الواقع أن الخالة مارت لم تلمح أى تلمييح إلى ؟ . . .

- آلين : صارحتنى فحسب بأن آندريه يشعر نحوك . . .
- ميرى : (مرتجفة) لماذا قالت لك ذلك ؟
- آلين : أعتقد أنها لم تكن ترمى إلى غاية محددة ، لابد أن ذلك لمجرد حاجتها إلى المكاشفة .
- ميرى : وفضلا عن ذلك ، كيف يمكنها أن تفكر جديا ؟..
- آلين : نعم . (تنفحصها ميرى في قلق .) هذا واضح .
- ميرى : (في حدة) آه ! هذا فظيع !
- آلين : ماذا تعنين ؟
- ميرى : لا أستطيع أن أعرف فيم تفكرين .
- آلين : ومع ذلك ، مادتُ على هذا القدر من قلة السيطرة على نفسى ...
- ميرى : (في مرارة) بل إنك مسيطرة على نفسك أكثر من اللازم ...
- آلين : ثم ، ماهى الفكرة المفرضة التى تريدن أن تكون عندى ؟ تسألينى عما إذا كانت شقيقة زوجى تستطيع أن تواجه فكرة أن ... (حركة من ميرى) أنا أجيبك بأننى لا أعتقد ذلك .

ميريسى : ولكن أنت ، أنت ...

آلين : يا عزيزتى ، أنا لا أفهم إلام ترمى أسئلتك . أينبغى
أن أستشف ما في نفسك ؟

ميريسى : (في عنف) إذن ، فأنت تتخيلين أننى فكرتُ في
ارتكاب جريمة الانتحار هذه؟ إنى أصير على هذه الكلمة
انتحار . ألا يفزعك هذا ؟ وتوافقين في هدوء
على أن في استطاعتي الزواج من هذا المحتضر ...
الذى لا أشعر نحوه إلا بقليل من الشفقة ، وربما
بشيء من الاحتقار أيضا ؟

آلين : أنت تؤلفين أشياء ، في هذه اللحظة .

ميريسى : كيف أولف أنا ؟

آلين : ليس لى أن أوافق أولا أوافق . إنك لم تطلبي رأى .
وفضلا عن ذلك ، من الواضح أشد الواضوح
أننى لا أريد أن أوثر عليك بأى ثمن .

- ميرى : (بصوت مكتوم) هذا شىء مفروغ منه .
- آلى : كان في استطاعتي على أكثر تقدير ، محاولة افهامك نفسك .
- ميرى : (بصوت أكثر ارتفاعا) شكرا ...
- آلى : ومن الممكن أن تخطئى لم إلى حد ما في التعبير عن عواطفك الشخصية حين قلت إنك لا تشعرين نحو أندريه . . .
- ميرى : إذن ، فانت تزعمين أنك تعرفينى خيرا مما أعرف نفسى ؟ ...
- آلى : جائز .
- ميرى : (بحرارة) آه ! لو كان والداى مازالا في هذا العالم ، لما سمحا بشىء من هذا ، ولدافعا عنى ضد نفسى .
- آلى : ضد نفسك ، هذا إذن ...
- ميرى : لا هتما مها بسعادتى ، هما الاثنى ! هيه !
- آلى : (متألّة) ميرى !
- ميرى : عفوا ، ولكنك أنت ، أنت إنسانة السعادة بالنسبة - إليها .. هذا شىء لا أهمية له . أوه ! أعتقد أنى لن أستطيع بعد أن أذوق لها طعما إلى الأبد . ولكن ، ليتنى كنت مخطئة ، أتفهمين ، ليتنى كنت مخطئة !

(صمت)

آلين : ثمة شيء مؤكد ، لو أن هذا الزواج .. (حركة من ميري .) يقع منك موقع الانتحار ، فلا ينبغي التعرض له على الإطلاق .

ميري : وكيف تريدني أن أعرف ؟

آلين : حين رأيت أنك أوقفت فكرك — وإن لم يكن ذلك غير لحظة واحدة — عند هذه الفكرة قلت لنفسى ، ربما كانت الحقيقة تكمن هنا في واقع الأمر •

ميري : أنت تدبرين للآخرين ، وتفكرين مكانهم .

آلين : كان يخيّل إلى أنه بالنسبة لنفسى . كنفسك ، نفسى أنضجتها الألم ...

ميري : أنسمين ذلك نضجا ؟

آلين : إن السعادة لا يمكن أن تكون سوى اسم آخر لـ . نعم فلنقل للتضحية ... (صمت) ربما كنتُ غطئة ... (بصوت خافت) أنت شابة ...

ميري : هذا الاحساس عندى أنا أيضا ... كل ما في الأمر أننى أريد أن أكون متأكدة من انه أكثر .. لست أدري ، أنا ، من مجرد أمينة .

آلين : تشكّين في نفسك . . . الحياة هي العطاء ، وأنت تعلمين ذلك جيدا .

ميرى : أنا جديرة بتوكيد ذلك ؟ . . . أجل ، يخطر هذا على بالي أحيانا ، ولكن ، لو أن ذلك لم يكن سوى ضرب من الحماس الكاذب لا يلبث أن يزول ، ثم . . . أمين حقى ذلك ؟ . . . (في رعشة) ربما لو لم أكن أعرف إلا . . . قد يكون الأمر قصيرا . . . هذه الفكرة ربما لم تكن لتخطر لى . ولكن ، فكّرى إذن في هذه الخيانة . الاستغناء عن حل الأزمة . . . من يدري ؟ أن ينفد صبرى لو تأخر ، ياللبشاعة !

آلين : (تضمها إلى صدرها) ولكن هذه كلها أشباح ، هذه الأفكار التى تراودك . . . وستبدّدُها الحياة .

ميرى : الحياة ! . . . لو كنت متأكدة — على الأقل — من أن هذه الفكرة هي حقا جزء من نفسى ، أجل ، . . . وأنى في النهاية جديرة بها ، . . .

آلين : (بصوت هامس) لم أكن أعرف أنك على هذه الدرجة من العمق . . .

(تبتعد عنها ميرى فجأة)

ميرى : لعلها عدوى .

(صمت)

المنظر التاسع

نفس الأشخاص ، أوكتاف

أوكتاف : (داخلا) آندريه يشعر بتحسن ، وهو يريد الانصراف . ولكن لا أدري من الفطنة أن أتركه يعود سائرا على قدميه . . . هل السيارة موجودة ؟

آلين : أنت تعرف جيدا أن إيفون قد أخذتها للذهاب إلى فيلينيوف .

ميرى : وفضلا عن ذلك ، فعندى كلمة أريد أن أقولها لآندريه ، قبل أن يذهب

(تخرج)

أوكتاف : ما هذا كله ؟ . . . أطلب بتفسير . ماذا جرى بينكما؟ أمن قبيل المصادفة ؟ يا للشيطان ، إن لها من الصحة النفسية ومن الحس السليم ما يفوق الخد . . . يا آلين !

آلين : ليس من حق أن أجيبك ، فليس هذا سرى أنا .

أوكتاف : ها أنذا مُثَبَّت في مكانى ، ولكننى لن أسمع بهذا ،

آه ! كلا ، على كل حال .

(يهم بالخروج)

آلين : (في هدوء تام) احذر .

أوكتاف : ما معنى هذا !

آلين : لا يبدو أن لديك أقل فكرة كم تغار ميرني على استقلالها .

أوكتاف : وبعد ؟

آلين : من الممكن أن تكفي كلمة طائشة تصدر عنك للتعجيل بالحدث الذي تخشاه .

أوكتاف : ألم تعتقد عزمها بعد ؟

آلين : لست أدري شيئاً .

أوكتاف : هذه مناورة لمنى من الحديث إليها .

آلين : مناورة ! .. ولكن ، من تظنني في النهاية ؟

أوكتاف : لن أتركك تفعلين ذلك .

آلين : وهكذا ، تدعى ؟ . . .

أوكتاف : لقد استعبدتها . . أجل ، استأنستها .

آلين : آه لو سمعتك !

أوكتاف : إنها تحس بذلك إحساسا غامضا . . وسأتكفل بتنويرها .
آلين : أشك في أنها ستعترف بجميلك عن هذه التنويرات
فضلا عن . . أن هذا زائف . فما من شخص يحترم
حرية الآخرين أكثر منى .

أوكتاف : هذه ، الثالثة الأثافي ! . . كلا ، ولكن أتقولين ذلك
على محمل الجحد ؟

آلين : أتعرف أنك تصرخ ؟

أوكتاف : سيان عندي ... إذا اعتقدت أنى لا أرى لعبتك
بوضوح .

آلين : أوكتاف !

أوكتاف : هذا الحجر المعنوى لمصلحة ...

آلين : حذار !

أوكتاف : لمصلحة طفل مسكين لم يعد موجودا للحيلولة دونه ،
ولاستنكار ما تفعلين !

آلين : كفى !

أوكتاف : هذا النوع من الكلاّبة التى تضغطين فيها على تلك
الصغيرة التعسة ... هذا الاستبداد الذى يختفى تحت
مظاهر الحنان ... ماما .. إنها تدعوك ماما !

آلين : كفاك ، يا أوكتاف !

أوكتاف : ثم ماذا ... أوه ! هذا أسوأ من كل شيء .. هذا الباب الذي تواربينه ، لأن الأمر يتعلق بشخص مشرف على الموت !

آلين : أيها البائس !

أوكتاف : (بقوة) لأن الأمر يتعلق بمحتضر ... أخذت ألاحظك منذ لحظة ، وأنت مع مارت . أنت التي لم تستطعي أن تشعرى بها قط ... تلك الشفقة التي خدعت بها ... هذا التهالك على الشقاء والموت . . (بصوت مكتوم) هذا ، إنه لفظيع ، لو لم تجدى شخصا سيئ الحظ ، محتضرا تضعينه في طريق ميرني ، لَمَا سَمَحْتَ لها بأن تصنع حياتها من جديد .

آلين : هذا باطل ، لقد قلتُ لها ذلك عشرين مرة ...

أوكتاف : ليست الأقوال هي التي يُعْتَد بها ، وأنت تعلمين ذلك جيدا .

آلين : لقد وعدتها ...

أوكتاف : بتسامحك ؟ مامن وسيلة أضمن لتقييدها من ذلك . كان ينبغي المطالبة بأن تزوج فتى سليما ، قويا ..

إنها خُلِقَتْ لتعيش ، لتحب . .

آلين : وهكذا ، ريمون ...

أوكتاف : كلا ، كلا لا تقولى إن هذا من أجل ابنك ،
إنه من أجلك أنت ، انه على سبيل ... لا وجود لكلمة
يمكن أن تصف هذا ، لا وجود لكلمة . قمت
باستغلال حزنها ، وهواجسها ، وإعجابها بك ...
استخدمتها جميعا لاحكام تقييدها والآن عندما
راودها الوهم بالافلات ، ها أنت أيضا . . .

آلين : أنت فصيح ، ولسوء الحظ ، لديك من الأسباب
ما يدفعك إلى النسيان ، ولأن تريد أن ينسى كل من
حولك . أما أنا ، فأتذكر كل شيء ، هذه هي جريمتي
الكبرى ، ومن الطبيعى أن تمقتنى ، إنك تمقتنى في هذه
اللحظة ، يا أوكتاف

والا لما الصقت بى هذه الصفة أنا ، خائنة !

أوكتاف : ربما لم يكن هذا من الحياة ، ربما كنت لا تدريين أنت
نفسك ...

آلين : (في نوع من الاحتقار) كلا ، اذهب ، الأمر
لا يستحق هذا العناء ، انى أعفيك ... لم تبق إلا كلمة
أريد أن أقولها .. ميرنى . . الظماً إلى التضحية ،

إلى المطلق ، ذلك الظماً الذى يستولى عليها ، إنسان
مثلك لا يستطيع حتى أن يفطن إلى وجوده .

أوكتاف : ميرى ؟ إنها تحب « شانتاي » ، هذه هى الحقيقة «
آلين : هذا خطأ .

أوكتاف : إني أوكد لك أنا .

آلين : لو كان ذلك حقاً ، فلتخبرنى به فى وجهى «

أوكتاف : لن تحصلى منها إلا على الأجوبة التى تمنينها ، إني
أكرر عليك ، لقد استعبدتها .

آلين : ليس هذا ممكناً .

أوكتاف : فكرها الحقيقى ، لن تعرفه أبداً ، هذه هى عقوبة
المستبدين . بل ، إنها هى نفسها ستكف عن معرفة
هذا الفكر حالما تكون معك تكون معك ... والآن
، أصغى إلى ، ما دامت الأمور قد وصلت إلى
هذا الحد ... حسن ، لم يعد لى سوى دور ينبغى أن
أقوم به . هذا المساء ، سأكون قد غادرت فرانكليو ،
لكيلا أعود إليها أبداً .

(نراه وقد رفع يده فجأة إلى صدره . يمكث لحظة
بلا حراك ، وعلى وجهه تعبير عن الألم . يبدو
وكأنه ينتظر كلمة ولكنها لا تأتى ، ثم يخرج مهرولا)

المنظر العاشر

آلين ، ثم ميرى

(تبقى آلين في بداية الأمر صامته دون حراك ، ولكن من الواضح أنها تناضل الكلمات التي لا فوّه بها أوكتاف لتوّه . تغمغم وقد استولى عليها ضرب من الدهشة الحانقة .

آلين : أنا يصمى بالحياة ليس هذا حقاً ، ليس هذا حقاً (ومع ذلك يشتد قلقها ، فتهاوى أخيراً على ركبتيها يائسة . وفي هذه اللحظة تدخل ميرى ، وهى شديدة الشحوب ، وتقول بصوت هامس

ميرى : كان ينبغي أن أقول له إنى أحببته ...

« سستار »

الفصل الثالث

(بعد عام . في بيت آندريه وميرى . صالون حسن
الاضاءة يفتح بواسطة نافذتين على شرفة . يوم من
أيام نوفمبر . والساعة الرابعة .)

المنظر الاول

ميرى ، أوكتاف

(ميرى جالسة على مقعد وثير ، تشتغل التريكو ،
يجلس على اليمين أوكتاف الذي لم يخلع معطفه بعد ،
ويعمسك بيده لفافة .)

ميرى : ولكن ينبغي أن تخلع معطفك ، اذ أخشى أن تُصاب
بالبرد عند خروجك .

أوكتاف : شكرا ، لن أمكث غير لحظة واحدة .

خادمة : (داخلة) هل دقت سيدتى البحرى ؟

ميرى : آنا ، ينبغي أن تعدى مدفأة القدمين للسيد . فانا متأكدة
من أنه سيعود بقدمين مثلجتين . وتستطيعين أن تغلقى
مصاريع النوافذ البرانية (الشيش) فقد هبط الليل تقريبا .

الخدّامة : سمعا وطاعة يا سيدي .

(تخرج)

أوكتاف : ما هذا التريكو الذي تشتغلينه بهذا الحماس ؟

ميري : جوارب للأطفال الذين تحت رعايتي .

أوكتاف : (بلهجة عدائية) آه ! أجل ، تحت رعايتك .

ميري : الواقع أننا ننظم حفلا للبيع في الشهر القادم ، وأنا
أعتمد على كرمك .

أوكتاف : تعلمين أنني لا أقدر أبدا أعمال البر والاحسان التي
تقوم بها الشابات . إنها فضيلة العجائز . ان المترّمات ،
وراهبات الاحسان اللواتي تلتقي بهن في تلك المؤسسة ..

ميري : (في رزاة) اني أحب الراهبات حبا جمّا .

أوكتاف : تبا هن ! عندما يرى المرء الحياة التي ساقطت إلى هنا .

ميري : أثراك حريصا على أن تجعلني أنالم ؟

أوكتاف : إطلاقا .

ميري : على كل حال ، ربما لم يكن ذلك يسيرا جدا عليك .
في الماضي ، أتذكّر؟ ، كنتُ نفورا ، وكنستُ
أثار بسهولة . والآن ، لم يعد هذا يحدث لي إطلاقا .

أوكتاف : الحمد لله .

ميرى : هذه علامة على أنى وجدتُ طريقى .

أوكتاف : (بلهجة متباعدة) نعم ، نعم ...

ميرى : السلام الجوانى .

أوكتاف : يا صغيرتى ، إنى أحمل إليك الكتاب ... لقد صدر صباح اليوم .

ميرى : (بانفعال) آه ! كتابنا ! ...

أوكتاف : أوه ! كلا ، ينبغي ألا تقولى بعدُ كتابنا . كان ذلك جميلا فى حينه . (ميرى تهتم بفض اللقافة .) كلا ، كلا ، اطلعى عليه فيما بعد ، كل ما أطلبه منك هو ألا تطلعيه عليه .

ميرى : أتقصد أنسدريه ؟

أوكتاف : أجل فهذا لا يعنيه فى شىء . أولا ، لأنه لم يكن موجودا هناك ، ولهذا لا يمكن أن يهمله هذا الأمر . ثم ، إنه قد يبدى ملاحظات ... وأخيرا ، أنا لا أدرى شيئا . اتفقنا ، أليس كذلك ؟

ميرى : كما تشاء . ومع ذلك ...

أوكتاف : انى حريص على ذلك . اذن ، هاهوذا ، والآن أستطيع أن استعد للرحيل دون نية سيئة .

ميري : أبي !

أوكتاف : آه ! كلا ! لا ينبغي أن تخلعي علىّ بعدُ هذا الاسم .
هي ، أما زلتِ تنادينها بما ؟ الحقيقة ، إن هذا لم
يعد يعني .

ميري : لا أستطيع احتمال الشعور بانك يائس .. إلى هذا الحد .

أوكتاف : لا داعي لاستخدام الكلمات الضخمة ، أرجوك .
لماذا تريدان أن أظل على تمسكي بالحياة ؟

ميري : (متلعثمة) إيفون ... (يهز أوكتاف كتفه .)
الصغير ...

أوكتاف : جاكو . أجل ، في الايام الأولى ، حاولت ، ،
واعتقدت ... ولكنه لا يشبه ابنتا .. لا يشبه ابني .

انه سيبيع سيارات كأبيه ، وسترين . كان ينبغي
اتخاذ عادات جديدة . كل ما في الأمر ، أن المسألة
صعبة ، كما تعرفين ، في سني . لا يمكن أن يتخيل
المرء كم هو صعب . نخذي مثلا ، القراءة . لا مجرد
كتيب من حين إلى آخر ، بل القراءة طيلة أيام ...

ميري : (في رفق) هذا يرهق العينين .

أوكتاف : بعد بضع دقائق ، ألاحظ أنني لست متبها .
هذا مضحك جدا ... ربما لو كان لديك ابن ،

أنت ربما جعلني ذلك .. ؟ تصوري أنني منذ ستة
أسابيع ، تخيلت أن ثمة شيئاً في الطريق . (حركة من
ميري) لست أدري بالضبط لِمَ تَوَارَدَ عليّ هذا
الخطر . (صمت) وهو ، كيف حاله ؟

ميري : (فسي مرح مصطنع إلى حد ما) في المرة الأخيرة
التي تحدثت فيها إلى طبيبه ، كان مشجعاً بشكل
قاطع . وقال إنه بشيء من الحيلة والحذر يمكن أن
نأمل في الكثير . وفضلاً عن ذلك ، يبدو عليّ
آندريه التحسن منذ مدة .

أوكتاف : آه !

ميري : وكان من الممكن أن تلاحظ ذلك ، دون هذا الموقف
المسبق .

أوكتاف : ليس عندي أدنى موقف مسبق .

ميري : (متهيجة) أنت تريد عليّ نحو مطلق ، أن يسير كل
شيء هنا إلى الأسوأ ، لأنك تحلم من أجل بسعادة
مستحيلة لا أدري لها كنها ، أجل ، أجل ،
مستحيلة ، أنت لا تستطيع أن ترضخ لفكرة أنني
قد وجدت ما أرضيني به روي .

أوكتاف : دائماً روحك !.....

ميرى : ومع ذلك ، فهذه هى الحقيقة . أنا موجودة ،
طالما هناك آخر يحتاج إلى . انى أتذكر عبارة استرعت
نظري فى هذه الأيام الأخيرة .. لا أدري فى أى
كتاب : « لا تبلغ الحياة الحقّة إلا إذا سمونا فوق
أنفُسنا . » هذه الجملة ، ألا تشعر بما فيها من جمال ،
ومن حق ؟

أوكتاف : (فى جفاء) أنا لا أحب الاستشهادات .

المنظر الثانى

نفس الأشخاص ، آنديرى

(الذى يدخل لاهثا إلى حذما ، وممسكا بيده برقية)

ميرى : (فى شىء من العتاب) لِمَ لَمْ تأخذ المصعد !

آنديرى : صباح الخير ، يا خالى أوكتاف

وكتاف : (فى برود) صباح الخير .

ميرى : ما هذه البرقية ؟

آنديرى : (يناولها إياها) لقد سلموها لى الآن . (ينخفض صوته

قليلا .) إنها من الخالة آلين .

أوكتاف : (مرهقا سمعه) ماذا ؟

آندریه : (مرتبکا ، وبصوت أكثر ارتفاعا) إنها من .. الخالة آلين .

أوكتاف : (في برود) أهي عادت ؟

آندریه : منذ هذا الصباح .

أوكتاف : وهل هي على مايرام ؟

ميرى : (بلهجة مترفعة) هذا ما نفترضه .

آندریه : ستأتى للغداء .

أوكتاف : (ناهضا) أما أنا ، فسأرحل .

آندریه : (في خجل) أصغ إلى ، ياعماء ...

أوكتاف : ماذا هناك ؟

آندریه : من المؤلم لنا غاية الألم ...

ميرى : آندریه ، انتبه ...

آندریه : ان نسمع بان بين الخالة آلين وبينك ...

أوكتاف : ماذا ؟

آندریه : يوجد هذا ... يوجد سوء تفاهم .

أوكتاف : لا وجود لأى سوء تفاهم . لم يوجد قط سوء تفاهم

آندریه : ألا تعتقد أنه بالارادة الطيبة من هذا الجانب وذلك ؟ ..

أوكتاف : حقاً !

آندريه : الرغبة المخلصة في التفاهم . . .

أوكتاف : ولكن كيف إذن !

آندريه : في سنك ، يكون من البشاعة

أوكتاف : (منفجراً) اهتم بشئونك ، أليس كذلك ؟

آندريه : إذا استطعنا أن نُسهم . . . ميرني ، أَلستُ على صواب

ميرني : (بصوت لا تعبير فيه) بلا شك .

أوكتاف : إلى اللقاء .

ميرني : متى تعود ؟

أوكتاف : سأمرُّ ، في يوم من الأيام . . آه ! ولكن كلا

الواقع ، أنها الآن بعد أن عادت . . .

ميرني : ابْعَثِ إلينا رسالة ، إشارة تليفونية . . .

أوكتاف : هيه ! التليفون وأنا . . . على كل حال ، سنرى .

ولكن ، كل ما في الأمر ، يا آندريه ، لا كلمة عن

هذا الموضوع . والمسألة في غاية البساطة . عند أول

تلميح ، سأرحل ، وإلى الأبد .

آندريه : يا خالي ، يالك من عنيد !

ميرى : آندريه ا
أوكتاف : (متمالكا نفسه بصعوبة) إلى اللقاء .
(يخرج)

المنظر الثالث

ميرى ، آندريه

آندريه : إني مندهش من أنك لم تساندينى .
ميرى : (دون أن ترد عليه) قلتُ لهم أن يجهزو لك مقعدا (١)
دافئا . لا بد دائما من تكرار كل ما أقول .
آندريه : المسألة لا تستحق كل هذا العناء . لماذا لم تجيى
على ؟
ميرى : إذا أردت أن أقول لك كل ما جال بخاطرى ، فانى
لا أرى أنك كنت شديد اللباقة .
آندريه : وهل كانت المسألة مسألة لباقة
ميرى : ليس علينا أن نقوم بينهما بدور المحكمين ...
آندريه : ومن الذى تحدث عن هذا ؟
ميرى : ولا حتى أن نتدخل بأية صورة من الصور .

(١) المقدم : خشبة توضع عليها القدم عند الجلوس ، وهى ترجمة كلمة Talouret

آندريه : أمّا أنا فلي رأى آخر . حين أفكر في الوحدة التي
تعانيها الحالة آلين ... على كل حال ، ضعى
نفسك مكانها .

ميرى : هذا شيء في غاية الصعوبة . (صمت) أنا سعيدة
لأننا سنتعم بلحظة هدوء صغيرة قبل وصولها .

آندريه : أتريدين أن أطالع لك ؟

ميرى : كلا ، كلا ... اجلس بجوارى فحسب ، واضعاً
يديك بين يديّ .

آندريه : شاهدت في شارع فيكتور هوجو بيانو من طراز جافو
معروضا للبيع بثمن معقول . . ألا تحبين الذهاب
لتجربته ؟

ميرى : (في حنان) شكر ا ، يا عزيزى . أنت تعرف ما
قلتُه لك ... الموسيقى لا تنقضى .

(صمت)

آندريه : ألسيتِ حزينة ؟

ميرى : (بلا حماس) كلا .

آندريه : كنت أخشى دائماً أن تحقدى علىّ لما حدث .

ميرى : هذا شيء صبيانى .

- آندريه : هل أخبرت العم أوكتاف ؟
- ميري : كلا .
- آندريه : (بحرارة) هذا أفضل . أنا لا أحرص على أن يعرف
مالا يسير على ما يرام .
- ميري : وأنا مثلك .
- آندريه : والحالة آلين ؟
- ميري : ماذا ؟
- آندريه : ألم تشركيها في خيبة أملنا ؟
- ميري : ولكنها لم تكن تعرف أن لدينا اسبابا للأمل .
- آندريه : (بصوت خفيض) أنا ، كتبتُ إليها !
- ميري : دون علمي ؟
- آندريه : لماذا كل هذا الاستمرار حول شيء بهذه البساطة وهذا
الجمال ؟ أنا أعرف ما سيبعثه من سرور في نفسها . .
ولا أجد من نفسى الشجاعة بعد لا خبارها ...
يبدو كأنها ترصد كل ما يمكن أن يحدث لنا من أمور
سعيدة .
- ميري : إنه حق تماما ، هذا الذى تقوله . ولكننى لا أحب
كثيرا — على وجه التحديد أن يتخذوا هذا الموقف .

أندريه : (عاتبا) تقولين « يتخذوا » عند الحديث عن الحالة آلين ؟

ميري : عجبا ، إنك لمضحك .

آندريه : (بمرارة) هذا عجيب ، أحيانا ، يكون عندي الانطباع بأن مشاعرك نحوها ليست كما كانت في الماضي تماما .

ميري : هذا قول ينقصه الدقة ، ولكن ، إذا حدث على سبيل المصادفة أن ...

آندريه : سيكون هذا مصدر حزن عظيم لي .

ميري : وما تأثير هذا عليك ؟

أندريه : رأيت ، أنت لم تعودى تُنكرينه . . بين الحالة آلين وبينى ، ثمة شيء كالرابطة .

ميري : (في عمق) هذا صحيح في جوهره .

آندريه : آه ... بالطريقة التي قلت بها ذلك !

ميري : ولكن ، أتعرف أنك تفزعنى ؟

آندريه : الحالة آلين — في حياتنا — شيء مهم !

ميري : أوه ! أنا أعرف ذلك جيدا .

آندريه : قد يبدو لك هذا غريبا ، ولكنني أذهب إلى القول بأنها شخص أهم من أمي .

ميري : (تنهد) من الجائز أنك على صواب .

آندريه : أولا ، إنها في حاجة شديدة إلينا ... لا شيء في حياتها سوانا .

ميري : يمكن أن يقال مثل هذا القول أيضا عن زوجها .

آندريه : كلا ، أولا ، لأنه أقل حساسية بكثير . وهو يفتقر إلى الرقة ... ألا ترين ذلك ؟ ... أنا الذي اعتقدت أنك ستكونين في غاية من السرور لرويتها مرة أخرى ..

ميري : ولكن ، أنا مسرورة ، كل ما في الأمر ..

آندريه : ماذا ؟

ميري : كأني أشعر بقليل من الخوف . لا يعرف المرء أبدا ما تحمله الحالة آلين ، معها بالضبط .

آندريه : لم أعرف شخصا أكثر منها وفاء .

ميري : حين تكون حاضرة ، أو منذ أن يشعر المرء أنها قريبة منه ، لا يعود كما كان ... وكأنما يرى كل شيء في ضوء آخر .

آندريه : (في قلق) ماذا تقصدين ؟

ميرى : هذا شيء لا أهمية له .

آندريه : أنا — كما لعلك تفهمين — أحب أن أكون لها ...
شيئا كابنها الذى فقدته . أليس كذلك ؟ لقد
شعرت شعورا قويا بأنها تبتنى . وأنت ؟

ميرى : (بسخرية خفية) أجل ، أجل : أنا مثلك ، لقد
احسست فورا بهذا الانطباع .

(طرقات على الباب)

آندريه : ما هذا ؟ (يذهب ليفتح الباب .) كيف ، أهذا
أنت ، يا خالى آلين ؟
لم نسمعك تدقن الجرس .

المنظر الرابع

نفس الأشخاص ، آلين

آلين : يا طِفْلَى !

(تعانقهما .)

ميرى : (في لهجة آلية) ماما !

آلين : يبدو لي أن الوقت الذى فات منذ أن التقينا كان طويلا
جدا .

- آندريه : ولنا نحن أيضا . !
- آلين : أولا ، أى صحة تلك الذى تبدو عليك ؟ (إلى آندريه)
يكاد المرء يقول إنك أقل نحاقة مما كنت منذ ثلاثة
شهور ؟
- آندريه : إن صحتي على ما يرام تماما .
- آلين : (في اندفاع) ما أشد غبطيني !
(حركة من ميرى)
- ميرى : هم ! على ما يرام تماما ! لا تبالغ في شيء ومع ذلك ،
فإن صحته أحسن من الشهر الماضى .
- آلين : وأنت ، يا عزيزتى ؟ (تفحصها بعناية .) أنت لم . . .
- ميرى : يبدو أن آندريه قد كتب إليك ؟ . . .
- آلين : (في انفعال مفرط) أترآها كانت غلطة ؟
- آندريه : (وكأنما في شيء من الابتئاس) منينا بخيبة أمل .
- آلين : أهو حادث ؟
- ميرى : هذه كلمة كبيرة جدا .
- آلين : (بصوت يخنقه الانفعال) ماذا جرى ؟
- ميرى : (بعصية متزايدة) لا ينبغي أن يؤخذ هذا الأمر
مأخذاً مأساوياً .

آندريه : ذهبنا للعشاء عند أولاد عم يقطنون شارع «لا سومسيون

آلين : (في لهجة استنكار) تخرجان في المساء !

ميري : وعند عودتنا ، اشتكى آندريه من أنه متعب قليلا ،
وفي ذلك الحى يصعب على المرء أن يجد سيارات في
المساء . ومرت سيارة أجرة خالية ، فعدوت قليلا
لكى ألحق بها .

آندريه : حاولت أن أمنعها من الجرى .

آلين : كان الخطأ في الذهاب إلى هناك .

ميري : وليس في الامكان أن نرهب أيضا . . . ومن جهة
أخرى . لا أحب أن يخرج آندريه بدونى ، إذ لا أشعر
بالاطمئنان حين يكون بعيدا . ففي أحد الأيام ، كاد
يقع مغشيا عليه . . . ولم يكن هو الذى قصّ على ذلك

آلين : أنا يائسة . . . (إلى آندريه) حين تلقيت خطابك ،
أحسست بابتهاج ليتك تعرف مقداره !

آندريه : طبعاً !

ميري : كل هذا يثبت أنه لا ينبغى التصريح بمثل هذه الأخبار
قبل أوانها كثيرا .

آلين : وكنت قد كوّنت كثيرا من المشروعات فعلا !

- ميرى : هذا شيء يفتقر دائماً إلى الحيلة .
- آندريه : وبعد كل شيء ، إذا مضت بضعة أشهر من الآن . . .
- آلين : فلنأمل . . . ولكن ، أتوسل إليك يا عزيزتى ، أن تكونى عاقلة .
- آندريه : إنها تريد أن تعود غدا إلى جمعيتها الخيرية ، وهذا مبكر قليلا .
- آلين : أنت مشغولة بجمعية خيرية ؟
- ميرى : ينبغي أن أملأ حياتى قليلا .
- آندريه : لاشك أن خالتى آلين ترى مثلى . . .
- ميرى : (يحفأ) ماذا تريد ؟ إنى آسفة .
- (صمت)
- آلين : تعلمان أننى لم أر شيئا بعد فى شقتكما .
- ميرى : إننا لم نسقر بعد .
- آندريه : سترين مع ذلك أنها لاثقة جدا .
- آلين : لم أكن أتصور حجرة الجلوس بهذه الرحابة . ومن الحق أنكم حين تحصيلان على بيانو . . .
- ميرى : لن يكون لنا .

- آلين : لماذا ؟
- ميرى : آندريه لا يحب الموسيقى . وأنا - فضلا عن ذلك ،
قد علاني من الصدا ...
- آلين : يبدو لي من الخسارة أن تهجرى ...
- ميرى : (في مرارة) خسارة ! لمن ؟ أعزف لنفسى وحدها .
وفضلا عن ذلك ، متى أجد الوقت للدراسة ؟
- آلين : ها أنت تجددين الوسيلة للذهاب إلى جمعية خيرية .
- ميرى : (في حيوية) هذا شيء مختلف ، فهناك ، أكون نافعة .
- آلين : (إلى آندريه) في الواقع ، أنا أفهمها قليلا .
- آندريه : أجل ، إن هذا من رأيك . (حركة من ميرى) ترى
الحالة (مخاطبا ميرى) آلين انه من الطبيعى
جدا أن يكرس المرء نفسه لأمر ما . وأنا أتذكر
أن ريمون كان يقول أحيانا : « هذا عجيب ، إن أمى
إنسانة تحب التعساء » وأضاف : « أما أنا ، فانهم
يثيرون خوفا . »

(ضمت)

- ميرى : (متمالكة نفسها) وما الأنباء التى تحملينها إلينا من
هناك ؟

آلين : لا أرى شيئاً مثيراً يستحق أن أقصسه عليكمما .

آندريه : أكلهم على ما يرام ، عند آل موريل ؟

آلين : على ما أظن . قلت لك إن علاقتنا انقطعت .

آندريه : وذلك الولد الذى كنت أراه مزعجا إلى أبعد حد ؟

آلين : (مرتبكة) لا أدري إلى من تشير .

آندريه : شانتاي . إلام صار أمره ؟

آلين : (مذهولة) ولكن ...

آندريه : ماذا ؟

آلين : أنا ...

آندريه : أحدث له شيء ؟

آلين : أنتما لا تقرأن الصحف إذن ؟

ميرى : وهل تهتم به الصحف ؟

آلين : (بصوت شديد الخفوت) حادث سيارة .

آندريه : كيف ؟

آلين : وقع له حادث سيارة .

- آندريه : ثم ماذا ؟ (حركة من آلين) هل مات ؟
- آلين : أجل .
- آندريه : يا للفتى المسكين ! (يلتفت صوب ميرى التى لم يتحرك وجهها .) أسمعين ؟
- ميرى : إنه لشئ محزن .
- آندريه : لابد أنه كان يقود سيارته كالمجنون .
- ميرى : (على الرغم منها) من أدراك ؟
- آندريه : كانت تبدو عليه هيئة المغامر .
- آلين : (متحفظة) لا أعتقد أنه هو الذى كان يتولى القيادة .
- آندريه : أكان هناك ضحايا آخرون ؟
- آلين : وهى جُرِحت جرحا خطيرا .
- آندريه : هى ؟
- آلين : الانسانة .. التى كانت معه .
- آندريه : آه ، عشيقته .

(صمت)

ميرى : (مسيطرة على نفسها) ولم تحدثينى بشئ عنك ، عن

مشروعاتك ؟ (تمرر يديها على جبينها .) إن لدى
دائما صداعا غامضا ، هذه الأيام الأخيرة .

آندرية : أتريدين قرصا ؟

ميري : كلا ، شكرا .

آندرية : (الى آلين) ذهبت لمشاهدة الشقة الصغيرة في شارع
أودينو .

آلين : لن آخذها .

آندرية : أحسن ، فقد بدت لي كئيبة .

آلين : سأبحث عن بنسيون عائلي .

آندرية : هم ! أنت التي تمقتين الضجة ، حركة الغدو
والرواح . . .

آلين : لن أنزل إلا لتناول الوجبات .

آندرية : يالها من حياة !

ميري : كثير من الأشخاص خلّقوا مثلها .

آندرية : وفي الانتظار ؟

آلين : لوتيسيا .

آندرية : (في حماس) آه كلا ، فهذا — مثلا — مالن نقبله .

هنا حجرة لانفيد منها . . كلا ، كلا ، لا تحتجى .
لا تفيد منها . . كلا كلا ، لا تحتجى . سأقول لهم أن
يضعوا المناشف ، والملايات ، وسيذهبون لاحضار
حقائبك من لوتيسيا .

(يخرج)

المنظر الخامس

ميرى ، آلىن

آلىن : (الى آندريه الذى يخرج) عجباً لا أندريه ، عجباً ،
ولكن هذا مضحك . (يغلق الباب مرة أخرى .)
ميرى ، عزيزتى ، اخبرينى عن هذه الحادثة التى
وقعت لك . . . هذا جد فظيع ، لا استطيع احتمال
فكرة أنك كدت ... وهو ، كيف حاله ؟ إنه شديد
الشحوب .

ميرى : على شرط أن يتصرف بحكمة ...

آلىن : أجل ، أجل ، يا إلهى ، على شرط ...

(تتوقف)

ميرى : (فى سخرية قائمة) أن يتسع لنا الوقت ليكون لدينا
آخر

(صمت . تنظر إليها ميري وعلى وجهها تعبير عن
البغض ، آلين لا تلاحظه .)

آلين : عندما قرعت الجرس منذ لحظة ، لا يخطر على بالك
مدى القلق . .

ميري : بلى ، بلى ، إني أعرف . .

آلين : يساورني الخوف أحيانا من ألا تكوني سعيدة ...

ميري : (في جفاء) آندريه طيب جدا ... وهو يحبني حبا
مفعما بالحنان . وأنا أحيا الحياة التي اخترتها ... (في
عنف مباغت .) التي اخترتها أنا .

آلين : (على الرغم منها) أنت واثقة من ذلك كل الثقة ؟

ميري : لا أسمع لك بالشك في ذلك .

آلين : (وكأنها تلقت ضربة) يامغيث !

ميري : (بصوت أخذ البكاء يغطي عليه شيئا فشيئا إذا كنتُ

قد قررتُ أن أتزوج من آندريه ، فذلك لأنني

أعرف أنني لن أجسد عند غيره سوى خيبة

الأمل . . سوى المرارة ، ولم تكن عندي لا القوة ،

ولا الرغبة ، أسمعين ، ولا الرغبة للبحث عن ضروب

معينة من .. الاشباع . وكان ما ينقصني هو راحة

البال ، وسكينة القاب . وقد أنت ... وإني لا ...
(تنخرط في البكاء)

آلين : ولكنك تبكين ! أنت تبكين ! إنك تكذبين على نفسك . (حركة من ميري) يا صغيرتي ! إذن ،
، فهذا حق ! إنها غلطتي ! وهذا التعس
« شانتاي » ، كان يمكن ...

ميري : (في نوع من الهياج) ولكن ماذا تحاولين دفعي إلى قوله ؟ إن ضروب ندمك تصنع من الشر بقدر ما يصنعه استبدادك ! آه ! إني أمقتك !

المنظر السادس

نفس الأشخاص ، أندريه

آندريه : هاهي ذى الأوامر قد أعطيت . وبعد ، ماذا حدث ؟

آلين : هذا بمناسبة ما أصابكم من خيبة أمل .

آندريه : (في قلق متزايد) ولكن المسألة على كل حال ليست
نكبة حقيقية

آلين : بالطبع .

آندريه : إنها ليست كما لو كنا فقدنا طفلاً . ثم إن الحياة مازالت
كلها أمامنا .

آلين : (بانطلاق مصطنع) أبجل . بكل تأكيد ، الحياة كلها ! (ينظر إليها أندريه ، فتبلس منه بحركة تراجع .) يا عزيزتي ، ألا تعتقدين ذلك ؟ ..

ميري : كلا ، كلا ، كفانا أقوالاً .. تكونان لطيفين جداً لو تركتماني . فلم أعد أستطيع ، لم أعد أستطيع ! .. (تجلس على مقربة من المدفأة ، وتستغرق في تأمل السنة الذهب . جوار صامت بين أندريه وآلين ، تخرج هذه الأخيرة في رفق بعد أن تشير إلى أندريه بالبقاء)

المنظر السابع

آندريه ، ميري :

آندريه : (مخاطباً نفسه في قلق) الحياة كلها ! (صمت .. يقترب من ميري ، يركع إلى جوارها ، ويسدد إليها بصره .)

ميري : طلبتُ أن تبركاني وحدي ..

آندريه : ثمة شيء لا أفهمه . أنت لاتتحدثين كالمعتاد .

ميري : لقد حذرتُك .

آندريه : ليست هذه غلطة الحالة آلين . إنها لم تتغير .

ميري : (في حدة) هذا صحيح . (فجأة .) أصغ إلى ، انت

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مِنْذَ لِحَظَةٍ أَنْ تَقِيمَ مَعَنَا ...

آنسريه : موقتاً .

ميرى : حتى موقتاً .. الأمر غاية في البساطة : أنا ، لا أريد

آنسريه : لماذا ؟ (صمت .) لماذا يا ميرى ؟

ميرى : هذا شيء لا جدوى منه فلن تفهم ..

آنسريه : (بقوة) إنى أريد أن أفهم . لن تنكرى على كل حال
أن علينا واجبات كثيرة نحوها :

ميرى : (في عنف) ليس هذا صحيحاً ، فنحن لا نلتزم
بأية واجبات نحوها .. ثمة حقيقة واقعة ، هي أن
الحياة لا تُحتمل إلا إذا كانت بعيدة !

آنسريه : (بصوت مرتجف) كيف ! إذن .. فأنت تأخذين
عليها مأخذاً ؟

ميرى : (تعود إلى تمالك نفسها) مامن مأخذ خاص . ولكتها
إنسانة لا تمنحى أبداً ... إنسانة تحول بينك وبين
الوجود .

آنسريه : أتأخذين عليها أن لها شخصية قوية جداً ؟

ميرى : .. فليكن

آندرية : أقوى من شخصيتك ؟

ميري : هذا جائز .

آندرية : ليس هذا من الامتياز في شيء .

ميري : اتفقنا ، أنا تافهة .

آندرية : ولماذا تبدلين عندما تكون موجودة ؟ أو كد لك أنه

منذ لحظة ، كان يمكن أن يقال عنك إنك تعسة .

وأنت لا تحبينني . أو لعلها الحقيقة ؟

ميري : آندرية !

آندرية : قولي : أهذه هي الحقيقة ؟

ميري : أنت مجنون . كلا . كل ما في الأمر ، إنها في شدة

الخوف . أفاهم أنت . من ألا تفسر كل الأمور

إلى الأحسن .

آندرية : لأنها تحبنا .!

ميري : إنها تتمنى . في الظاهر . سعادتنا .

آندرية : أنت تلومينها ؟ هذا شيء بشع .

ميري : إن لها أسباباً قوية للغاية لتمنى تلك السعادة .

آندرية : ما معنى هذا ؟

ميرى : (متمالكة لزام نفسها) انظر : هذا شيء فريد ، لم
يمض على مجيئها إلى هنا غير ساعة ، وها نحن أولاء -
لأول مرة منذ زواجنا نتكلم بلهجة . . كأنها لا تستطيع
أن تمنع نفسها من التحطيم . . لا بأفعال تأتيها ، وإنما
بمجرد وجودها . أترى ، أعتقد أنها قد تعذبت كثيرا ،
ومن ثم . . .

آنسريه : أنت لم تجيبي على . لماذا كانت لديها أسباب قوية
للغاية للتمنى ؟

ميرى : ينبغي ألا تعلق أهمية كبيرة على كلمة في الهواء .

آنسريه : (في رفق) هذه المرة ، أنت تكذبين .

ميرى : ولكن ، إفهم اذن في نهاية الامر ، لو اننا لم . . . لو لم
تتحول الأمور إلى الأحسن في صالحنا ، ألعها كانت
توجه هي المواقضات ؟

آنسريه : لماذا ؟ وأين خطوها في ذلك ؟

ميرى : أنا لا أقول إن هذه تكون غلطتها ، ولكنها كانت
خليقة بأن تفكر في مثل هذا .

آنسريه : لا أفهم .

ميرى : للأسف .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ، آلسين

آلسين : (من الخارج ، وبرفق) أستطيع الدخول ؟

آنلدريه : تعالى ! يا خالتي ، نحن في حاجة إليك .

ميرى : يا مغيث !

آلسين : (تدخل . من الواضح أنها قد بكت ، تتحدث بصوت

مكتوم) يا طفلي ، استمعا إلىّ دون مقاطعتي ، من

فضلكما . لقد أمعنت الفكر . إذا أنا تركت نفسي

تقتنع بالبقاء إلى جواركما ، حتى لو كان ذلك لبضعة

أيام ، فمن المحتمل أن نندم على ذلك فيما بعد . وربما

كان ذلك نهاية شيء بيننا نحن الثلاثة .

آنلدريه : (في وحشية) لماذا ؟

آلسين : (مذهولة) ولكن ...

آنلدريه : وعلى هذا ، لم يكن موقف ميرى مفاجأة لك ؟

آلسين : (في إعياء) أي موقف ؟

آنلدريه : أوه ! يا لها من مواجهة بينكما !

آلسين : (مثلثة) أفهم ، إنني أذكرها بكثير من الذكريات

الأليمة ، إنها في حاجة إلى أن تحيا بنجوة من الماضي .

آندریه : ها هوذا شيء آخر !

میری : (بصوت متهدج) كأنك تريد أن ترغمينا على إلحاق الأذى بأنفسنا .

آندریه : (في قلق) لديك إذن ما يمكن أن تؤذي به نفسك كل هذا الأذى؟ ومع ذلك ، في الماضي ... وكأنما وقع شيء لا تستطيع میری أن تغفره لك . وأنت نفسك ، كأنك غير واثقة من ... (فجأة) جاخالي آلين ، هل ألححت كثيرا لكي تزوجني ؟

میری : (خافضة العينين) كلا .

آلين : اعتقدت أنكما ستسعدان .

آندریه : وإننا لكذلك . (تأتي میری بحركة معناها نعم .) إذن ! (بنبرة مصطنعة .) ثمة حياة من السعادة تمتد أمامنا ... باستثناء سوء الحظ طبعاً . فهناك الحوادث مثلما جرى لسانتاي .

آلين : (على الرغم منها) لماذا تتحدث عن شانتاي ؟

آندریه : ولماذا لا أتحدث عن شانتاي ؟

میری : (في نجدة مباغتة) ماما ، قولي ، ألا أنك تستطيعين من هنا إحداث أكبر قنر من التحطيم دخلت هذه

الحجرة ؟ أترك تخشين ألا تبقى هنا أية إثارة من
حياة ؟ كلا ، كلا ، لاتصطنعي عينيَّ الصّحية
هاتين ... آه ! أنت مخيفة ، بعد أن حطمتِ فلبينا
أنت تأتين لإرغامنا على أن نطلب صفحك !

آندريه : (في يأس) ميرى ، أكنتِ تحين إذن هذا الشائئ
كل هذا الحب ؟

ميرى : ولكن ، لست أدري ... ولكن ، لست أدري .

آلين : وداعا .

ميرى : اذهبي ، انى أقرأ ما في قلبك . لقد آسقطتِ
ضعى ، وندمى ...

آلين : وداعا . إنى لست حاقدة عليك .

(تخرج)

المنظر التاسع

آندريه ، ميرى

(آندريه غارق في تأمل حزين . ميرى تُقبل عليه في
رفق ، وتضع راحتيها على جبينه .)

ميرى : (بصوت يرتعش) والخلاصة .. أن الحال سيكون
كما كان من قبل .. لم يتغير شيء بالنسبة لنا ..

آندريه : (في سخرية ملموسة) في الواقع .

ميري : سترى ، مع مرور الوقت .

آندريه : الوقت . يلزمننا وقت ، وكان يلزمننا وقت .⁷ (حركة

من ميري . بغتة .) لو لم أكن مريضا ، أكنت
تزوجيني ؟

ميري : ما أعجب شأنك ، يا آندريه .

آندريه : لقد أَجَبْتُ على . شكرا .

ميري : أنت لا تفهم .

آندريه : بل لقد بدأت أفهم ، بالضبط . إني هالك ، أليس
كذلك ؟

ميري : (في اندفاع) ستعيش ، وسأرعاك ، وحتى لو ...
(تهمس كلمة في أذنه)

آندريه : (في حزن) فلنأمل ... آه ! قلت ذلك مثلها ...
ميري ، أعتقدين حقا أنها شريرة ؟

ميري : كلا . إنها امرأة مسكينة .

(صمت)

آندريه : قالت وداعا .

ميري : (في قلق) أأنت متأكد من أنها قالت وداعا ؟ إنها

لا يمكن مع ذلك أن تفكر في ... أليس كذلك ؟
ليس هذا ممكنا ؟

آندريه : ولكن ...

ميري : لقد تعذبت كثيرا ... وباختصار ، ماذا يمسكها ؟...
إنها ليست مؤمنة ... ثم ، إذا هي — يا آندريه —
إذا هي قتلت نفسها . . . (فى حيرة .) لن تعود
الحياة ممكنة . ينبغي بأى ثمن ...
(صمت — تذهب ميري إلى منضدة — المكتب ،
وتبحث عن شيء ما .)

آندريه : عم تبحثين ؟

ميري : (فى نوع من الاستسلام المضنى) عن رقم لوتيسيا ؟
— ستار —

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة
١ - مقدمة بقلم المترجم لمسرحية ٥	
روما لم تعد في روما	
٢ - شخصيات المسرحية ١٧	
٣ - الفصل الأول ١٩	
٤ - الفصل الثاني ٥٧	
٥ - الفصل الثالث ٨٧	
٦ - الفصل الرابع ١١٩	
٧ - الفصل الخامس ١٤٩	
٨ - تعليق على مسرحية « روما لم تعد في روما » ... ١٧٧	
٩ - مقدمة بقلم المترجم لمسرحية « المحراب المضيء » ١٩٧	
١٠ - شخصيات المسرحية ٢٠٩	
١١ - الفصل الأول ٢١١	
١٢ - الفصل الثاني ٢٥١	
١٣ - الفصل الثالث ٢٩٧	

ما صد من هذه السلسلة

المصدر	المؤلف	المسرحية
١ - مانويل چاليتش	سمك فسير الهضم	
٢ - چان آنوى	القبرة (چان دارك)	
٣ - هال پورتر	البرج	
٤ - تساو يو	عاصفة الرعد	
٥ - هارولد بنتر	١ - الخادم الاخرس	
	٢ - التشكيلة او عرض الأزياء	
٦ - جون وبستر	الشيطنات البيضاء	
٧ - تيرانس راتيچان	الاسكندر المقدونى او قصة مفامرة	
٨ - تيرى مونيه	سباق الملوك	
٩ - جون مورتيمر	استمدوا لركوب الطائرة وفهرها	
١٠ - فريدريش دورنيمات	النيزك	
١١ - يونسكو - اداموف - ارابال - البى	دراما اللامعقول	
١٢ - اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج - ١	
	١ - مس جوليا	
	٢ - الاب	
١٣ - نيقوس كازندزاكى	مطيل يهود	
١٤ - بيتر فايس	انشودة انجولا	
١٥ - اوليفر جولد سميت	تواضعت فظفرت	
١٦ - مولير	من الاعمال المختارة (مولير - ١	
	● مدرسة الزوجات	
	● نقد مدرسة الزوجات	
	● ارتجالية لرساى	
١٧ - دوجلاس ستيوارت	عسكر وحرامية او نيد كيللى	
١٨ - وليم شكسبير	العين بالعين	

تابع ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٩ -	اوجست سترندبرج	(من الأعمال المختارة) سترندبرج - ٢ الطريق الى دمشق - ثلاثية ١٤ يوليو شجرة التوت روس او لورانس العرب حلاق اشبيلية هاملت الحياة الشخصية نساء تراخيس
٢٠ -	رومان رولان	
٢١ -	انجس ويلسون	
٢٢ -	تيرانس رايتيجان	
٢٣ -	كارون دي بورمارشيه	
٢٤ -	وليم شكسبير	
٢٥ -	نويل كوارد	
٢٦ -	سوفوكل	
٢٧ -	جبريل مارسل	(من الأعمال المختارة) جبريل مارسل - ١ ١ - رجل الله ٢ - القلوب النهمة ليلة ساهرة من ليالى الربيع (من الأعمال المختارة) سترندبرج - ٣ ١ - الاقوى ٢ - الرباط ٣ - الجرائم انواع ٤ - موسيقى الشبح اصطياد الشمس ١ - حكاية فاسكو ٢ - السيد بوبل انتصار حورس (من الأعمال المختارة) جورج برنارد شو - ١ ١ - بيوت الارامل ٢ - العايب
٢٨ -	انريكي خارديل بونثيلا	
٢٩ -	اوجست سترندبرج	
٣٠ -	بيتر شافر	
٣١ -	جورج شعادة	
٣٢ -	ه . و . فيرمان	
٣٣ -	جورج برنارد شو	

تابع ماصدر من هذه السلسلة

العدد	الألف	المسرحية
٢٤ -	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ - قرافة السيارات ٢ - فاندو وليز ٣ - الشجرة المقدسة (من الاعمال المختارة) سوفوكل - ٢ ١ - اوديب الملك ٢ - اوديب في كولون ٣ - اليكترا (من الاعمال المختارة) جان جيرودو - ١ - اليكترا ٢ - لن تقع حرب طروادة (من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو - ١ - الفنية الصلحاء ٢ - الدرس ٣ - جالك أو الامتثال (٤) المستقبل في البيض ٥ - الكراسي مسرحيات اذاعية (من الاعمال المختارة) جبريل مارسيل - ٢ ١ - روما لم تعد في روما ٢ - الحراب المهيء أو (مصباح النعش)
٢٥ -	سوفوكل	
٢٦ -	جان جيرودو	
٢٧ -	يوجين يونسكو	
٢٨ -	كوبر - تشيرشسل - شارب - بيرمانج	
٢٩ -	جبريل مارسيل	

الشمس					
الكويت	١٥٠ فلما	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٤٠ ١/٢
السعودية	٤ ريال	المغرب	٤ درهم	اليمن الجنوبية	١٤٠ فلما
العراق	١٥٠ فلما	تشونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٤ ريال
الأردن	١٥٠ فلما	الجذائر	٤ دينار	الحسين	١٥٠ فلما
سوريا	١,٥ ليرة	العتاهرة	١٥٠ ملما	الخليج العربي	٤ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ ملما		

مطبعة حكومة الكويت

في العدد القادم

✱ شيطان الغابة

✱ الخال فانيا

تأليف : انطون تشيخوف

نقدم في هذه السلسلة لأول مرة مسرحيتين من المسرح الرومى للكاتب الكبير انطون تشيخوف الذى يعد بحق من اصدق كتاب عصره واكثرهم واقعية في معالجة مشاكل روسيا القيصرية - قبل الثورة - من ظلم وارهاب وتعسف .

ونحن هنا نقدم لقراء هذه السلسلة مسرحيتين تمثلان حقبتين مختلفتين من تطور اعمال تشيخوف وفنه المسرحى . فالمسرحية الاولى « شيطان الغابة » تمثل الحقبة الاولى من تطوره والتي كتبها تحت تأثير القوانين المسرحية التقليدية والتي اطلقنا عليها اسم «مسرحيات الحركة المباشرة او الظاهرة» . أما مسرحية «الخال فانيا» فتعتبر من اروع مسرحيات « الحركة غير المباشرة » الناضجة ، كما انها تبرز ما يتمتع به هذا الكاتب المسرحى الخلاق من فن وعمق وأصالة .

في هذا العدد

من الاعمال المختارة

جبريل مارسيل - ٢

يضم هذا المجلد مسرحيتين للكاتب الوجودي الفرنسي جبريل مارسيل فالمسرحية الاولى **روما لم تعد في روما** عرضت لأول مرة عام ١٩٥١ وقد أثارت ضجة كبيرة بين المثقفين بوجه عام ، اذ هي تتعرض لازمة الضمير التي كان يعانيها المثقفون الفرنسيون في مرحلة من ادق مراحل التاريخ الفرنسي . بعد ان ترك الكثير منهم موطنهم ايمان الحرب العالمية الثانية . وفي هذا الاطار يعالج مارسيل توترات العلاقات الفردية وما يغشاها من محن تحت ضغط الصراعات السياسية والايدولوجية في العالم .

اما مسرحية **المحراب المضيء** فهي من اوائل ما كتب مارسيل وكان عرضها على المسرح لأول مرة عام ١٩٢٥ . ومع ذلك فانها تحتل مكانة خاصة بين مؤلفاته المسرحية ، نظرا لان التضمينات الفلسفية فيها اقل وضوحا بحيث لا تطفئ على الجانب الفني البحث . ويرجع ذلك الى ان مارسيل كتب هذه المسرحية مرتين، وحاول في المرة الثانية ان يزيد في صقلها ، معمقا الصلات الجوهرية بين الشخصيات ، ومصورا العلاقات الظاهرة والخفية التي يمكن ان تقوم بينها في آن واحد .